



مَا الَّذِي جَرَى فِي سُورِيَا

محمد سَنِين هَيْكَل

کتاب فومبہ

مَا الَّذِي جَرَى فِي سُورِ

محمد حسین ہیکل

مقلبت

لم يكن القصد من هذه الاحاديث كلها عن سوريا وعن
الذي جرى فيها ، ان تكون كتابا .

وانما كانت هذه الاحاديث تفاعلاتنا مع المشهد العنيف
الذي شهدته دمشق فجر يوم ٢٨ سبتمبر من سنة ١٩٦١م
والذي كان من أعقد المواقف في الدراما الهائلة التي تعانيها
الامة العربية كلها الآن ، والتي تكاد ان تشبه فترة مخاض ،
تمهد وسط الآلام والعذاب لخروج حياة جديدة وبزوغ أمل
ولياد !

وليس معنى التفاعل التلقائي هنا ان هذه الاحاديث كانت
صادرة عن الانفعال العاطفي بالحدث الكبير . .

لكنني في نفس الوقت لا أستطيع ان ادعي ان الجانب
العقلي في هذه الاحاديث قد نحي الفوران العاطفي وأبعد
آثاره .

لا أقول ذلك . !

وانما أقول أنني بقدر ما استطعت لم أترك للعاطفة وحدها
ان تشدني الى هذه الاحاديث ، وكذلك من ناحية أخرى
فاني لم أستطع - وأكاد أقول أنني لم أرفض - ان تكون هذه
الاحاديث أهله حساب دقيق . . جامد ومشبود . !

ولربما كان من حظي ، أنني قبل ان تقع احداث سبتمبر
سنة ١٩٦١ ، كنت أعد العدة للدراسة واسعة عن تجربة
الوحدة ، وتقييم حر لمشاكلها وأوضاعها .

ومن هنا فلقد كانت المعلومات لدى جاهزة ، والوثائق على استعداد ، ومن هنا كان من حظي ، وبالصدفة وحدها ، ان اجد ذلك كله قريبا مني في لحظات الانفصال العاطفي .

على انه في مناي ، ان تخرج دراسات اخرى ، اكثر عمقا واوسع شمولاً لهذه التجربة الهامة في نضال الامة العربية ، وفي اعتقادي ان الفهم العميق لقصة الوحدة بين سوريا ومصر ، هذه القصة التي عاشت ثلاث سنوات ونصف سنة ، سوف يكون لها من الآثار على المستقبل العربي ، ما يمتد الى عشرات السنين .

بل ان تفاصيل هذه التجربة سوف تمتد في تأثيرها ، الى ما هو ابعد من فكرة الوحدة في حد ذاتها ، ومن المؤكد ان هذا التأثير سوف ينعكس ايضا على فكرة الحرية والاشتراكية في المثل العربي الاعلى .

ولقد تحمست لاجراج هذه الاحاديث في شكل كتاب لسبب ..

ذلك ان هذه الاحاديث ، وان كانت قد وصلت الى الجانب الذي نعيش فيه من التجربة ، واعني به مصر ، فان الاسوار والجواجز عاقت وصوله الى النصف الآخر منها ، الى الجانب الثاني في التجربة المشتركة واعني به سوريا . وانا اعلم ان بعض الفصول من هذه الاحاديث قد تخطت الاسوار والجواجز عن طريق موجات الاثير .

كذلك اعلم ان بعض النصوص المكتوبة قد تسالت فعلا الى سوريا وان بعضها قد جرى طبعه كمنشورات بواسطة الاحرار وهم كثيرون برغم القهر والضغط في سوريا .

اعلم ذلك ودليلي عليه انني تلقيت آلاف الخطابات من داخل سوريا التي معظمها في صناديق البريد في لبنان ..

لكني اتق انه سوف يجيء يوم تطلب فيه الجماهير السورية الحرة صورة للتجربة ، مستوفاة وكاملة .

واعرف ان هذه الجماهير سوف تتلقف يومها كل كلمة تعرضت للتجربة يبحث او مناقشة .

لهذا فلقد أردت أن أكون مستعظما بنصيبى ، كصحفى
عاصر التطورات وراقبها عن قرب ، وكان له فيها - ضمن
الآراء الكثيرة - رأى يحتل الصواب والخطأ، لهذا تحمست
لطبوع هذا الكتاب

استعدادا ليوم تسقط فيه الاسوار والحواجز
استعدادا ليوم لا تعود فيه الفرقة المصطنعة قادرة على
تحدى الطوفان الشعبى

استعدادا ليوم تنتفض فيه دمشق وتقف بعيدا عنها
بكل البقايا المتخلفة عن الاستبداد الرجعى الاقطاعى .
يومها ، بعد أن تنزاح أطباق الظلام الكثيف من آفاق
سوريا ، سوف تكون صيحة الجماهير فى سوريا هى :
ماذا جرى .. ؟

يومها سوف أكون أسعد خلق الله ، لو أن هذا الكتاب ،
سارع فقدم نفسه على الفور ، محاولة للرد على السؤال !
محاولة ضمن آلاف المحاولات غيرها

يومها ، سوف تكون الجماهير السورية صاحبة حق فى كل
حرف ، فى كل كلمة ، فى كل صفحة من جريدة أو كتاب !
حق لاتصله البنادق ، ولا تقدر أن تحجبه عروش
الملوك ، ولا تقوى عليه جيوش الاستعمار واساطيله !
تلك حتمية التاريخ ، ويومها قادم مع طلوع الفجر ذات
صباح ..

محمد حسين هيكل

الصراع في سوريا ومن حولها في يناير ١٩٥٨

سوريا

العراق

الأردن

لبنان

مصر

سوريا حرة من طغيان ودمار

العراق حرة من طغيان ودمار

الأردن حرة من طغيان ودمار

لبنان حرة من طغيان ودمار

مصر حرة من طغيان ودمار

سوريا حرة من طغيان ودمار

العراق حرة من طغيان ودمار

الأردن حرة من طغيان ودمار

لبنان حرة من طغيان ودمار

مصر حرة من طغيان ودمار

11

سأرو عذبة لمن ظلمها، ويملون
عيني لعنوا السباع لكي يقوم بالقدار
مولا دوني في اتمام العزيمة:

[illegible]

١٠٠

5

17

23

سورہ

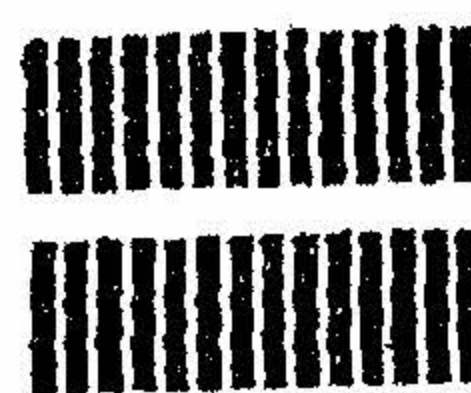
لعمري ان الله
قد اراد ان يخلص
الذين آمنوا من
الذين كفروا

وذلك في حاله على ما استدل
بمنه الامام والاعطاء الشارح في الجنب
واصله على ما يفهم من قوله والوجه

لا سلطان سوى الله عليه السلام على كل شيء
وكانت عنده ملكة وجميع نوابه
أما القضاة والولاة المستغاثون

هجوم الربيع الذي نجح في الخريف !

دروس من الأزمة لا بد
أن نستفيد منها لمستقبل
المنضاه



ما أسهل الكتابة أيام السلام .

وما أصعبها في ظروف الازمات
أيام السلام تصبح الكتابة ، كأنها النشيد ، كأنها الاغنية ، كأنها
زقزقة العصافير صباح يوم من أيام الربيع .
وفي ظروف الازمات يختلف الأمر .

الكتابة تصبح انتزاعاً من الأعصاب ، قطرات دم من القلب ،
خصوصاً إذا كان الذي يريد أن يكتب ، يحاول بطاقته البشرية المحدودة
أن لا يترك الزمام لعواطفه ، لا يريد أن يستسلم لليأس القاتل ولا للآمل
الخادع ، لا يريد للمرارة في مشاعره أن تجرف أمامها المبادئ والمثل ،
لا يقبل أن يبكى ولا يرضى أن يشتم .

محاولة صعبة ، أشبه ما تكون بتجربة إشعال عود ثقاب وسط
العاصفة وأمام الريح وتحت المطر .

هذا هو الذي أشعر به الآن . . . وسن قلمي يلمس الورق ، ودوامة
في رأسي من الأفكار والصور ، من التجارب والأحلام ، من التلفت إلى
وراء والتطلع إلى أمام .

أشياء كثيرة أريد أن أكتب عنها . . خواطر مزدحمة تلح على . .
مشاكل كانت . . أخطار قامت . . أضواء خبت وأضواء تلوح .



هل أكتب أن العاصفة التي هبت على سوريا كانت أمراً متوقعا ؟
هل أقول أنه كان لابد للاستعمار ، لقوى الاستعمار في المنطقة ،
ولعناصر الرجعية ، أن تلم صفها في هجمة مركزة على الجمهورية العربية
المتحدة ، قاعدة التضال العربي وطنيعة ؟

ذلك قلته في العاشر من شهر مارس الماضي سنة ١٩٦١ في مقال
يعنون هجـوم الربيع . .

فى ذلك الوقت قلت أن ستار الهدوء الذى يغطى المنطقة العربية
ستار كاذب .

وان شعارات التضامن العربى التى ترفعها القصور الرجعية فى
المنطقة كلها اقرب ما تكون الى قبرة الموت .

وان الاستعمار وقد جرب فى كل ربيع ألوانا من الهجوم العسكرى ،
والنفسى ، والاقتصادى ، على القومية العربية ، يجرب الآن أن يهاجمها
بأسلوب جديد ، أسلوب الاقتراب وذلك حتى «تقوم الجمهورية العربية
المتحدة بتجميد فعاليتها وتجريد نفسها من أسلحتها وتحويل صوت
دعوتها الى همسة ، واشعاع ضوئها الى بصيص خافت ، ثم هى بعد ذلك
تفقد قدرتها على الاندفاع ، ثم قدرتها على الحركة» .

ذلك قلته بالحرف الواحد فى ذلك الوقت من شهر مارس سنة
١٩٦١ .

ولكن هل أعينده اليوم ، لافعل كذلك الذى يضع يديه فى وسطه
ويقول بالفروور والعناد :

ألم أقل لكم ؟!

لا لأفعله بذلك القصد ..

ولا أذكره بكاء على اللبن المسكوب .

ولكن أستعيده ليكون من فوائد الازمة أن نعرف ، والى الابد ، أن
المعركة بين قوى الاستعمار وبين القوى الوطنية يجب أن تكون لها حدودها
الفاصلة ، وأن النضال بين قلوب الرجعية ، وبين طلائع التقدم يجب أن
يكون ظاهرا لا يخفيه الاغضاء أو التراضى ، أو الاستسلام الى حل وسط .

هل اكتب :

— أين كانت أجهزة المخابرات والمباحث ، وكل هذه الادوات التى
يرسمون لها صورا كانها الكابوس الذى يرزح على صدر النائم ؟

من العجيب أنه كان ثمة تقرير سمعت عنه — ولست أملك هذه
الخطات وسيلة للتحقق النهائى من أمره — كان قد كتبه أحد المسئولين
عن المخابرات ، وفيه وردت معلومات عن الذين قادوا حركة التمرد فى
دمشق ، وعن تنظيماتهم ، وعن نواياهم ، ومع ذلك فان هذا التقرير ، لهم
يجد الاهتمام الكافى !

هل أصرخ وأقول كيف حدث ؟

مثل هذا يحدث فى كل مكان . . فى كل بلد . . حتى فى أقوى البلدان .
ومع ذلك ، فهل أقول ، اننى أسمع فى ضميرى همسا يقول :
- الخيرة فيما اختاره الله !

ان فكرة الوحدة ما كان يجب لها ان تكون عملا بوليسيا !
وأعرف فى هذه الثوانى ، أن عشرات الاصوات ، آلاها سوف تصبح
فى وجهى :

- لقد كان واجبا حماية الوحدة من أعدائها .

ومع ذلك ، فانى أتمنى لو تسامح الذين يصيحون فى وجهى ، بضع
ثوان معى ، اشرح خلالها منطقتى .
دعونى أسلسل أفكارى ، لتكون لى الفرصة التى اشرح بها
تصورى . . .

دعونى أقل أولا أن الوحدة التى تمت فى فبراير من سنة ١٩٥٨ كانت
عملا سهلا ، خدعتنا سهولته ، وصورت الامر للامة العربية على نحو هين
ويسير . . .

صحيح أن نضال الامة العربية من أجل وحدة شعوبها طويل
ومستمر .

ولكن الذى حدث فى فبراير سنة ١٩٥٨ ، تم بسرعة ، وتم ببساطة
يمكن أن تصدق فى الاحلام ولكن لا تصدق فى الواقع الحى .

ولقد يقال لى :

- اذا كان الحلم قد تحقق ، فلماذا لم نستطع الامساك به، وتدعيمه،

ومنحه قوة الحياة المستمرة ؟

واقول - بشرف - فى هذه اللحظة من لحظات الازمة ، التى يشعر
الانسان فيها أن لا حواجز من الاوهام بينه وبين ضميره .

- لقد كان ذلك من أصعب الامور ، لان الامة العربية لم تملك بعد
مقومات التدعيم الحقيقى لوحدة شعوبها .

لقد كان يجب أن يكون هناك أساس فكرى عميق لاقامة الوحدة .

وكان يجب أن يكون هناك أساس اقتصادى قوى لاقامة الوحدة .

وكان يجب أن يكون هناك أساس اجتماعى قوى لاقامة الوحدة .

وذلك كله لم يكن قائما .

وانما كانت هناك مرحلة خطر . . .

وكانت هناك فورة عاطفية . . .

وفي وقت اقامة الوحدة كانت سوريا تتعرض لضغط من جانبيين . .
من جانب حلف بغداد . . . تتقدمه الاسرة الهاشمية التي باعت
تراث العرب والاسلام كله مقابل تيجان وعروش .

ومن جانب الشيوعيين . . . يتزعمهم الحزب الشيوعي السوري
الذي اراد تحويل سوريا الى قاعدة للعمل في قلب العالم العربي .
وبين الضغطين ، وفي أعقاب عدوان السويس ، تجلى الخطر ، وكانت
الفورة العاطفية رد فعل له .

وقامت أول تجربة للوحدة العربية .

وفي ذلك الوقت كانت الوحدة أشبه ما تكون بعملية دفاع طبيعية
قامت بها الامة العربية ، وأكاد أقول الآن أن هذه العملية الدفاعية حققت
لغراضها .

● أسقطت حلف بغداد وأزاحت كابوس الاسرة الهاشمية من
العراق .

● أرغمت الخطر الشيوعي أن يتراجع عن سوريا بل واستطاعت
أن توجه اليه ضربة شديدة في العراق .
ولكن اتمام الوحدة وتدعيمها كان يحتاج الى ما هو أكثر من عمليات
الدفاع .

ان الوحدة كان لا بد لها أن تكون ما هو أعمق من ذلك وأبقى .
كان لا بد لها لكي تبقى وتعيش في تجربتها الاولى - أن تكون أبعد
من الخطر المرحلي ، ومن فورة العاطفة التي قامت كرد فعل له .

دعوني أقل ثانيا أن العناصر التي قادت اتجاه الوحدة في سوريا ،
انسأقت اليه بطريقة سلبية . . . أو بمعنى أصح - وهذا استكمال لما
شرحته الآن - بطريقة دفاعية .

كانت الاحوال في سوريا تتردى الى هاوية مجهولة الاعماق .

وفي وقت من الاوقات بدا - أمام العناصر السورية التي انسأقت
في اتجاه الوحدة - أنه اذا لم يحدث شيء من خارج سوريا ، فان سوريا
سوف تقع اما تحت سيطرة حلف بغداد ، واما تحت حكم الشيوعيين .

وكانت تلك - على حقيقتها - هي الصورة التي شرحها ضوابط

الجيش وقادة الاحزاب السورية حينما قدموا الى القاهرة يطلبون الوحدة بصورتها الاندماجية الشاملة .

في ذلك الوقت قال لهم الرئيس جمال عبد الناصر :

ان اقامة الوحدة يحتاج الى تمهيد أكبر .

اننا نحتاج على الاقل الى خمس سنوات ، لنضع اسسا حقيقية للوحدة .

اسسا اقتصادية .

اسسا سياسية .

اسسا شعبية .

ولكن الخطر كان يلهب ظهورهم ، وفورة العاطفة تشدهم .

ومن ناحية أخرى - وأنا اقول الآن ذلك كله بصراحة - فلقد كان كل منهم يريد السبق الى الوحدة لتكون له بعد ذلك - في حمايتها - فرصة للتحكم في أقدار سوريا ، بعد ان عزت هذه الفرصة على كل منهم في حمى الصراع الحزبي الذي كان محتدما ذلك الوقت في سوريا .

وأنا واحد من الناس الذين اعجبوا بحزب البعث - مثلا - قبل الوحدة .

اعجبت به خلال قراءاتي لفيلسوفه ميشيل عفلق .

ولكني أيضا واحد من الناس الذين صدمتهم تصرفات حزب البعث بعد الوحدة ، فلم يكن في رغبة قادته في ذلك الوقت من شيء الا محاولة الانفراد والسيطرة والتسلط على الامور في الاقليم السوري وحده .

كانوا يريدون يدا مطلقة هناك . . لا اكثر ولا اقل .

وكان هذا حال غيرهم من العناصر التي انساقَت في عملية تنفيذ الوحدة سنة ١٩٥٨ .

دعوني اقل ثالثا ، انه في وجود هذه العوامل الدفاعية والسلبية التي قادت تيار الوحدة ، لم تكن هناك في الواقع بين الشعبين العربيين في مصر وسوريا من روابط فعلية وايجابية لقيام الوحدة الفورية ، الاشياء واحد . . هو جمال عبد الناصر وشخصيته وشعبيته .

وانا معجب بجمال عبد الناصر . . مؤمن به .

ولا أظن أحدا يستطيع أن يتهمنى في هذا الاعجاب او هذا الايمان .

ولكنى أقول - بقلبي وعقلي - أن «شخصية البطل» لا تكفى وحدها لتصنع وحدة الأمة العربية .

أن «شخصية البطل» يمكن أن تكون قوة دافعة ، يمكن أن تكون قوة قادرة على التمهيد للأسباب الحقيقية للوحدة .

ولكن «شخصية البطل» لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون كل أساس الوحدة وكل مضمونها .

أن «شخصية البطل» تستطيع أن تقود . . . وتستطيع أن تلهم .

ولكنها لا بد أن تقود قوى شعبية عارمة .

لا بد أن تلهم أساساً حقيقية راسخة .

ولقد كنت في كثير من الأحيان ، أشعر بالخطر الذي لا بد أن تواجهه تجربة الوحدة التي قامت سنة ١٩٥٨ ، من جراء ارتكازها في الأساس على شخصية «البطل» .

وفي هذه اللحظة الحاسمة من تاريخ الأمة العربية ، بعد ما حدث في دمشق ، أشعر في أعماقي بعرفان لا يحد . .

لقد تحقق الخطر في وجود «البطل» . . . وقعت النكسة ، و «شخصية البطل» واقفة بكل قوتها وقدرتها . . . تملك أن تصحح خطأ الحوادث . . . وأن تصنع حركة حقيقية نحو الوحدة . . . تقوم على الأساس الصلب المتين ، الذي لا يتعلق بفرد ولا يرتبط «بشخصية بطل» . . .

وانما يقوم على حركة الجماهير نحو آمالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . . . وعلى هذه الحركة وحدها يقوم . . ليبقى ويدوم .

هل أكتب :

- الحمد لله الذي ألهم جمال عبد الناصر في لحظة الازمة الحاسمة أن يكون ابناً طبيعياً لامته فيأمر بإيقاف كل العمليات العسكرية ؟

لقد كانت وقفة رائعة من مواقف قهر النفس ومغالبة العاطفة .

وقفة من مواقف الرجولة القادرة على تحويل مجرى التاريخ .

في ساعة من ساعات يوم الخميس الأسبق . . . بعد قيام حركة التمرد في دمشق ، وقيام المظاهرات الشعبية المعادية لها في كل مكان خصوصاً في حلب واللاذقية ، كانت هناك قوات ضخمة على استعداد للتحرك .

كانت هناك فرقة من جنود المظلات ، من جنود الصاعقة قوامها ألفا
مقابل تتأهب للهبوط في اللاذقية وحولها .

وكان الاسطول كله على وشك ان يتحرك ليلحق بها . . بل كانت
بعض السفن التجارية قد تحولت في ساعات الى ناقلات جنود .

بل وبدأت طليعة قوة المظلات تهبط بالفعل .

بل وبدأ الاسطول يتحرك وعلى ظهره فرقتان كاملتان ، بالسلاح
والمدركات . . أى ما يقرب من خمسة وثلاثين ألف جندي .

كانت قوة الصاعقة قادرة - ولو وحدها - على السيطرة على ميناء
اللاذقية ، حتى تلحق بها القوة القادمة على الاسطول . . . وكانت هذه
القوة كلها قادرة على احتلال شمال سوريا كله والزحف على دمشق
لضرب حركة العصيان .

وفي ومضة الالهام الالهى ، تحول مجرى التاريخ العربى كله .

تدخل جمال عبد الناصر وأوقف كل شيء . . .

سأل نفسه في هذه اللحظة الحرجة سؤاليين :

أولاً - هل أرضى لقوات من الجيش الثانى للجمهورية العربية
المتحدة ان تشتبك في معركة عسكرية مع قوات الجيش الاول ؟
وأجاب على نفسه :

● ليس لمثل هذا حاولت الامة ان تقيم جيشها القوى ، وأن تضع
تحت يده اقوى السلاح .

ان الجيش العربى القوى أعد للعدوان الاستعماري . . والعند
لاسرائيل .

ثانياً - ما هو ثمن النصر ؟ . .

وأجاب جمال عبد الناصر على سؤاليه الثانى :

● الثمن مهما كانت النتائج سوف تدفعه الجمهورية العربية
المتحدة . . . سوف تدفعه الامة العربية . . . سوف تدفعه من دماء
أبنائها ، وسوف تدفعه الى الابد من فرقته وانقسامها . . ففي لحظة
الاشتباك يمكن أن تتحول المعركة الى «مصرى» والى «سورى» خصوصا
عندما يبدأ الدم يسيل أنهارا في سهول الشمال ورباه .

وبعد السؤاليين . . . وبعد الاجابة عليهما . . . أوقف جمال
عبد الناصر بنفسه كل التحركات العسكرية .

١ - الطائرات التي كانت في طريقها لانزال قوات المظلات صدرت اليها الاوامر بإيقاف عمليات الانزال . . بل لقد حدث أن إحدى الطائرات كانت قد أنزلت بالفعل نصف جنودها ثم وصلتها الاوامر فأقفلت بابها واستدارت عائدة بالتصف الباقي من هؤلاء الجنود .

٢ - عادت إحدى الطائرات الى فوق منطقة الانزال تتصل بالقوة التي كانت قد هبطت بالفعل ، وتكرر اصدار الاوامر اليها ، بأن لا قتال ، وبأن لا معركة ، وبأن على قائدها أن يتقدم بأفرادها الى أقرب موقع سورى وأن يقدم نفسه .

٣ - تلقت قوات الاسطول وكانت قد وصلت الى قبرص أمرا بأن تدور في البحر وتعود الى الاسكندرية والى بور سعيد .
ولما قيل لجمال عبد الناصر في تلك اللحظة :

- ولكن هناك قوات من الجيش الاول تطلب النجدة وترفض اطاعة
أوامر التمرد الصادرة لها في دمشق !
ولما قيل له :

- ولكن هناك مظاهرات شعبية جارفة في كل مكان من سوريا ، وان
عناصر التمرد قد تتحرك لضرب هذه الإرادة الشعبية ، ثم يبدو وكأننا
تخلينا عن الدين وقفوا لحظة المحنة !

لما قيل ذلك كله . . . كان رد جمال عبد الناصر :

- تلك كلها تفاصيل .

لتكن هذه المحنة كلها استفتاء جديدا لإرادة الشعب العربى في
سوريا .

ليسقط ثلاثة أو أربعة في المظاهرات الشعبية أمام قوى التمرد بدل
أن يسقط آلاف في الصدام العسكرى ثم تكون فرقة الدم ، ثم يستتب
الامر كله لعدو الأمة العربية .

لقد قامت الوحدة بإرادة شعبية ، واذا كان تيار الوحدة يجمع الآن
بقوة الدبابات ، فان ذلك - بصرف النظر عن مرارة الدقيقة - خير
لمستقبل النضال العربى ، لكى تثبت الأمة العربية من إيمانها ، ولكى
تشعر أنها دفعت ثمن هذا الإيمان ، ولكى تبقى لها دائما حوافز الحركة
والتقدم » .

هذا كله من ناحية . . .

ومن ناحية أخرى فقد كان المضى فى أى عمليات عسكرية - بصرف

النظر عن تأثيره في اخراج الوحدة عن طابعها كارادة شعبية - فرصة
يمكن ان يستغلها أعداء العرب .

كان الاسطول الامريكى السادس . . نفس الاسطول الذى تظاهر
في البحر الابيض عندما رتب الملك حسين انقلابه على الحكم الوطنى في
الاردن سنة ١٩٥٧ . . نفس الاسطول السادس الذى أنزل جنوده سنة
١٩٥٨ على شواطئ لبنان . . . نفس هذا الاسطول السادس كان يتحرك
الى البحر الابيض .

كذلك كانت تركيا - واعترافها بحركة التمرد في لحظة قيامها -
ومطامعها في الشمال السورى كله معروفة - قادرة على التدخل العسكرى
في الموقف .

كذلك كان بوسع اسرائيل أن تنتهز الفرصة لضربة تنهش فيها
أى قطعة من الوطن العربى .

وخلال هذا كله ، لم تكن الرجعية العربية ، سواء في قصر رغدان
بعمان ، أو في مقر الشركة الخماسية في دمشق ، أو في غير ذلك كله من
المعازل التى يكمن فيها أعوان الاستعمار وأعداء التقدم . . . لم يكن
هؤلاء جميعا سوف يتورعون عن الاستعانة حتى بالعدو نفسه ضد حركة
القومية العربية التى تمثل عليهم خطرا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا
يهددهم أينما كانوا . . في الشركات الكبرى أو في القصور .

هل أكتب عن ذلك كله الآن وأقول :

- الحمد لله .

الحمد لله أن العقل كانت له الغلبة على الكبرياء . . . وإن المستقبل
العربى الطويل استطاع أن ينتصر على انفعال اللحظة .

ذلك كله أريد أن أكتب فيه .

أريد أن أكتب فيه كثيرا . . بأعصابى ، وبدم قلبى .

ولسوف أفعل . . فأمامنا طريق طويل طويل . . وأمامنا أيام من
النضال وليال . .

وانما المهم في هذه اللحظات ، على حد ما قال جمال عبد الناصر :

«أن تكون لنا قدرة الرجال . . على مواجهة العدو . . وعلى مواجهة
أنفسنا» . . .



ما الذي جرى في سوريا؟

حديث صريح عن التجربة
الأولى للوحدة العربية
و ٣ حقائق أساسية
في مقدمة الحديث

سكري القوتلي



مهما كان من امر ما حدث في سوريا

ومهما كان من امر ما سوف يحدث في سوريا

فهناك في هذه اللحظات الجياشة بالعواطف والمشاعر المتضاربة ،
والافكار والآراء المتصارعة - حقائق أساسية لا ينبغي لها أن تتوه في
الفوران وتغيب في تقلباته ، أو تتوارى في أكوام التحليل والتنقيب
والتفتيش من الاسباب والمسببات .

أولى هذه الحقائق ان الشعب العربي في مصر والشعب العربي في
سوريا يجب ان تبقى لهما دائما هذه العلاقات التي ربطت بينهما منذ
الابد والى الازل

ثانية هذه الحقائق أن عروبة مصر ليست عاملا تهزه نكسة عاطفية،
وليست مرحلة عابرة يمكن أن ينتهى توقيتها ، بل ان عروبة مصر حقيقة
من حقائق الطبيعة ذاتها .

ثالثة هذه الحقائق ان وحدة شعوب الامة العربية جتمية كالقدر ،
وان كان التمهيد اليها والسعى من أجلها وتحقيقها أملا وشعارا وفعلا ،
يقتضى - كما يتضح من التجربة - عملا وطنيا في كل بلد عربى ، يطور
الاضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فيه الى مستوى تحقيق
الوحدة .

بعد هذه الحقائق الاساسية الثلاث ، يتحتم علينا هنا ، في هذه
الجمهورية العربية المتحدة ، أن نفتح باب المناقشة الحرة على مصراعيه
في التجربة الاولى للوحدة العربية ، فانه عن هذا الطريق وحده تتحول
المأساة التى وقعت في سوريا ، الى تجربة حية تفيد الامة العربية في
مستقبل نضالها ، الذى يتوقف عليه مصيرها الواحد ، وعن هذا الطريق

وحده ، يمكن أن تحصل الامة العربية على فائدة ، أو على شبه فائدة ، لكل الجهد الذي بذل ، ولكل الدم الذي أريق ، ولكل الاعصاب التي التهبت ، بسبب سوريا ، سواء داخل سوريا أو خارج سوريا !

وأريد هنا أن أضيف ، دون ما محاولة لخدعة النفس أو تعليلها بالاماني لقبول الامر الواقع ، ان الوحدة بين مصر وسوريا - خلال العمر القصير الذي عاشته - حققت أعمالا باهرة - تساوى كل ما نحس به الآن من وخزات المرارة والالام

حققت تجربة الوحدة الاولى في عمرها القصير عدة أهداف :

● حين قامت الوحدة - أولا - كان حلف بغداد قويا في المنطقة ، قادرا على الضغط على شعوبها لتحطيم مقاومتها الوطنية ، واجتضاعها لنفوذ الاستعمار

كانت للقوى الاستعمارية ، الطامعة في المنطقة ، قوة رئيسية - هي حلف بغداد - قادرة على الحركة المنظمة الواسعة النطاق .

ولكن قيام الوحدة ضرب القوة الرئيسية للاستعمار في ذلك الوقت باسقاط حلف بغداد وبعدها تحولت هذه القوة الرئيسية المركزة الى فلول متناثرة ، لم تفقد « قوتها » ولكن فقدت « تجمعها » الرسمي الذي كان واضحا في بداية سنة ١٩٥٨ .

وصحيح أن الاستعمار الآن غير أسلوبه ، سواء بسبب المقاومة الوطنية لاحلافه العسكرية ، أو بسبب التغير الكبير الذي أحدثته التطور الذري والصواريخ البعيدة المدى والعبارة للقارات التي قللت كثيرا من قيمة الاحتفاظ بقواعد عسكرية على اراضي الشعوب رغم ارادتها - الا أن هذا لا يؤثر على الاطلاق في قيمة النصر الشعبي الذي أحرزته الوطنية العربية ضد الاستعمار في تلك المعركة من حربيها الممتدة معه ، هذا النصر الشعبي الذي كانت الوحدة بين مصر وسوريا عاملا حاسما في تحقيقه وابعاده

● حين قامت الوحدة - ثانيا - كانت الحدود ضائعة ما بين الوطنية العربية وما بين الشيوعية ، وكان سبب ذلك أن الشيوعيين حاولوا الوقوف في الجبهة الوطنية اثناء الحرب مع الاستعمار في المعركة الكبرى ضد الاحلاف

ولقد بدأت المعركة الكبرى ضد الاحلاف برفض مصر - سنة ١٩٥٥ - أن تنضوي تحت لواء أي حلف استعماري ، ثم امتدت الى تأكيد الشخصية العربية المتحررة - اثناء مؤتمر باندونج - ثم واصلت اندفاعها الى معركة كسر احتكار السلاح ، ثم مضت الى حد الاشتباك عسكريا مع الاستعمار في معركة السويس ، ثم واجهت محاولة الغزل بالحرب

النفسية وبأساليب الدس والمؤامرات طوال سنة ١٩٥٧ - وفي ذلك كله كان الشيوعيون يقفون في الخط الوطنى ، ويساعدون في المعركة بكل قوتهم من اجل اهدافهم بالطبع . . وكانت اهدافهم في ذلك الوقت متشابهة مع اهداف القومية العربية ، مختلطة بها

ومع ان ذلك كان وضعاً تحتمه الضرورة ، الا ان وقف هذا التسلسل، وفرز العناصر الشيوعية عن الجبهة الوطنية العربية الاصيلة - كان أمراً لا بد من مواجهته

وكانت الوحدة بين مصر وسوريا هى النقطة التى تحددت عندها الخطوط ، واتضحت فيها المعالم ، وافترقت عليها الاهداف ، يدل على ذلك ويحدده ، أن يوم اعلان الوحدة بالذات كان هو اليوم الذى فرفيه خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعى السورى . . من سوريا

● حين قامت الوحدة - ثالثاً - كانت الاشتراكية العربية ، مجرد حلم قائم على مكارم الاخلاق يراود بعض المحالين ، وكانت الرجعية العربية متداخلة فى الصف الوطنى ، وكان هذا التداخل عاملاً يعوق التوضيح الثورى لاهداف الانسان العربى وحقوقه ، ولطالبه الحيوية فى الكفاية والعدل

ولكن اقتراب الوحدة ، جعل العناصر الرجعية تكشف عن نفسها بسرعة ، فلقد كان تلاقى آمال الشعوب المناضلة ، قادراً على تفجير الشرارة الثورية ، التى كان يمكن على ضوءها ان يرى الانسان العربى حقيقة الاستغلال الاجتماعى الذى يرسف فى اغلاله

ومن هنا فليس من الصدفة - مثلاً - ان صاحب الجلالة الملك سعود دفع للعقيد عبد الحميد السراج ، مليونى جنيه استرلينى ، لى يقوم بانقلاب يحول دون اتمام الوحدة

واؤكد هنا - انه ليس من هدفى أن أهاجم جلالة الملك سعود - ولكن من هدفى أن أحاول استعراض الصورة شاملة لى تبين كاملة أمام شعوبنا التى مازالت المعركة أمامها طويلة ، والتى تملك حقاً لا نزاع عليه فى الاستفادة من تجاربها

واذن ألخص الانتصارات الثلاثة التى حققتها تجربة الوحدة العربية الاولى فى عمرها القصير ، ألخصها فى ما يلى :

١ - وجهت تجربة الوحدة ضربة كبيرة الى القوة الاستعمارية الرئيسية التى كانت تهاجم شعوبنا سنة ١٩٥٨ - وهى حلف بغداد

٢ - استطاعت تجربة الوحدة أن تقوم بعملية فرز كانت ضرورية ، وأخرجت من الصف الوطنى العربى ، ما كان قد تسرب اليه من العناصر الشيوعية

٣ - نرغمت الوحدة ، قوى الرجعية أن تكشف عن وجهها ، وفى نفس الوقت حققت الوحدة نقطة انطلاق عملية نحو الاشتراكية بقصد تحرير الانسان العربى من كل الاستغلال والرق الاجتماعى وبالتالى ساعدت على بلورة حركة الجماهير العربية نحو اهدافها الاجتماعية

وهذه الانتصارات الثلاثة كلها ليست بالامر الهين . . وحدوثها فى ثلاث سنوات اقرب الى المعجزات ، واؤكد مرة اخرى اننى لا اقول ذلك لخدبة النفس او تعليلها بالامانى - وانما احاول طاقتى أن أكون موضوعيا بقدر ما أستطيع فى تعرضى للدراسة كل ما حدث .

واضيف الى ذلك اننى لا أريد التقليل من خطورة ما حدث واثره على الكفاح العربى

بل لعلنى وأنا اقله ، أقوم بعملية تجسيد للخسارة العربية الكبرى التى وقعت بسبب ما حدث فى سوريا .

وأعود بعد هذه المقدمة الى دراسة ما حدث فى سوريا

الى دراسة التجربة الاولى للوحدة العربية ذاتها ، لتكون الدراسة لأسباب الفشل ، بعد أن استعرضت آثار النصر - قوة حافزة جديدة، على أسس صحيحة ومتينة سعيا وراء نفس الاهداف

وحتى وان قدر لجيلنا أن لا يعيش يوم النصر الاعظم للقومية العربية، فذلك حق لابد لجيلنا الذى عاش التجربة أن يؤديه للأجيال التى سوف تحمل الاعلام المنتصرة لتضعها فوق الساريات العالية

والآن : الى السؤال الكبير

- ماذا جرى فى سوريا ؟

ردى ولعلنى لا أكون قد شردت بعيدا عن الصواب ، أن ما حدث فى سوريا ، فى سبتمبر سنة ١٩٦١ ، هو ما كان يمكن أن يجرى فى سوريا فى فبراير سنة ١٩٥٨ - لو لم تحدث الوحدة ، وتوغل وقوعه ثلاث سنوات ونصف سنة .

من هنا فان عودة الى الظروف السائدة في سوريا ، قبل الوحدة مباشرة في فبراير سنة ١٩٥٨ - أمر ضروري لفهم هذا الاستمرار الطبيعي للظروف ، هذا الاستمرار الذي استؤنف مرة أخرى في سبتمبر ١٩٦١ - ثم لفهم العوامل الجديدة التي طرأت على الموقف خلال سنوات الوحدة ، والتي لا بد أن يكون لها تأثيرها في اتجاه الحوادث المقبل .

ماذا كانت الظروف السائدة في سوريا ، قبل الوحدة مباشرة ؟

إذا لم أكن قد نسيت بعد أيامي في سوريا ، ولقد كنت زائرا دائما لها لثناء خمس سنوات من عمري قضيتها كمراسل سياسي متجول في الشرق الاوسط ، من سنة ١٩٤٦ الى سنة ١٩٥١ - وبعدها حاولت جاهدا أن احتفظ بعلاقتي بالمنطقة ومتابعتي لحدثاتها - فلقد كانت معالم الصورة كما يلي :

١ - كانت سوريا تحت حكم الجيش ، بوصفه جيشا ، منذ اليوم الذي وقع فيه انقلاب حسنى الزعيم في فبراير سنة ١٩٤٩

ولم تكن هناك قوى اجتماعية وراء انقلاب حسنى الزعيم ، وانما كانت هناك مصالح مالية ، في مقدمتها شركات البترول الامريكية التي كانت تريد في ذلك الوقت أن تمد أنابيب البترول - التابلاين - عبر سوريا ، وكانت حكومة شكرى القوتلى لم تصل بعد الى قرار في ذلك الشأن ، وكانت صلة رجال المخابرات الامريكية بحسنى الزعيم معروفة ، وكان بين بريطانيا وأمريكا في ذلك الوقت نزاع على مفاصل البترول في الشرق الاوسط - بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية - لم يصل بعد الى تفاهم ودى .

ولم تكن تلك - للانصاف - هي كل محركات انقلاب حسنى الزعيم ، وانما كان هناك أيضا رد الفعل العاطفى لهزيمة فلسطين قبلها بشهور قليلة

وتخبط حسنى الزعيم ، ثم جعل من نفسه صورة مهزوزة لموسولينى وارتنى بذلة الماريشالية وغطى صدره باللاوسمة ودار رأسه بجنون العظمة .. كل ذلك دون فكر اجتماعى أو مثل أعلى

ولم تكد تمضى أربعة شهور ، حتى كان انقلاب جديد على هذا الانقلاب

وكان قائد الانقلاب في هذه المرة هو سامى الحناوى .
وكان حلف ، الملك فاروق ، والملك عبد العزيز آل سعود ، هو الذى يحتضن حسنى الزعيم

وكان انقلاب سامي الحناوي رد فعل بالتآمر ألبحت لهذا الوضع ،
فقد كانت القوة المحركة له هي الاسرة الهاشمية في بغداد

ومضت شهور ثم انقلاب ثالث ، على الانقلاب الثاني ، يقوده هذه
المرّة اديب الشيشكلي

ثم تعددت الانقلابات في سوريا . . . بعضها كانت انقلابات ناطقة ملونة
اقصد أن بعضها كانت له فرقة وبعضها صبغه الدم .

وبعضها الآخر كان انقلابات صامتة ، تمزق الوطن السوري في سكون ،
وتذبح فيه أحيانا من غير دم

وفي ذلك كله كان الجيش هو الذي يحكم

أحيانا كان يظهر من فوق المسرح ، كما حدث أيام حسنى الزعيم
واديب الشيشكلي

وفي أحيان أخرى كان يحرك المسرح كله من داخل الثكنات - كما
تجلى بوضوح في الفترة التي انقضت منذ الانقلاب على أديب الشيشكلي
الى يوم الوحدة

في ذلك الوقت كانت مجموعة الضباط التي قادت الانقلاب على أديب
الشيشكلي قابعة في قيادات الجيش وكانت الحكومة المدنية التي تتولى
الامر في قصر المهاجرين في دمشق العوبة في يد هذه المجموعة من
الضباط القابعين في الثكنات

كان الراى في سوريا رأيهم . . والامر أمرهم . . والقدر في أيديهم
يجرونه كما يشاءون ، ولم يكن على الواجبات المدنية التي تتولى الحكم
بالاسم الا أن تخضع للراى والامر . . والقدر !

ووصلت الامور الى حد انه لم يكن يجوز في سوريا أن يرسب ابن
او ابنة لأحد الضباط في الامتحان في أى مدرسة والا فان الاب الضابط
سوف يذهب الى ناظر المدرسة او ناظرها ويقرر تحويل الرسوب الى
نجاح ومسندسه معلق من حزام وسطه ! .
الى هذا الحد .

وفي ذلك الوقت كانت في سوريا مجموعة من الاحزاب

١ - حزب البعث العربى الاشتراكي : وكان هذا الحزب خليطا
مشوشا من شخصيات قاداته ، خليطا مشوشا من أفكار تقديمية على
أساس نظري لميشيل عفلق ، ومن غرام بالمناورات السياسية واللاعيب

الحزبية لآكرم الحوراني ، ومن حيرة تائهة شاردة لا تستقر على شيء
لصلاح البيطار

ولكن الحزب برغم ذلك كله كان قوة متحركة في اتجاه تقدمي غير
واضح المعالم .

٢ - حزب الشعب : الذي يرأسه رشدي الكيخيا ، وكان هذا الحزب
يضم معظم أسر سوريا الكبيرة من ملاك الأرض ، وكان قوة فعلية
ولكنه كان بعيدا عن أي تأثير جماهيري ، بل كان في طبيعته لا يؤمن
بالجماهير

٣ - الحزب الشيوعي : وكان هذا الحزب تحت رئاسة خالد بكداش
أقوى المنظمات الشيوعية في الشرق العربي ، وكان حزبا نشيطا
يستمد التزايد في قوته من ضعف الآخرين وتفككهم

٤ - الشركة الخماسية : ولم تكن الشركة الخماسية حزبا ، ولكن الشركة
الخماسية كانت قمة الاحتكار في سوريا ، وك رأس المال بطبيعته،
كان همها أن تكون هناك حكومة قوية تصد الشيوعيين فقط ،
وتحفظ النظام ولو بالقمع ، ليستطيع رأس المال آمنا أن يحصل
على ما يريد بغير حساب ، ولهذا لم تكن الشركة الخماسية في سوريا
بعيدة عن السياسة ، وإن لم تكن تنظيما حزبيا بطبيعة الحال !

**وكان هناك قوى من خارج سوريا ، تلعب في سوريا وفق هواها
أو وفق مصالحها**

١ - بغداد كانت لها مصالح في دمشق وكانت لها أحلام

كانت بغداد تريد دمشق داخل حلف بغداد تأميننا لجناحها الغربي،
وفتحا للطريق أمام هذا الحلف الاستعماري أن يبسط نفوذه على الأردن
وعلى لبنان بعد سوريا ! .

ثم كان لبغداد في دمشق حلم قديم هو أن يعود عرشها إلى الأسرة
الهاشمية الحاكمة في بغداد ، والتي كان لها الحكم يوما في سوريا وإن
يجلس عليه الأمير عبد الله بالذات .

٢ - وفي وجه مصالح بغداد وأحلامها كانت الرياض - عاصمة الحكم
السعودي ، تقف بحوافز المنطق القبلي الاقطاعي ضد بغداد

وكانت الرياض تدفع في دمشق من غير حساب .

ووصل الأمر - ومازلت أذكر الواقعة وقد نشرتها في ذلك الحين -

الى حد أن أى ضابط جيش في سوريا كان يستطيع لو أراد أن يحصل على سيارة من آخر طراز اذا ما غمز بنصف عين الى سفرة المملكة السعودية فى دمشق !

٣ - وكانت مصر بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ، وبعد أن اكتشفت شخصيتها العربية ، وانحازت بكل قواها الى جانب النضال الشعبى العربى، تهتم بأمور سوريا ، وفى الدرجة الاولى من اهتمامها أن لاتسقط تحت سيطرة حلف بغداد وبذلك يتحول مجرى النضال العربى كله، من محاولة الحصول على القوة الذاتية العربية المستقلة ، ومن محاولة صد الخطر الاسرائيلى من المنطقة تمهيدا لاستئصاله ! .

٤ - ولم تكن الدول الكبرى كلها بمعزل عن هذا الصراع الذى يشمل الشرق الاوسط كله ، والذى كانت سوريا قد تحولت الى مركز له وميدان

كانت بريطانيا وراء بغداد .. أو وراء حلف بغداد

وكانت أمريكا موزعة المشاعر بين مصالحها فى الرياض وبين احساسها - من وجهة نظرها - بضرورة حلف بغداد استمرارا فى تطويق الاتحاد السوفيتى بالقواعد

وكان الاتحاد السوفيتى ، يؤيد مصر فى معركة مقاومة حلف بغداد، وفى نفس الوقت كان يساند الحزب الشيوعى السورى باعتباره نواة لتقدم الشيوعية فى الشرق العربى

وبما أن الجيش كان هو القوة المسيطرة والحاكمة ، فان كل الاحزاب العاملة فى سوريا ، وكل القوى العربية والدولية المهتمة بالمعركة الدائرة فيها ، اتجهت جميعها الى العمل فى الجيش والى محاولة التأثير فيه وأصبح الجيش السورى انعكاسا طبيعيا للصراع الحزبى ، والعربى، والدولى الجارى من حول سوريا وفى داخلها .

أصبح هناك ضباط فى الجيش يتجهون بمشاعرهم لحزب البعث وآخرون يتجهون لحزب الشعب وآخرون للحزب الشيوعى وآخرون للشركة الخماسية وآخرون يقلقهم هذا الصراع داخل وطنهم وعليه ويبحثون عن طريق فيه السلامة الوطنية والامان

وأصبح هناك ضباط على اتصال ببغداد ، وبالرياض ، وبالقاهرة.

ووصلت الفرقة الى حد بعيد .. والى حد عميق

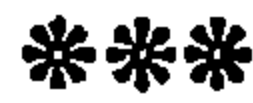
ومن نتائج هذه الفرقة :

١ - ان التوجس بين جماعات ضباط الجيش السوري المتنافرة أصبح عاملا بالغ الخطر على مستقبل الوطن السوري كله ، ووصل الامر الى أن الضباط الذين كانوا يتصدرون الجيش ، كانوا يقضون الليل في وحداتهم ليكونوا على أهبة التحرك بها في مواجهة أى مباغطة من جماعة أخرى .

٢ - ان بعد الفرقة وعمقها أدى الى شبه شلل بين القوى المتنافرة فان واحدة منها لم تستطع أن تحقق السيطرة التى تملك بها أن تفرض ارادتها النهائية على الآخرين ، وبذلك أصبحت سوريا تمشى على سلك مشدود على حافتى هاوية وكان عليها ان تحافظ على توازنها فوقه لكى لاتضيع . . وكانت نسمة هواء قوية من أى اتجاه كفيلة بأن تحدث الخلل فى التوازن . . ومن ثم يكون الضياع وفى ذلك الوقت العصيب فى سوريا برز اسمان :

● اللواء عفيف البزرى ، قائد الجيش السوري ، ولم يكن هناك مجال للشك فى أنه بماضيه ، وبفكره ، يتصل على نحو أو آخر بالشيوعية

● العقيد عبد الحميد السراج ، مدير المكتب الثانى السوري ، أى مدير المخابرات ، ومع ان عبد الحميد السراج فى تقديرى شاب وطنى عربى متحمس ، الا أنه سواء بحكم طبيعة عمله ، أو بحكم الميزان الدقيق للقوى فى سوريا ، بحكم المشى على السلك المشدود بين حافتى هاوية ، وجد نفسه فى وضع يجعله يراقب كل شئ فى سوريا . . لم يكن ينام ، ولم يكن يغفل ، وكان يقال انه يسمع ديب النملة اذا دبّت فى سوريا .



وإن كان الشعب السوري وسط ذلك كله ؟

الفئات الطافية على السطح منه ، قنعت بالسلبية طريقا لراحة البال

وراحت تجلس فى نادى الشرق فى دمشق ، تتهامس ، بأخبار آخر المناورات وأحدث الاشاعات

وراحت تتردد كل مساء على مقاهى « دمر » تشد دخان «الأرجيلة» ، وتتندر بحكايات اقرب ما تكون الى التعبير السوري المشهور «طق الحنك» أى الكلام الطائر فى الهواء ، لايقدم ولا يؤخر !

أو راحت تجرى كل عصر عبر الحدود الى لبنان ، بعضها يتوقف فى « شتوره » قرب الحدود ، لياكل الفراريج - الدجاج - المشوية ومعها

تحتسى العرق ، وبعده « الارجيلة » وخلال ذلك كله يجرى الحديث مع الهوى .. وبعضها يكمل الطريق الى بيروت يسهر الليالى بعيدا عن تزمتم دمشق ، ويناقتش السياسة في علب الليل الصاخبة !

هذا حال الفئات الطافية على السطح في المجتمع السوري

والقاعدة ، القاعدة الشعبية الواسعة .. الجماهير السورية العربية المؤمنة

كانت هذه الجماهير دائما طليعة وحدة عربية .

كانت هذه الجماهير دائما سليمة في اخلاصها لشعاراتها

وكان ظهور شخصية جمال عبد الناصر في مصر تجسيدا للامل العربى ، فى احلام هذه الجماهير ، بأن يخرج يوما من بين صفوفها واحد يرفع العلم العربى ، ويتصدى لكل اعداء العرب ، ويقف فى وجههم صامدا قويا لا يقهر ولا ينال

فى ذلك الوقت كان جمال عبد الناصر قد بدا يبرز على المسرح العربى مستكملا كل يوم مقومات شخصية المبطل

وقف ضد حلف بغداد .. ضد كل قوى الاستعمار فى المنطقة كسر احتكار السلاح لتستطيع الامة العربية أن تملك فى يدها مائدافع به ضد عدوها .

اعترف بالصين الشعبية لم يرهبه تهديد دالاس ولا وعيده

أم قناة السويس وصفع رئيس وزراء بريطانيا انتونى ايدن على الخدين ، أمام الشعوب العربية المبهورة ، وأمام شعوب آسيا وافريقيا التى حبست أنفاسها من الروع

انتصر فى معركة السويس وحقق ملكية مصر للقناة نهائيا والى الابد

اسقط انتونى ايدن ، ولاول مرة وقع رئيس وزراء دولة كبرى، هى بريطانيا بالذات ، صريعا فى معركة أمام مواطن عربى .

اسقط جى مولىه رئيس وزراء فرنسا

رفض مشروع ايزنهاور الذى كان هدفه عزل مصر عن العالم العربى كله

ثم بدأ يتحدث عن اعادة بناء الوطن .

بدأ يتحدث عن التصنيع .. عن التطوير .. عن الاشتراكية .

هنا أحست الامة العربية كلها ، والشعب السوري فيها بالذات ،

لانه في قلبها ، ان العرب لم يعودوا امة لا هم لها غير ان تجتر أمجاد الماضي ، وانما هي قادرة على تشكيل التاريخ .

لم تعد تبكى على اطلال سد مأرب في اليمن وتتحسر على حضارة قديمة ، وانما هي تحلم بمشروعات كبرى كالسد العالي وتتطلع الى مستقبل عظيم

لم تعد الامة المقهورة .. وانما أصبحت الامة القاهرة

لم تعد الشعوب المغلوبة على أمرها .. وانما أصبحت الشعوب الغالبة

لقد ظهرت شخصية البطل ، التي كانت الجماهير العربية تنتظر ظهورها لتمشي وراءها

وبدا اتجاه الوحدة - من هذا كله - يتبلور في سوريا .. ويتطلع الى مصر

ومع هذا كله كانت العوامل التي شرحتها جميعا تساهم في بلورة هذا الاتجاه وفي تحديد معالمه .

● الفرقة في الداخل ، في وسط الاحزاب وفي وسط الجيش .. والتوجس والخوف

● ضغط الاستعمار من الخارج ممثلا في حلف بغداد وفي مؤامراته المسلحة وغير المسلحة .

● تسلل الشيوعيين الى الداخل لتحويل مجرى النضال العربي ومحاولتهم أن يسلبوا الجماهير عزتها وشعورها الوليد بالحرية الحقيقية

وفي مطلع سنة ١٩٥٨ ، كانت الجماهير السورية كلها تردد بصوت واحد كالرعد هتافها التاريخي ، الذي يحمل كل المشاعر الفوارة التي فجرها ظهور شخصية البطل :

- عبد الناصر يا جبار .. يا محطم الاستعمار

وبدأت أصداء هذا الهدير الشعبي الجماهيري تصل الى كل مكان داخل سوريا .. الى دور الاحزاب المتصارعة .. الى ثكنات الجيش الخائفة المتربصة .. الى الجالسين منهمكين في «طق الحنك» في نادي الشرق ، وفي مقاهي دمر ، والى المتحدثين بالسياسة في علب الليل في بيروت .

وبدأت الاصداء تسمع في العواصم العربية المشتركة في الصراع
داخل سوريا وعلى سوريا .. في بغداد وعمان وفي الرياض ثم وصلت
الاصداء الى لندن .. الى باريس .. الى واشنطن .. الى تل ابيب .

واتوقف هنا قليلا ..

استريح لحظة قبل أن أستاذف الحديث ..

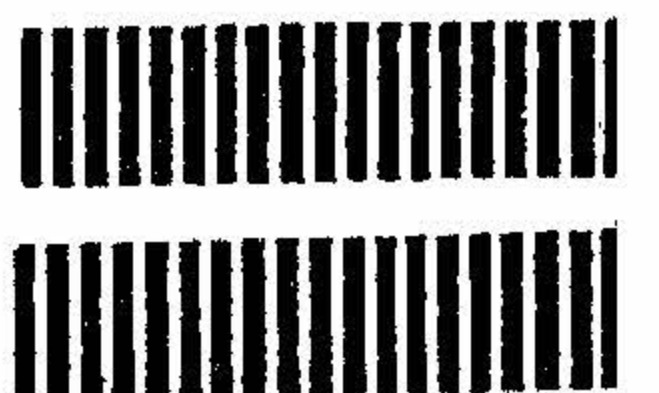
حديث التجربة .. وحديث المستقبل !



من المسؤول عن إتمام الوحدة بين مصر وسوريا؟

القصة كلها كاملة
من أجل الحقيقة والتاريخ!

عفيف البزري



من حيث تركنا الحديث في موضوع «الذي جرى في سوريا»
نعود اليه .

ولكن قبل استئناف الحديث ، لا بد من ملاحظة سريعة وعابرة ، أو
هى تعليق للحقيقة والتاريخ ، على ما أعلنته سلطات دمشق الحاكمة الآن
من أنها سوف تحاكم كل السياسيين الذين شاركوا في صنع الوحدة
بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ .

والملاحظة الصادقة للحقيقة والتاريخ ، هى أن كل السياسيين
السوريين الذين تضدروا عملية اتمام الوحدة بين مصر وسوريا ، أبرياء
من المسؤولية ، لا ذنب لهم فيها ، ولا مؤاخذه عليهم فى كل ما حدث .

انهم لم يقودوا الوحدة .. وانما الحقيقة والتاريخ اتهم انقادوا لها .

انهم لم يصنعوا ذلك التيار الشعبى السورى الذى حقق تجربة
الوحدة الاولى ، وانما هذا التيار الشعبى السورى ، هو الذى صنعهم .

انهم لم يحركوا التاريخ .. وانما التاريخ حركهم .

انهم لم يقرروا الشكل النهائى لما وقع فى فبراير سنة ١٩٥٨ .. ولكن
هذا الشكل النهائى فرض عليهم فرضا .

انما المسؤولية كلها تتحملها الجماهير السورية ، فهى وحدها التى
قادت ، وهى وحدها التى صنعت ، وهى وحدها التى حركت ، وهى
وحدها التى قررت ، وهى وحدها التى فرضت .

ومن ثم فان السياسيين السوريين جميعا ، أو المشتغلين بالسياسة
فى ذلك الوقت من سنة ١٩٥٨ ، كلهم أبرياء ، وكلهم لا ذنب لهم ، ولا
مؤاخذه عليهم .

الجماهير السورية وحدها هي المسؤولة .
والجماهير السورية وحدها هي التي تدفع الحساب .
وانى لاعلم ، مما يصل الى - مما يجرى الآن - في سوريا أنها
تدفعه ... وتدفعه غالبا .
تدفعه بدم مئات القتلى - ولست أقول عدد المئات جزافا - وانما
لأقوله ويعلم الله أننى اتعمد التهوين والتباعد عن المبالغة .
وتدفعه بالمكاسب الشعبية الضائعة ، أرضا ينقض عليها الأقطاع ،
واحتكارات يستردها أصحاب الملايين ، وامتيازات تستعيدوها الطبقة
المسيطرة ، والقلّة الحاكمة ، أما الجماهير فلا يترك لها غير العرق والدم
والدموع على حد تعبير تشرشل المشهور .
واذن فالسياسيون ، أو المشتغلون بالسياسة - بحق الله - أبرياء
وحرام أن يدخل واحد منهم الى السجن .
أما الجماهير السورية ، صاحبة المسؤولية الاولى والاخيرة في كل
ما حدث ، فلقد دخلت السجن على أى حال ووقعت عليها أقصى العقوبات
والعزاء - في كل النكسة الاخيرة - أن الشعوب لا تبقى في السجون طويلا .
وانما الشعوب ، جماهير الشعوب ، سوف تكون لها دائما ...
الكلمة الاخيرة .

ولكن ذلك حديث آخر ..

وأعود الى ما كنت فيه ...

**لماذا حاولت ان أدلي بشهادتي ، تبرئة لكل السياسيين السوريين
الذين كانوا في سوريا في مطلع عام ١٩٥٨ ؟**

والرد ...

- لان تلك هي امانة الحقيقة والتاريخ ، ما دمت قد عرضت نفسي
لدراسة التجربة وألزمت نفسي بمواجهة كل ما حدث . كما حدث فعلا .
ولقد رويت في الحديث السابق كيف كان الجو في سوريا في مطلع
سنة ١٩٥٨ .
رويت حكاية الجيش السوري وانقلاباته المتوالية ، ثم الفرقة التي
أصبحت تمزقه .
رويت حكاية الاحزاب السورية وما كان بينها جميعا من تنافر
وصراع ...

رويت حكاية ضفط حلف بغداد الاستعماري على حدود سوريا ،
وتسلل الحزب الشيوعي في أعماق سوريا .

ثم انتهت الى حكاية الجماهير السورية التي ضاقت بذلك كله ،
وفي نفس الوقت شدتها الى القاهرة ، أحلامها القديمة بالوحدة ، وأحلامها
الجديدة المتطلعة الى «شخصية البطل» ، التي كانت في ذلك الوقت قد
استكملت ملامحها ، بكل ما أحرزه جمال عبد الناصر للنضال العنصري
من انتصارات .

ولقد كانت آخر جملة قلتها في الحديث السابق هي :

«وفي مطلع سنة ١٩٥٨ ، كانت الجماهير السورية كلها تردد بصوت
واحد كالرعد ، هتافها التاريخي ، الذي يحمل كل المشاعر الفوارة التي
فجرها ظهور شخصية البطل .

— عبد الناصر يا جبار .. يا محطم الاستعمار ..

وبدأت أصداء هذا الهدير الشعبي الجماهيري ، تصل الى كل مكان
داخل سوريا .. الى دور الاحزاب المتصارعة .. الى ثكنات الجيش
الخائفة المتربصة ، الى الجالسين منهمكين في «طق الحنك» في نادى الشرق
وفي مقاهى دمر ، والى المتحدثين بالسياسة في علب الليل في بيروت .

وبدأت الاصداء تسمع في العواصم العربية ، المشتركة في الصراع
داخل سوريا وعلى سوريا ، في بغداد وعمان وفي الرياض ، ثم وصلت
الاصداء الى لندن ، الى باريس ، الى واشنطن ، الى تل أبيب .

كان هذا آخر ما توقفت عنده في الحديث السابق .. فكيف تطورت
الحوادث بعدها ؟

أخذ الجيش زمام المبادرة ، وكان ذلك هو الطبيعي ، فان ضباط
الجيش بكتله المتصارعة كانوا في ذلك الوقت هم القوة الحقيقية وراء
الواجهة المدنية ، الهزيلة الضعيفة ، في سوريا تلك الايام .. ويكاد القلم
يسبقني هذه الثانية ويضيف : وهذه الايام أيضا .

ولكنى ارد القلم عن جموحه لاعود به الى تسلسل القصة ، فان الماضى
وتفاصيله مفتاح أساسى للحاضر وتفاصيله .

في ذلك الوقت ، اجتمع قادة الكتل المتصارعة في الجيش ، في شبه
هدنة مؤقتة بينهم ، ثم تناقشوا في أوضاع سوريا ، ثم استقر قرارهم :

«علي أن لا حل ولا أهل في سوريا ، الا بوحدة مع مصر» .

● تستجيب أولا لنداء الجماهير .

● ثم تنهى ثانيا لعبة الحبل المشدود على حافتي الهاوية الذي كانت تسير عليه سوريا بحكم الحالة التي تردت اليها امورها .

وكانوا في ذلك الوقت ٢٢ ضابطا يمثلون ٢٢ كتلة في الجيش السوري ووافقوا جميعا على ذلك الحل برغم ما كان في خواطر كل منهم .

كان احدهم - مثلا - وهو امين النفورى يحلم بانقلاب تقوم به مجموعة الضباط «الشوام» كما يسمونهم .. اى ضباط دمشق ، وكانت هناك عناصر في بغداد تحمسه وتدفعه ، ولكنه لم يكن واثقا من النجاح .

وكان احدهم - مثلا - وهو عفيف البزرى ، يعيش بكل احلامه مع الشيوعية ، ولكن الطريق امامه لم يكن واضحا لعمل محدد يستطيع بعده ان يرفع الراية الحمراء فوق دمشق ، هو ايضا لم يكن واثقا من النجاح .

وكان احدهم - مثلا - وهو عبد الحميد السراج ، لغزا غريبا، يكتفم في داخل نفسه اكثر مما يظهر للناس ، ويريد ان يعرف كل شئ ويمسك بأصابعه كل خيط ، وكان في قلبه صراع عنيف بين المثل الوطنى الاعلى وبين الرغبة فى السلطة والسلطان والرغبة ، وكان من غير شك - يريد الوحدة .. وكان فى نفس الوقت - ومن غير شك ايضا - يريد سوريا ولكن كيف السبيل ؟

هذه مجرد نماذج .. لمسات خفيفة من ضوء على جوانب الصورة .

هكذا ، بالخوف ، وبالحيرة ، وبالشك ، وبالامل ، وبالطموح ، اتفقت كلمتهم جميعا - ٢٢ ضابطا يمثلون ٢٢ كتلة فى الجيش السورى - على ان الوحدة هى الحل وهى المخرج .

وركبوا جميعا طائرة جاءوا بها الى القاهرة ، الا واحدا منهم - هو عبد الحميد السراج - تركوه وراءهم فى دمشق ليمسك بزمام الامور فى غيبتهم ويحفظ الميزان الدقيق المشدود على سلك بين حافتي هاوية - ريثما يعودون اليه .

وصلوا الى القاهرة يوم ١٤ يناير ١٩٥٨ على وجه التحديد .

وطلبوا ان يقابلوا الرئيس جمال عبد الناصر ، ولكنه يومها لم يكن فى القاهرة ، بل كان فى الاقصر مع ضيفه فى ذلك الوقت الدكتور احمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا .

ولست الآن أكتب اعتماداً على الذاكرة وحدها . . وانما أمامي من أوراق القديمة صفحات من مذكرات أحتفظ فيها أحيانا ببعض الذى أراه واسمعه . . .

فى يوم ١٤ يناير قابلهم المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ، والقائد العام للقيادة المشتركة التى كانت تضم الجيش المصرى والجيش السورى فى ذلك الوقت .

وكان يعرفهم جميعا . . وكانوا يعرفونه جميعا . .

وتكلموا معه بما جاءوا من أجله .

وليلتها اتصل المشير عبد الحكيم عامر بالرئيس جمال عبد الناصر فى الاقصر ، وكان رأى جمال عبد الناصر : انه على أى حال سوف يعود فى الغد الى القاهرة وسوف يجتمع بهم لسمع ما عندهم .

وباتوا ليلتهم فى قصر الضيافة ، فى قصر الطاهرة . . أقول باتوا ولا أقول ناموا ، لانه فى تلك الليلة لم ينم منهم أحد وانما ظلوا هناك الى الصباح ساهرين يتحدثون ، ويتناقشون ، وينتظرون الطائرة العائدة من الاقصر ليجتمعوا بعبد الناصر فى المساء ، فى بيته .

وفى الساعة الثامنة مساء خرجت بهم قافلة سيارات حملتهم من قصر الطاهرة الى بيت الرئيس جمال عبد الناصر فى منشية البكرى .

ثم كان اجتماع ، سيظل — مهما كان ومهما سوف يكون — من أهم صفحات التاريخ العربى المعاصر .

وتحدثوا جميعا فيما جاءوا من أجله ، وساقوا له المبررات .
وصفوا حالة الفرقة بينهم ، وصفوا حالة «الاستنفار» الطوارىء الدائمة فى الثكنات لان كل منهم يتوجس من الآخر .
وصفوا حالة سوريا الضائعة بين أحزابها . . وبين ضغط حلف بغداد عليها فى الداخل والخارج وبين تسلل الشيوعيين الى الأعصاب الحساسة للوطن السورى .

تحدثوا عن أسلحة حلف بغداد التى يجرى تهريبها عبر الحدود وعن مخططاته للسيطرة على سوريا .

تحدثوا عن نشاط خالد بكداش وعن حى الاكراد الذى حوله فى دمشق الى قلعة مسلحة لا يجسر على الاقتراب منها غريب .

تحدثوا عن الشخصيات السورية السياسية المتهالكة ، بعضهم يمد يده للرياض استجداء لمالها الذي لا ضابط له ولا حساب ، وبعضهم يترك جيوبه لبغداد تحشوها له بما تقدر عليه بغداد من فيض الخير والرزق .

وقال جمال عبد الناصر :

— هذا كله لا يبرر قيام وحدة ، تلك كلها أسباب سلبية ، سوف تكون عبئا على الوحدة اكثر ما تكون قوة دافعة لها .

قالوا :

— لكن الشعب في سوريا كله يطلب الوحدة . . . ان الوحدة مطلبه الدائم . . . والوحدة مع مصر بالذات هي التيار الكاسح في سوريا كلها الآن . . .

والناس في سوريا يحسون انهم «يقبلون» وان مصر «تصددهم» .

ومجلس النواب السوري اتخذ قرارا بالوحدة مع مصر ، ولكن مجلس الامة المصرى لم يستجب . . . وظل أسابيع طويلة بين التردد والاحجام ، ولا يجيب على الاشارة الموجهة اليه من المجلس النيابى السوري . . . وان هذا وضع يجرح الشعور الشعبى في سوريا .

وقال عبد الناصر :

— ان الوحدة ليست بالعمل السهل . . . لقد بدأنا الآن — بالكاد — بعد معارك عنيفة مع الاستعمار نوجه كل طاقتنا لبناء مصر ، وأملى في بناء مصر هو ان تكون قاعدة قوية ، من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لنضال باقى الشعوب العربية .

ان أملى ان نجعل مصر نموذجا للعمل الوطنى . . . ورغم ما فى ذلك من مشقة فان هذا هو طريقنا الوحيد ، ليس للتطوير فقط ، ولكن للوحدة ايضا .

انى أريد أن نجعل مصر البلد «النواة» للتطوير العربى ، وسوف يكون لذلك كله اثره فى تدعيم الدعوة الى الوحدة عمليا وواقعا وإيجابيا .

وقالوا له :

— تريد أن تعمل ذلك لمصر . . . وتترك سوريا التى علقت آمالها على مصر وعليك . . . أنت بذلك تتخلى عن دعوة القومية العربية كلها من أجل مصر وحدها . . .

وابتسم جمال عبد الناصر . . .

وتطلعوا اليه جميعا . . .

وقال لهم على الفور :

— اننى أريد ان اتكلم معكم بوضوح . . . وأنا أعرفكم جميعا وأعرف
حسن مقاصدكم ولكنى أريد أن أسألكم سؤالا واحدا :

«ما هى صفتكم فى الحديث معى عن هذا الامر ، وإنتم غير مسئولين؟»

واستطرد جمال عبد الناصر :

— هل يعرف شكرى القوتلى انكم هنا تتحدثون معى فى ذلك كله ؟

قال أحدهم :

— شكرى القوتلى سوف نبعث له بأمين النفورى يحمل اليه رأى
الجيش ، وليس أمامه الا أن يقبل ، انه لا يقدر أن يعارض على الاطلاق
اى شىء نطلبه .

وقال جمال عبد الناصر ، وأكد أضيف ، قال بالحرف الواحد ،
فالكلمة عندى مكتوبة كما سمعتها فى اليوم التالى من أحد الضباط
السوريين الذين حضروا الاجتماع .

قال جمال عبد الناصر :

— متأسف . . . لا أستطيع ان اقبل هذه الاوضاع .

انا أعرف انكم تمسكون فى أيديكم بزمام القوة الحقيقية فى سوريا .
ولكنى من ناحيتى لا اقبل فى مثل هذه الامور ان اتحدث وإن أبحث
الا مع حكومة مسئولة .

وساد الصمت لحظة ..

وقال أحدهم :

— هل تعطينا وقتا نتصل بالحكومة . . سوف نبعث — اذا وافقت
برسول منا بالطائرة غدا الى الحكومة يعرض عليها الموقف ويستطلع
رأيها ، وسنبقى نحن هنا حتى يعود الرسول برأى الحكومة الرسمى . .
ولا نريد ان نمشى من هنا الا ونحن نعرف الى أين قرارك بالتحديد .

وفى اليوم التالى ، فى الفجر ، قامت طائرة تحمل أحدهم الى دمشق
وفى العصر عادت الطائرة الى القاهرة ، فيها راكب الفجر ، ورفيق آخر
معه هو صلاح البيطار وزير الخارجية السورية فى ذلك الوقت ممثلا
رسميا للحكومة .

ليلتها - ١٦ يناير ١٩٥٨ - كان السيد عبد اللطيف البغدادي رئيس مجلس الامة في ذلك الوقت ، يحتفل بذكرى اصدار دستور ١٦ يناير ، وكانت مأدبة عشاء في مبنى مجلس الامة .

وذهب الضباط الاثنان والعشرون . . ومعهم وزير الخارجية صلاح البيطار الى مأدبة العشاء في مجلس الامة .

وكان وجودهم هناك جميعا ، ومعهم بعض أعضاء مجلس النواب السوري . . صلاح البيطار . . مظهرة في طلب الوحدة .

واقترب صلاح البيطار من الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يحضر العشاء وقال له :

- لقد جئت ممثلا للحكومة السورية . .

وانتهى العشاء . . وعاد الرئيس جمال عبد الناصر الى بيته . .
وذهبوا جميعا وراءه ، ٢٢ ضابطا يمثلون كتل الجيش السوري المختلفة . . الحاكمة ، صلاح البيطار يمثل الحكومة السورية الرسمية التي لم تكن تحكم .

وعند منتصف الليل . . في الدقيقة الاولى من يوم ١٧ يناير ١٩٥٨ كانوا جميعا في بيت الرئيس جمال عبد الناصر الذي جلس امامهم وبجواره المشير عبد الحكيم عامر .

وتكلم صلاح البيطار . . وزير الخارجية . .

قال :

- ان الحكومة السورية موافقة على اتمام الوحدة بين مصر وسوريا .

بل ان الحكومة ترحب بذلك ، كمطلب شعبي ، وكطريق لاستقرار سوريا . . .

وقفز الباكون جميعا وراء كلمات صلاح البيطار ، يطلبون الوحدة ويلحون في طلبها .

ومضت محاولة الاقناع ساعات .

وقال جمال عبد الناصر :

- اننى مستعد لقبول المبدأ ولكن على أساس ثلاثة شروط :
اننى اقبل المبدأ تحقيقا لمطلب الشعب السوري ، ولكى لا تضيع سوريا . . .

ولكن شروطى الثلاثة هى :

أولا - أن يتم استفتاء شعبى على الوحدة ، ليقول الشعب فى سوريا وليقول الشعب فى مصر رايه الحر فى التجربة ويعبر عن ارادته .

ثانيا - أن يتوقف النشاط الحزبى فى سوريا توقفا كاملا ، وأن تقوم الاحزاب السورية بحل نفسها .

ثالثا - أن يتوقف تدخل الجيش فى السياسة تدخلا تاما ، وأن ينصرف ضباطه الى أعمالهم العسكرية ، ليصبح الجيش أداة دفاع وقتال ، وليس أداة سلطة فى الداخل وسيطرة .

وسكتوا جميعا ...

واستطرد جمال عبد الناصر :

- اننى أعلم أنكم جميعا سوف توافقون على شرط الاستفتاء الشعبى ولكن باقى الشروط لها أهميتها فى تقديرى .

ان صلاح البيطار هنا ، وصلاح البيطار ممثل لحزب البعث وهو من أكبر الاحزاب السورية ، فهل حزب البعث على استعداد لان يحل نفسه ويوقف نشاطه الحزبى ؟

ثم ، من ناحية أخرى ، انتم هنا جميعا ٢٢ ضابطا يمثلون كتلا مختلفة فى الجيش أقرب الى الاحزاب السياسية منها الى الوحدات العسكرية فهل تقبلون الابتعاد عن السياسة ؟

ان هذا الذى اقله لكم فعلته فى مصر .. حتى مع الدين خرجوا معى ليلة ٢٣ يوليو ليقوموا بالثورة ..

لقد قلت لهم جميعا يوما ، انهم باشتراكهم فى الثورة قاموا بعمل سياسى ، وهو عمل سياسى وطنى فى تقديرى ، ولكنهم بعده لم يعودوا صالحين لنظم الجيش وتقاليده ولضرورة تسلسل القيادة فيه لتبقى له كفايته المقاتلة .

ان الدين كانوا معى فى اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الاحرار خرجوا معى من الجيش وأصبحوا وزراء سياسيين .

والدين شاركوا فى عملية الثورة طلبت منهم - اعتمادا على وطنيتهم - أن يبتعدوا عن الجيش وأن يبدأوا وجودا جديدا فى الحياة المدنية ...

فهل انتم على استعداد لذلك ؟

وقال صلاح البيطار :

— انه لا بد أن يعود في هذا الشأن الى قيادة حزب البعث .

وقال الضباط الاثنان والعشرون :

— نحن نفعل ما تأمرنا به .. ان أردتنا في الجيش بقينا ، وان أردت احدا منا في أى منصب مدنى سياسى فلسوف يطيع الامر .

وقال جمال عبد الناصر :

— لقد اوشك الصبح ان يطلع ، فاذهبوا الآن وفكروا .
فكروا بين انفسكم .. ابحثوا الامر كما يحلو لكم .. وخذوا وقتكم
في بحثه ...

وخرجوا من بيته الى قصر الطاهرة ومعهم صلاح البيطار ..
لم يناموا دقيقة واحدة في ليلتهم الثالثة في القاهرة وانما
جلسوا يتحدثون .. ويتناقشون وأكثر من ذلك يتصايحون بالحدة
والعصبية .

وكان واضحا أن الشرطين الاخيرين لجمال عبد الناصر لمسا
الاوتار الحساسة في الحياة السياسية في سوريا بالطريقة التى كانت
تجرى عليها .

لم يكن الاستفتاء الشعبى موضوع سؤال فقد كان التيار الشعبى
واضحا كاسحا ..

ولكن الاحزاب السورية ؟

هل تقبل ان تحل نفسها ؟

وضباط الكتل في الجيش السورى ؟

هل يتنازلون طواعية عن سلطانهم القوى ؟

كانت هناك آراء متضاربة ، متصارعة .

كان لعفيف البزرى رأى في شرط الاحزاب خصوصا بالنسبة للحزب
الشيوعى السورى .

وكان لبعض الضباط من ذوى الآراء الموالية لحزب البعث رأى في
نفس الشرط .

وآخرون كانت لهم آراء في عملية ابتعاد الجيش عن السياسة .

وأرسلوا يجيئون بعبد الحميد السراج من سوريا يسألونه :

— كيف الناس ؟

وقال عبد الحميد السراج :

— ان تيار الوحدة متدفق ولا يمكن إيقافه .

واجتمعوا ليلتها جميعا ، مرة أخرى ثالثة ، وعبد الحميد السراج معهم ، بالرئيس جمال عبد الناصر ، وكان لا يزال عند شروطه كلها ، لم يتنازل عن واحد منها ، وخرجوا من عنده قرب الفجر يركبون طائرة تعود بهم الى دمشق .

وكانت الحقيقة الكبرى في الطائرة معهم وهم عائدون :

— ان التيار الشعبى وأوضاع سوريا الخارجية والداخلية ، وما بينهم هم أنفسهم ، تجعل الوحدة امرا محتما مهما كانت شروط الرئيس جمال عبد الناصر .

وجاء كل الساسة من سوريا . . وفي طبيعتهم شكرى القوتلى .

وبين الظروف الواقعة ، وبين شروط جمال عبد الناصر ، لم يكن هناك مخرج ثالث سهل .

وكان الالحاح الشعبى السورى يكاد يقتحم كل غرفة من غرف الاجتماعات .

كانت ارادة الجماهير السورية هى العامل الضاغط والموجه .

وقبل الوحدة من السياسيين السوريين من قبلها في ذلك الوقت وفي ذهن كل منهم :

أولا — أن يفلت من الضغط الشعبى الذى يحاصره .

ثانيا — أن يجد لنفسه في الاوضاع الجديدة — بعد الوحدة — مكانا يستطيع منه أن يباشر العمل لنفسه ولاهدافه التى لم يجد لها مخرجا في الدقيقة الستين من الساعة الرابعة والعشرين .

وكان فيهم من أسعده الخلاص من المسئولية ، وإذكر وأنا اكتب هذه السطور كلمة شكرى القوتلى عندما وقع بامضائه الاتفاق الاول على الوحدة ، وأذكر الكلمة بحروفها — للحقيقة والتاريخ برغم ضعفى

الشديد - الذى اعترف به - أمام الرجل العجوز الطيب الذى عاش
فى ظروف اقوى من طيبته .

قال شكرى القوتلى بعد أن وقع بامضائه على اتفاق الوحدة ، قال
بلهجة العالية وبطريقته المشهورة :

- ها ... أنت لا تعرف ماذا أخذت يا سيادة الرئيس !!

أنت أخذت شعبا يعتقد كل من فيه أنه سياسى .

ويعتقد خمسون فى المائة من ناسه أنهم زعماء .

ويعتقد ٢٥ فى المائة منهم أنهم انبياء .

وهناك عشرة فى المائة على الاقل يعتقدون أنهم آلهة .

واستطرد شكرى القوتلى :

- أخذت ناسا فيهم من يعبد الله ، وفيهم من يعبد النار ، وفيهم
من يعبد الشيطان ، وفيهم من يعبد «...» !

وذكر شكرى القوتلى كلمة لا أستطيع أن اضيعها على الورق .

ونظر جمال عبد الناصر الى شكرى القوتلى وقال ضاحكا :

- لماذا لم تقل لى ذلك قبل ان أوقع على الاتفاق بامضائى ؟

ولم تكن تلك نهاية أحداث ذلك اليوم العجيب .. الخالد برغم
ذلك فى تاريخ الامة العربية وفى نضالها من أجل الوحدة .

فى نفس اليوم .. تلقى الرئيس جمال عبد الناصر من دمشق تقريرا
خاصا حمله رسول بالطائرة عن اتصال قام به الملك سعود مع
عبد الحميد السراج ، يفريه على أساسه بأن يقوم بانقلاب يمنع اجراء
الاستفتاء على الوحدة ، مقابل أى مبلغ يريده عبد الحميد السراج .

ولم يجد جمال عبد الناصر فى نفسه القدرة على أن يصدق .

بل حتى عندما أرسل عبد الحميد السراج من دمشق ، الشيك
الاول الذى قدمه له الملك سعود ، الشيك رقم ٨٥٩.٢ المسحوب على
البنك العربى بالرياض ، بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٥٨ - بمبلغ مليون جنيه
استرلينى .. حتى ذلك الوقت كان جمال عبد الناصر يهز رأسه فى
شك ولا يتصور أن تصل الامور الى هذا الحد .

وبعث جمال عبد الناصر - يريد أن يقطع الشك باليقين - رسالة

الى عبد الحميد السراج يطلب منه أن يحاول صرف المبلغ .. وصرف المبلغ فعلا وحول الى حساب عبد الحميد السراج في البنك العربي في دمشق ، وفوقه شيكان آخران أحدهما بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه استرليني رقمه ٨٥٩.٣ مسحوب من البنك العربي بالرياض ، والثاني بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه استرليني رقمه ٨٥٩.٤ مسحوب من البنك العربي في الرياض كذلك .

هنا لم يبق مجال لشك ، ولا لهزة رأس حائرة .

ومن أعجب العجب أنه في نفس الوقت الذي كان ذهب الملك سعود يتسلل داخلا الى دمشق كان خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري ، يتسلل من دمشق خارجا .

وكانت الجماهير في شوارع كل مدينة سورية وكل قرية تهتف وتغنى ...

كانت تعيش يوم انتصارها

ولكن كثيرين في المنطقة وخارجها كانوا يعتبرون يوم الوحدة هزيمة لهم ...

ولم يستسلموا للهزيمة بالطبع فقد كان في أيديهم سلاح كثير يحاربون به ..

ان مخازن الاسلحة فيها كثير مما يمكن استعماله .. الذهب .. والرصاص .. والقنابل .. والاذاعات .. والمؤامرات .. وسموم الشكوك .

ترسانة مليئة بالاسلحة التي يمكن أن تتحرك لضرب فرجة الجماهير بيوم انتصارها .. وتحركت أسلحة .. وتحفزت أسلحة أخرى .

ومضت المعركة ضد الوحدة قاسية ، رهيبة ، دامية ، مدمرة ، حاقدة ...

ولقد لهتت حتى وصلت الى هنا .. وانتظر قليلا .. ولسوف اعود الى الكلام ...

ما أُسِبه الليلة بالبارحة

من هو الصامت الذي
كتم أنفاسه واننظر
وعليه عباءة من ظلام
وفوق رأسه عقان
من ذهب

لا أريد أن أتهم..
ولكني أسأل..
مجرد سؤال!



ما الذى حدث بعد أن أصبحت الوحدة أمرا واقعا، فرضته ارادة الجماهير في سوريا . ثم هرول ساسة سوريا وحكامها في ذلك الوقت من بداية سنة ١٩٥٨ ، ليخلقوا ب ارادة الجماهير ويتعلقوا بذيلها ، حتى يحتفظوا لانفسهم ببقايا نفوذ ؟

كانت الصورة النهائية التى رسمت بها في الاسبوع الماضى شكل الموقف في سوريا بعد اتمام الوحدة كما يلى :

« كانت الجماهير في شوارع كل مدينة سورية وكل قرية تهتف وتغنى

كانت تعيش يوم انتصارها

ولكن كثيرين في المنطقة وخارجها ، كانوا يعتبرون يوم الوحدة هزيمة لهم ولم يستسلموا بالطبع فقد كان في أيديهم سلاح كثير يحاربون به

ان مخازن الاسلحة فيها كثير مما يمكن استعماله ... الذهب ، والرصاص ، والقنابل ، والاذاعات ، والمؤامرات ، وسموم الشكوك

ترسانة مليئة بالاسلحة ، التى يمكن أن تتحرك لضرب فرحة الجماهير يوم انتصارها وتحركت اسلحة ، وتحفزت اسلحة أخرى

ومضت المعركة ضد الوحدة قاسية ، رهيبة ، دامية مدمرة ، حاقة » !

كانت هذه هي الصورة يومها .. فما الذى حدث بعد ذلك ... وكيف تطورت الحرب ضد الوحدة

لقد قضيت ساعات طويلة من هذا الاسبوع في تجربة مثيرة .

حين أردت أن أستعيد في ذاكرتي صورة المعركة التي وجهت الى
الوحدة في يومها الاول ، وجدت نفسي أعود الى أحداث بداية سنة
١٩٥٨ ، والى صحفها ، والى أوراقها ، والى اذاعاتها

ولاول وهلة أحسست بشيء غريب !

ان الذي حدث ، وقيل ، وكتب ، وأذيع ، ضد الوحدة في يومها
الاول ، هو نفس الذي حدث ، وقيل ، وكتب ، وأذيع ، في يومها الاخير !
نفس الأحداث ... نفس الاقوال ... نفس الكتابات ... ونفس
الاذاعات لم يتغير شيء منذ اللحظة الاولى ... حتى اللحظة الاخيرة

الملك سعود ، حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ،
الذي دفع لعبد الحميد السراج مليوني جنيه استرليني فعلا ، وعرض
عليه ٢٠ مليون جنيه استرليني وعدا ، اذا ما قام بانقلاب يمنع قيام
الوحدة ... هو نفسه حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز
الذي كانت أمواله هي ، القوة المحركة للانقلاب الذي تم ضد الوحدة فعلا
بعد ثلاث سنوات ونصف سنة من اتمامها ... بعد ثلاث سنوات
ونصف سنة من محاولته الاولى ضدها

لقد رفض عبد الحميد السراج ذهب الملك سعود سنة ١٩٥٨

ولكن غير عبد الحميد السراج لم يجد في نفسه القدرة الكافية
على الرفض سنة ١٩٦١

وفي سنة ١٩٥٨ ، كان صهر الملك سعود هو رسوله الى الضابط
الذي رفض العرض بمليونين جنيه استرليني ، وكشف المؤامرة كلها
وفي سنة ١٩٦١ ، كان صديق الملك سعود ، ملك آخر ، ما زال
الان على عرش الاردن ، هو رسوله الى الضباط الذين لم يرفضوا ،
والذين اشتركوا في المؤامرة .

وفي سنة ١٩٥٨ ، حاول الملك سعود مع كل ساسة سوريا القدامى ،
ليوقف التيار المتدفق نحو الوحدة ، وجرب معهم كل وسائل الضغط ،
وفي مقلداتهم السيد شكري القوتلي ، وكان السيد شكري القوتلي يشعر
دائما بجماثل الرياض تطرق عنقه ، وبينها انه لما حدث ضده انقلاب
حسني الزعيم سنة ١٩٤٩ ، لم يجد بابا مفتوحا يومها غير باب الرياض ،
وكان الملك عبد العزيز آل سعود يعطيه في ذلك الوقت عشرة الاف جنيه
في الشهر مرتبا ثابتا له باعتباره لاجئا سياسيا لاذ برحابه .

ولكن الرجل العجوز الطيب ، شكري القوتلى ، اعتذر للملك
سعيد وقتها بأنه لا يملك من الأمر شيئاً

ولما ظهرت تفاصيل محاولة الملك سعود مع عبد الحميد السراج في
ذلك الوقت كان شكري القوتلى في حالة ذهول ، ولكنه في ذلك الوقت
حاول جهده أن تبقى التفاصيل طي الكتمان ولا تذاع

وكان شكري القوتلى - والشهادة الآن للحقيقة والتاريخ - منطقياً
في محاولته بل ويومها سمعته بأذنى يقول :

- ان والده ، يقصد الملك عبد العزيز والد الملك سعود ، صاحب
فضل على لا أنساه ... لقد فتح لى بابه يوم محتى ، وأفاض على من
عطائه يوم خرجت من سوريا لا أملك شيئاً

وفي سنة ١٩٦١ ، كان الملك سعيد ، هو نفسه الذى ضغط بكل
قوته على شكري القوتلى لكي يؤيد الانقلاب ضد الوحدة ، وهو نفسه
الذى بعث إليه بالرسل في زيورخ يقنعونه ويؤثرون عليه ، لان انقلاب
دمشق ضد الوحدة ، كان يحتاج الى وجه شعبي يؤيده ويسنده

وبعد ثلاثة عشر يوماً من الصمت الكامل ... خرج شكري القوتلى
عن صمته

ولست أريد أن أعرض بعد ذلك لشكري القوتلى ، فان بى نحوه
ضعفاً لا أقدر أن أغالبه

ولسوف يكون التاريخ على أى حال ، أقوى منى ، فان التاريخ في
حكمه على الأحداث ، يجردها من كل عاطفة فردية

وفي سنة ١٩٥٨ ، وفرح الوحدة يملأ أعطاف الامة العربية كلها ،
ظل الملك سعود وحده مكتوم النفس ، متوارياً عن الانظار في ظلام المؤامرة
التي حرض عليها ولم تنجح

وفي سنة ١٩٦١ ، ومأساة الوحدة تهز ضمير الامة العربية كلها ،
ظل الملك سعود وحده مكتوم النفس ، متوارياً عن الانظار في ظلام المؤامرة
التي حرض عليها ونجحت

وعندما وقع التمرد في دمشق ، أبدى معظم رؤساء الدول العربية
اهتمامهم بما يجرى وقلقهم من تطوراتها ، ملك المغرب ... الحبيب
بورقيبة رئيس جمهورية تونس ... الرئيس ابراهيم عبيد رئيس
حكومة السودان ... امام اليمن ... كلهم تقريباً ، وغيرهم في العالم
المتحرر أو أغلبهم ، تكلموا ... ما عداه

كل الذى فعله لحظة جاءه التبا بان المؤامرة ضد الوحدة نجحت
.. انه قام ورقص رقصة السيف السعودية المشهورة ، ثم عين الذى
جاءه « بالبشرى » وهو سكرتيره السيد عبد الله أبو الخير وزيرا في
الوزارة السعودية ، ثم كتم أنفاسه وقبع ... ساكتا عليه عباءة من ظلام
وفوق رأسه عقال من ذهب !
ما أشبه الليلة بالبارحة !

وفي يوم ٢٨ فبراير بالذات سنة ١٩٥٨ ، أى بعد أيام من اتمام
الوحدة ، اذاع راديو بغداد ، الذى كان يعبر في ذلك الوقت عن وجهة
نظر الاسرة الهاشمية الحاكمة من فوق عرش العراق الذى تنهار بعد
ذلك بستة شهور قوله :

« أن الوحدة بين مصر وسوريا لا تعدو أن تكون « تسلطا » مصريا
على سوريا »

واذاع راديو عمان ، الذى ما زال حتى الان يعبر عن بقايا الاسرة
الهاشمية ، قوله :

« ان هذا الذى تم بين مصر وسوريا ، ليس وحدة وانما هو « ابتلاع »
قامت به مصر لسوريا » .

واذاع راديو اسرائيل ، الذى هو صوت عدو العرب بلا جدال ، في
نشرة اقوال الصحف في الساعة الواحدة الا ربعا بعد الظهر قوله :

« ان الوحدة بين مصر وسوريا هي خطوة في أحلام عبد الناصر
باقامة امبراطورية عربية من المحيط الى الخليج » .

وفي نفس اليوم ، روى السيد عبد الحميد السراج ، في حديث
نقلته وكالات الانباء من دمشق ، أن وسيط الملك سعود قال له في
محاولة اقناعه بالقيام بانقلاب ضد الوحدة ما نصه بالحرف :

« ما الذى سوف تجنونه من الوحدة مع مصر .. ان المصريين
سوف يحكمونكم ... »

وفي يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ... يوم الانقلاب ضد الوحدة ، لم
تكن هناك غير هذه المعانى المسمومة التى رددتها كل أعداء الوحدة في
لحظة ميلادها

في هذا اليوم ترددت نفس المعانى القديمة بألفاظها ، بحروفها ..
ترددت من نفس الاذاعات :

لقد كانت الوحدة « تسلطا » مصريا على سوريا

لقد كانت الوحدة « ابتلاعا » مصرىا لسوريا
لقد كانت الوحدة « امبراطورية » ارادها عبد الناصر لتحقيق
احلامه

لقد كانت الوحدة « حكما » مصرىا لسوريا
ما اُشبه الليلة بالبارحة !

بل وفى التفاصيل يظهر التطابق بين الامس واليوم
فى يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٥٨ ، فى الساعة الحادية عشرة من
المساء قال « راديو مصر الحرة » الاذاعة السرية الموجهة الينا من فرنسا
ما نصه بالحرف الواحد :

« لقد سافر السيد الشرباصى وزير الاشغال فى حكومة عبد
الناصر الى سوريا للبحث فى امكانية استيعاب ارض سوريا للمليون من
الفلاحين المصريين ، وكذلك لاتخاذ الترتيبات المعيشية للمليون مهاجر
مصرى . . ان الاستفتاء على الوحدة لم يتم حتى الان ، وما زالت
الوحدة حبرا على ورق ومع ذلك بدأت عملية الاستغلال »

بالحرف الواحد قيل ذلك كله من الاذاعة التى توجهها الينا فرنسا
يوم ١٠ فبراير ١٩٥٨ ، والقصد منه تصوير الوحدة باعتبارها طمعا
مصرىا فى اراضى سوريا

وبعد ثلاث سنوات ونصف سنة ، وبالتحديد فى يوم ١٧ اكتوبر
١٩٦١ ، قالت اذاعة دمشق ، التى تنطق بلسان السلطات الحاكمة او
المتحكمة فى سوريا الان ، ما نصه بالحرف الواحد ، فى برنامج اطلقت
عليه عنوان « هل تعلم » اذيع فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ما يلى :

« ان تهجير الفلاحين المصريين الى الجزيرة فى سوريا كان املا من
الامال الكبار التى كان يتطلع اليها الحكام فى العهد السابق - وقد ظل
الحكام السابقون يعملون لتنفيذ هذه الخطة باحكام وتؤدة وبخطوة وراء
خطوة وبصورة غير مباشرة حتى لا يثيرون يقظة العرب السوريين

وقد زار سورية فى منتصف العام الماضى الدكتور مصطفى الجبل
رئيس قسم الامراض فى جامعة الاسكندرية والدكتور على الحسنى
استاذ المحاصيل ورئيس قسم النبات فى الجامعة نفسها ،
على راس بعثة من خبراء التربة واستصلاح الاراضى ، وقامت البعثة
بزيارة محافظتى الجزيرة . . ودرست امكانية استيعابهما والمشاريع
الزراعية التى يمكن ان تنفذ فى هاتين المحافظتين ، وعندما عادت البعثة

الى مصر قام الاستاذان المصريان برفع تقرير الى الرئيس عبد الناصر من جولة البعثة وضمناه دراستهما حول المهمة التي أوكلت اليهما وقد أكد الخبيران المصريان في تقريرهما امكانية تهجير الفلاحين المصريين الى المنطقة ، ولم تمض فترة وجيزة على عودة البعثة حتى تدفق عشرات الخبراء المصريين من مهندسين زراعيين وخبراء فنيين في بحوث التربة والمشاريع لزراعية والتهجير والاسكان واستصلاح الاراضي .»

هكذا تقول اذاعة دمشق في اكتوبر ١٩٦١ ، نفس ما قالته اذاعة فرنسا السرية في فبراير سنة ١٩٥٨

تقول نفس الكلام .. بالفاظ مختلفة ، وبمعنى واحد هو تصوير طمع مصر في تهجير فلاحين من ابنائها الى سوريا .
والذي يدمى القلب ويجرحه ، ان اذاعة دمشق سنة ١٩٦١ كانت تعرف اسباب الدراسة التي قام بها الاساتذة المصريون والخبراء في منطقة الجزيرة . كانت تعرف ان الجمهورية العربية المتحدة وقت الوحدة - بعد هذه الدراسة - وقعت في يوم ٦ يوليو ١٩٦١ اتفاقا مع ألمانيا الغربية بقرض قيمته ٥٠٠ مليون مارك لبناء سد عال على الفرات

وكان سد الفرات كله سيبنى للفلاحين السوريين .

وكان الشرباصى وزير الاشغال حين زار سوريا في فبراير سنة ١٩٥٨ يفكر في مشاكل الفلاح السورى

وكان الخبراء المصريون والاساتذة المدين طافوا بحوض الفرات على حذرواية اذاعة دمشق - يفكرون في مشاكل الفلاح السورى

ولكنها أكاذيب العدو من اول يوم الى آخر يوم ، أكاذيب العدو وخطته

وما اشبه الليلة بالبارحة !

وفي سنة ١٩٥٨ ، تحرك ملوك وامراء الاسرة الهاشمية الذين ذهب معظمهم تحت التراب ، وما زال واحد منهم باقيا يتمرغ فوقه - تحركوا جميعا ليواجهوا تيار الوحدة الشعبى الكاسح

وكانت حركتهم هي « الاتحاد الهاشمى » الذى ضم العراق ولاردن في ذلك الوقت ، ثم هدمته ارادة شعب العراق بعد ستة شهور من اقامته

في ذلك الوقت حاولت الرجعية في المنطقة أن تزيف شعار الوحدة وترفع علما ملونا جديدا .. اى علم !

وفي سنة ١٩٦١ ، بعد الضربة التي وجهتها الرجعية الى اول تجربة شعبية في الوحدة العربية ، لم يجد حكام دمشق الا ان يعلنوا مشروعا جديدا للوحدة كما يتصورونها أو كما تتصورها مصالحهم الرامية الى المضي في استغلال الجماهير

في سنة ١٩٥٨ زيفت الرجعية شعار الوحدة خوفا من اندفاع التيار الشعبي نحوها

وفي سنة ١٩٦١ زيفت الرجعية شعار الوحدة خوفا من رد الفعل الشعبي بعد النكسة التي واجهتها التجربة بالؤامرة على سوريا

واكثر من ذلك فيما يتعلق بالاتحاد الهاشمي ، بعملية تزيف الوحدة التي جرت به استذكر موقف اسرائيل ..

استذكر موقف اسرائيل وامامي اوراق ووثائق وصحف تلك الايام

في ذلك الوقت - وليس ما اقله الان سرا يذاع لاول مرة - الفصل السيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق وقتها ، بالسير ميكل رايت السفير البريطاني في بغداد ، وطلب اليه ان تتصل الحكومة البريطانية من ناحيتها بحكومة اسرائيل وان تخطر بها بالاتحاد المزمع عقده بين العراق والاردن تحت اسم الاتحاد الهاشمي ، وذلك حتى لا تكون الخطوة مفاجأة لاسرائيل ومن ثم يكون الخطأ في تقديرها ، ثم يضايقها بعده ان تدخل وحدات من الجيش العراقي الى الاردن

ولم يعلن من امر الاتحاد الهاشمي يوما شيء الا بعد أن عاد السير ميكل رايت سفير بريطانيا في بغداد يوما الى مقابلة السيد نوري السعيد ، وليعطيه على ما قالت الصحف البريطانية : الضوء الاخضر من اسرائيل ، علامة معناها : تقدم ، ونحن نفهم موقفك

وتقدم نوري السعيد بعدها ... وبعدها فقط ... ثم اعلن قيام الاتحاد الهاشمي !

ذلك كله مما حدث سنة ١٩٥٨ معروف مشهور ... ليس فيه سر ولم يبق في تفاصيله خفاء .

ولكني أريد أن أسأل : ما الذي حدث في سبتمبر ١٩٦١ ؟

لا داعي أن لدى سرا اذيعه ليو وثيقة انشرها ... ولكني اسأل
وانتظر الحوادث والايام لتجيب ؟

ما الذي حدث ؟

ان ثمة حقائق لا تقبل النقاش أو الشك :

١ - لقد أعلن الملك حسين بنفسه أن جيش الاردن كان محتشدا
على الحدود السورية كلها من قبل الانقلاب السوري الاخير لكي يشد
أزره ويناصره
واسأل هنا :

● كيف استطاع الملك حسين أن يسحب جيشه كله من أمام
اسرائيل وأن يضعه على الحدود السورية .. ومن الذي ضمن
له أن لا تتحرك اسرائيل ؟

● لا يمكن لاسرائيل إلا أن تلاحظ أن جيش الملك حسين قد سحب
من امامها ، ولا يمكن لها إلا أن تلاحظ أنه قد حشد بأكمله عند
خط الحدود مع سوريا ... فكيف فهمت اسرائيل هذه الحركة
وسكنت ... ومن الذي أفهمها ومن الذي ضمن سكوتها ؟

٢ - أن معسكر قطنة الذي تحركت منه الدبابات التي قامت
بالانقلاب السوري الاخير يبعد عن حدود اسرائيل بثلاثين كيلو مترا
فقط ...

واسأل هنا :

● كيف اطمأن الذين قاموا بالانقلاب الى أن اسرائيل لن تشعر
بهذه الحركة أو تستغلها بعد وقوعها لصالحها ولصالح مطامعها في
سوريا وهي معروفة ظاهرة ؟

واضيف هنا أنني لا اتهم .. وانما أنا أسأل فقط ؟

٣ - إن دمشق على بعد ٦٠ كيلو مترا من اسرائيل ، والخط
الاسرائيلي على سوريا لا يحتاج الى دليل جديد ، ولقد أفهم - بصرف
النظر عن مبادئ الخاصة وعن رأي - أن يقوم في دمشق من يقول :
اننا نريد الوحدة مع مصر !

ولكن هذا شيء واعتقال ٧٠٠ ضابط مصري في سوريا ، واساءة
معاملتهم ، الى درجة تمزق كل صبر ، مسألة أخرى !

لقد اخرجتهم حكومة الانفصال من مواقعهم المواجهة للعدو ..
ليكن ..

وقالت لهم أن لا مكان لهم في سوريا .. ليكن

ولكن يبقى بعد ذلك - وهذه حقيقة بدهية - ان الجيش المصرى ، وهؤلاء الضباط بين افراده ، هو القوة الوحيدة القادرة على مساندة الجيش السورى يوما في معركة ضد اسرائيل !

● واسأل ... اسأل مجرد سؤال ... على من تعتمد اذن حكومة دمشق اذا ما واجهتها يوما اخطار معركة مع اسرائيل ؟

واجد في ملفاتي القديمة صورة كاريكاتورية نشرتها جريدة نيويورك تيمس الامريكية ، المتشعبة لاسرائيل كما يعرف كل عربى ، والصورة منشورة في اليوم السادس من فبراير ١٩٥٨ .

« الصورة كماشة لها فكان تمثل الوحدة بين مصر وسوريا

واسرائيل في وسط الكماشة

وجمال عبد الناصر يدير مفتاح الكماشة لتضيق رويدا رويدا

وتحت الصورة عبارة تقول « الضغط الذى تتعرض له اسرائيل »

ثم أجد في أوراقى الجديدة ، عددا من مجلة « الجويش أوبزرفر » الصادرة في السادس - السادس أيضا - من أكتوبر ١٩٦١ ، وفي الصفحة الثالثة عشرة من هذا العدد ، عبارة وردت ضمن تقرير صحفى عن الانقلاب في سوريا تقول بالحرف الواحد :

« ان الحكومة ووزارة الخارجية - في اسرائيل - كانتا دقيقتين في الابتعاد عن أى تعليق على التمرد الذى حدث عبر الحدود

لقد كان واضحا الى أى الجانبين تتجه مشاعرهما الطيبة ، ولكن لم يكن هناك أضر بحركة المتمردين من أى مظهر صغير من العطف عليهم من جانب اسرائيل ، وحتى اذاعة صوت اسرائيل طلب اليها ان تصوغ اخبارها بكلمات دقيقة »

ومرة أخرى لست هنا لاتهم ... وانما أريد أن اسأل فقط ؟

واذا كانت في أحداث الامس التى تكشف قدرة القاء ضوء على أحداث اليوم التى لم تتكشف بعد ، فانى أقول :

- ما أشبه الليلة بالبارحة .

وانما ، هنا يقفز - للحقيقة والتاريخ - سؤال

- لكن ... لماذا اذن استطاع أعداء الوحدة ، على اختلاف

اسمائهم ، على اختلاف ازياتهم ، على اختلاف اهدافهم أن يوجهوا
هذه الضربة للوحدة ؟

ان الذى قالوه فى اليوم الاول من التجربة فى فبراير سنة
١٩٥٨ وبعده

هو نفس الذى قالوه فى اليوم الاخير للتجربة فى سبتمبر سنة
١٩٦١ وبعده

هو نفس الذى قالوه بين اليومين طوال ثلاث سنوات ونصف سنة

ان المؤامرة ضد الوحدة ظاهرة فى الاحداث ، وفى الاوراق وفى
الاصوات ، التى نستطيع أن نعود اليها من ذكريات سنة ١٩٥٨

والمؤامرة ضد الوحدة ظاهرة فى الاحداث ، وفى الاوراق ، وفى
الاصوات التى نستطيع أن نصل اليها مما هو واقع الآن فى اكتوبر
١٩٦١ .

واطراف المؤامرة بالامس نعرفهم جميعا . . . لقد اعترف كل واحد
بنصيبه فيها ولم يقدر على المضى فى الإنكار

واطراف المؤامرة اليوم لا نحتاج فى كشفهم الا أن نحرك الابرة فى
جهاز راديو ، ما بين اذاعتى عمان وتل أبيب . . . وغيرهما ويصعب
على هنا أن أضيف اسم اذاعة اخرى !

ذلك كله مفهوم

مفهوم أن يتجمع أعداء الوحدة العربية كلهم ، من أول يوم فى التجربة
الى آخر يوم ، وأن يقولوا نفس الكلام ، وأن يتخذوا نفس الموقف وأن
يتحركوا الى نفس الهدف .

ولكن أين كنا نحن ؟

وكيف لم نستطع اتقاء الضربة ؟

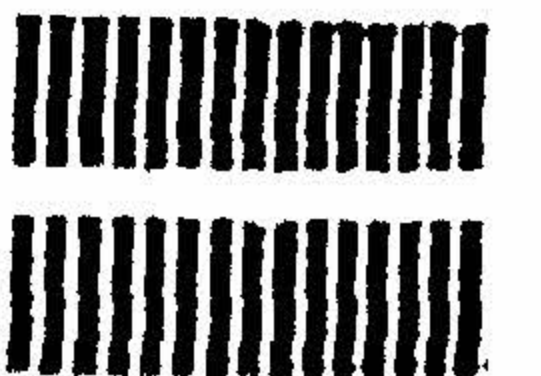
ولقد كان عدونا قويا . . . هذا صحيح

ولكن الصحيح أيضا أننا لم نحسن حماية نقاط الضعف فى خط
دفاعنا - برغم قوتنا المتفوقة على قوة العدو باعتبارات الطبيعة
وباتجاه التاريخ .

ولكن هذا الكلام يحتاج الى مزيد من تفاصيل

نقطة الضعف في تجربة الوحدة

عملية التقيد ،
والنقد الذاتي ،
حيوية لهذه المرحلة
من النضال العربي
أخطاء القاهرة في المعركة
الكبرى في دمشق



أجل.. كيف لم نستطع اتقاء الضربة التي وجهت الى الوحدة في دمشق ؟ .

عند هذا السؤال الكبير وقفت في الاسبوع الماضي وكانت آخر عبارة قلتها قبله هي :
« ذلك كله مفهوم .. »

مفهوم أن يتجمع أعداء الوحدة العربية كلهم ، من أول يوم في التجربة الى آخر يوم وأن يقولوا نفس الكلام ، وأن يتخذوا نفس الموقف ، وأن يتحركوا الى نفس الهدف .

ولكن اين كنا نحن ؟
وكيف لم نستطع اتقاء الضربة ؟
ولقد كان عدونا قويا .. هذا صحيح ..

ولكن الصحيح أيضا أننا لم نحسن حماية نقاط الضعف في خط دفاعنا - برغم قوتنا المتفوقة على قوة العدو ، باعتبارات الطبيعة وبتجاه التاريخ «

عند هذا الحد انتهيت من الكلام في الاسبوع الماضي ..

فاذا جاز لي اليوم أن التقط الخيط من حيث تركته بالضبط ، وأن أبادر اليوم مبتدئا ، بالإجابة على السؤال الذي وقفت عنده منتها في الحديث الماضي لقلت على الفور :

« ان القوة الجديدة التي جاءت بها الوحدة الى سوريا ، لم تستطع أن تباشر ما كان يمكن أن يكون لها من تأثير .. أن قوة الوحدة ظلت معزولة عن الفعل الإيجابي ... بل وأكاد أقول إنها في بعض الأحيان من تأثير عقد وظروف ، ساهمت في عزل نفسها عن الفعل الإيجابي .. »

أخيراً تنبهت . ولكنها حين تنبهت كان وقت طويل ، غال وثمانين ، قد تسرب وضاع ، فلما جاءت الضربة ضد الوحدة ، لم تكن قواها الدفاعية في خير حال تستطيع معه رد الخطر ..

كيف . . . ؟

كيف . . ومن المسئول ؟

كلنا شركاء في المسئولية ، وعلى كل من يتحمل في المسئولية نصيباً ، أن يرفع يده اليوم في شجاعة وشرف ، ويقول :
- ها هنا كان خطأي .. واني اعترف به ..

ان عملية النقد ، والنقد الذاتي ، لم تكن في يوم من الايام حيوية في نضال الامة العربية بمثل ما هي اليوم ..

ولا ينبغي لاحد منا أن يتردد في النقد ، وفي النقد الذاتي مخافة ان يستغل ما يقوله في المعركة النفسية الهائلة التي تدور ضد الامة العربية الان ..

لا ينبغي لاحد منا أن يكتم شهادته ، لان اذاعة دمشق وحكامها اليوم سوف يستغلون كل كلمة ، أو لان اذاعة الملك حسين سوف تستعملها غداً ضدنا ، أو لان اذاعة اسرائيل سوف تنتهزها فرصة تنال بها كل ما تستطيع ان تناله من قيم في حياتنا .
تلك كلها مسألة وقت .

أن صوت دمشق لن يظل أبداً هذا الصوت الذي نسمعه الان ..

وعمر الملك حسين ، أقصد عمر نظامه كله ، أن يزيد على طول قامته ..

وإسرائيل جسم غريب على الأرض العربية وستلطف الأرض العربية هذا الجسم الغريب ، وتنفضه بعيداً ، مهما بدا الأمر شاقاً ومهما بدا صعباً ..

إنما الشيء الوحيد الباقي ، بالطبيعة وبالتاريخ ، هو وجود الامة العربية ذاتها ، والحركة الحرة لهذا الوجود ، تأكيداً له ، وتحقيقاً لآماله العريضة في الحياة وفي السلام .

من هنا لا ينبغي ان تكون هناك حدود لعملية النقد ، والنقد الذاتي ، لتجربة الوحدة الاولى ، في هذه المرحلة الخطيرة من حياة الامة العربية ..

واسأل الآن :

« لماذا لم تستطع القوة الجديدة التي جاءت بها الوحدة الى سوريا ، أن تباشر ما كان يمكن ان يكون لها من تأثير ، ولماذا ظلت معزولة ، ولماذا عزلت نفسها في بعض الاحيان عن الفعل الايجابي ؟ »
أو بمعنى آخر ..

« لماذا تحولت الوحدة الى عملية سلبية ؟ »

والرد هو :

بعض الاسباب شرحته من قبل فيما كان قائما في دمشق من قبل الوحدة !! ..

شرحته حين رويت قصة الدين انساقوا في تيار الوحدة من الحاكمين في دمشق قبل فبراير سنة ١٩٥٨ ، وحين رويت قصة الظروف المحيطة بسوريا في ذلك الوقت .

الاحزاب المتصارعة ، كتل الجيش المتربصة ببعضها بعضا في المعسكرات ، لدرجة أن قادتها كانوا يقضون الليالي في الثكنات حتى يكونوا على اهبة الاستعداد لاي حركة يقوم بها احدهم ضد الاخرين ، ثم الواجهات السياسية المدنية المتهالكة التي كانت تتولى امور الحكم بالاسم ، ولا تملك من أموره بالفعل شيئا .

هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى ، ضغط حلف بغداد على سوريا ، وتسلسل الشيوعيين الى مراكزها الحساسة الامر الذي خلق - بالإضافة الى الصراع الداخلي - ميزانا دقيقا للسلامة السورية كان عبد الحميد السراج يحاول الامساك به بقدر ما يرى من وسائل العمل البوليسي حتى لا تسقط سوريا في ظلام لا يبدو مدها ..

ومن ناحية ثالثة ، اتجاه الجماهير السورية الى الوحدة مع مصر ، خلاصا من احتمالات الظلام ، وتحقيقا للحلم القديم في الوحدة وانجذابا الى شخصية البطل التي ظهرت في مصر والتي استطاع صاحبها في فترة قصيرة من الزمان أن يطرد الاستعمار من مصر ، وأن

يرغم مشروعاته الرامية إلى السيطرة على المنطقة عن طريق الاحلاف العسكرية على التفهقر ، وان يكسر احتكار السلاح ، وان يخلق كيانا دوليا مستقلا للعرب ، وان يؤمم قناة السويس ، وان ينتزع النصر تحت ظروف العدوان المسلح ، وان يحطم الحصار الاقتصادي والسياسي على وطنه ، ثم يبدأ في التمهيد للثورة الاجتماعية ، بعد نجاح الثورة السياسية ، ويروح يتحدث عن الكفاية والعدل ، وعن التصنيع والاشتراكية .

وكان التيار الشعبي السوري ، الذي فرض الوحدة مع مصر ، وساق امامه كل الاحزاب السياسية في سوريا ، وكل الكتل المتصارعة في الجيش ، وكل الواجهات المدنية المتهاكمة التي تجلس في وقار على كراسي السلطة ، وهي مسلوقة من كل سلطة .

● وبعض الاسباب شرحته من قبل ، فيما كان قائما من حول دمشق ، من قبل الوحدة ، وحين اتمامها .

شرحته حين رويت موقف العواصم العربية القريبة التي تحكمها الرجعية ، المتعاونة مع الاستعمار بحكم ترابط المصالح بينهما على الاقل ..

شرحته حين تعرضت لشيكات الملك سعود التي دفعها لعبد الحميد السراج ليقوم بانقلاب ضد الوحدة ، ولكن السراج رفض .

وشرحته حين تعرضت لعملية تزييف الوحدة ، باقامة الاتحاد الهاشمي بين بغداد وعمان ، ببركات دول الاستعمار الغربي المؤيدة له والتي تولت نيابة عنه استئذان اسرائيل في اقامته .

وشرحته حين تعرضت لنظرة اسرائيل الى قيام الوحدة ، التي اتخذت صورة كماشة ذات فكين تطبق على اسرائيل من شمال ومن جنوب .

وشرحته حين تعرضت للخطر الذي احسنت به دول الاستعمار الغربي صاحبة المصالح الحساسة في المنطقة العربية وخوفها من ان يزيد المد العربي ثم يجرف امامه المصالح والاعوان الذين يقومون على صيانة هذه المصالح .

شرحت هذا كله ، شرحته بل عدت الشعارات التي انطلقت في الهواء تصف الوحدة بأنها « تسلط مصري على سوريا » وبأنها « ابتلاع مصري لسوريا » وبأنها « امبراطورية مصرية يحلم بها عبد الناصر » وبأنها « حكم مصري سوف يفرض على سوريا » .

ولكن يبقى - بعد هذا كله - الطرف الثالث في معركة الوحدة ..

يبقى ان أشرح دور القاهرة !

ولقد كانت القاهرة هي الطاقة الثورية التي انطلق منها شعاع الامل في المنطقة فكيف تحولت هذه الطاقة الثورية هي الأخرى الى عامل سلبي في تجربة الوحدة . ؟

سأحاول الان ان أعد الأسباب .

واقول قبل ان أبدا العد اننى لا ادعى ان هذه هي الأسباب كلها ، ولكنى أقول :

ذلك ما رأيته منها ، فان كان بعضها قد غاب عني ، فليس عن عمد او قصد غاب ، وانما قصور الرؤية وحده عذري ، قصور الرؤية وسط الضباب !

.. أولا

كانت الظروف نفسها غير مهيأة لتجربة الوحدة الاولى .

لم تكن هناك قواعد اقتصادية واجتماعية يمكن ان تقوم عليها التجربة ، وتستند في صلابة الى أسسها المتينة .
هناك وحدة اللغة التي تخلق وحدة الفكر .

وهناك وحدة التاريخ التي تخلق وحدة الضمير .

ولكن وحدة العقل ووحدة الضمير مقدمات لعمليات اقتصادية واجتماعية لا بد منها قبل الاقدام على خلق الدولة الواحدة .

ولقد عبر جمال عبد الناصر بنفسه عن ذلك في حديثه لقيادة الجيش السوري ، حين جاءوه بالطلب الاول للوحدة حين قال لهم في بيته ليلة ١٥ يناير ١٩٥٨ ، ان الوحدة تحتاج الى خمس سنوات على الاقل من التمهيد الاقتصادي والاجتماعي ليكون لها الاساس المتين .

ثم اضطر عبد الناصر الى تغيير رأيه أمام احتمالات الخطر التي تهدد سوريا من الداخل والخارج ، وأمام الضغط الشعبي السوري وللتاريخ بعد ذلك ان يوازن ، والمستقبل وحده سيوف يحمل حكم التاريخ على سؤال هام :

- هل الاهداف التي حققتها الوحدة في عمرها القصير كانت تساوي الاقدام عليها قبل التمهيد الاساسي لها .. أم أنه كان من الخير الانتظار .. مهنا كان الخطر المرحلي .. ومهما كان ضغط الظروف .

● ولقد حققت الوحدة اسقاط حلف بغداد الاستعماري .

● كذلك حققت الوحدة ضرب التسلسل الشيوعي في المنطقة .

● كذلك حققت الوحدة كشف العناصر الرجعية العربية ، وظهرت أمام العناصر التقدمية فيها احتمالات العمل الواسعة اذا ملكت القدرة الايجابية على تحمل مسؤوليته .

ولكن تلك كلها قضايا المستقبل ، وكلها لا تمنع من القول ، بأنه حين قامت الوحدة سنة ١٩٥٨ لم تكن الظروف مهيأة لمنحها الايجابية الكافية

ثانيا ..

لن القومية العربية سنة ١٩٥٨ ، في بداية هذه السنة ، كانت تخوض حربا اشبه ماتكون بحرب العصابات ضد الخطوط الاستعمارية في المنطقة وضد القواعد الاستعمارية على شكل معسكرات حربية ، او على شكل قصور رجعية .

كانت القومية العربية في كل مكان كخيوط الضوء لا يمكن الامساك بها او تقطيعها وتمزيقها .

كانت القومية العربية كالشبح ، يظهر في كل مكان ، ويختفي في كل مكان ، وكانت ضرباته تبتدأ من القابعين في المعسكرات الحربية وتؤرق احلام الجالسين في القصور الالهية الفارقة الى ذقونها في الذهب واللذة !

وكان اتمام الوحدة يحمل عاملا جديدا طارئا على الموقف لأول مرة ..

بقيام الوحدة اصبحت القومية العربية تحارب من خنادق ثابتة ، دفاما عن خطوط محددة .

بقيام الوحدة تحولت خيوط الضوء الى منار قائم على قاعدة لا تتحرك ومن ثم امكن ان يصبح المنار نفسه هدفا مكشوفاً يسهل توجيه الضرب اليه واطفاء النور المشع منه .

بقيام الوحدة أصبح الشبح الذي لا يبال جسدا يمكن التصويب عليه ، والتركيز ، والمطاردة .

والسؤال بعد ذلك :

— هل كان الوقت قد حان سنة ١٩٥٨ ، لكي تتخلى القومية العربية

عن مرونة حرب العضابات ، وحركتها السريعة ، وتربط نفسها في
الخنادق الثابتة ، ولتحدد خيوط ضوئها من منار ، ولتجسد وجودها
المعنوي في شكل كيان قائم من دم ولحم ؟

ثالثا ..

ان الشعب العربى فى مصر ، لم يكن بعد قد وصل الى مرحلة
الاستعداد الكامل للوحدة العربية ..

كانت قرون الطفيان العثمانى قد باعدت ما بين شعب مصر العربى
غرب سيناء ، وما بين باقى الشعوب العربية شرقها .

ثم جاءت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون ، والحسنة الوحيدة
لها ان كسرت السور الحديدى العثمانى من حول مصر فعاد لها
اتصالها بتيار الحضارة العالمى الذى كان يتركز ذلك الوقت فى اوربا
وجدها .

وتفتحت زهور كثيرة تحت اشعة الشمس الجديدة على السهول
والروابي الخضراء من وادى النيل .

بدأ الشعب ، صانع الحضارة القديمة ، وأستاذها الاول ، يفتح
عيونه على فكر جديد - بعد النوم الطويل وبعد الظلام الكئيب .

وفى تلك الفترة الحرجة من اليقظة ، افشت الآثار المصرية اسرارها
كلها ، وكشفت كنوز تاريخ عريق .

ولكن المجد الذى ظهر كانت له ضريبته على شعب مصر .

وكانت الضريبة ان مصر فى هذا الوقت الحافل بروعة اليقظة ، لم
تستطع ان تحول انظارها عما هو تحت اقدامها ، لتمد البصر عبر سيناء ،
وتكتشف مكانها العربى .

وبذل المفكرون العرب الذين لجأوا الى مصر فى أواخر القرن
الماضى هربا من الطفيان التركى ، جهودا كبيرة لبناء جسر عبر
سيناء ..

واضافت تجارب السنين معانى صالحة للتأمل والتفكير .

ثم كان انشاء اسرائيل ، بواسطة قوى الاستعمار الغربى بقصد
عزل مصر عن العالم العربى ، هو الدليل الحاسم على الحقيقة التى كان
يراد لها ان لا تظهر ولا تبين !! .

ومن سوء الحظ خيانات الاسرة الهاشمية ، من بغداد وعمان

وطعناتها في الظهر للجيش المصري المقاتل في فلسطين احدثت هزة في ايمان مصر العربي الجديد .

ولكن المارك الناجحة التي خاضتها مصر والشعوب العربية كلها بعد ثورة ١٩٥٢ استطاعت ان تعيد للايمان العربي في مصر ثباته واستقراره الوطيد

المارك ضد الاحلاف ، والمارك ضد احتكار السلاح ، والمعارك ضد التبعية الدولية ، والمعارك ضد العدوان المسلح على مصر ، والمعارك ضد الحصار الاقتصادي والسياسي ، والمعارك ضد الوان الحرب النفسية ، وترساناتها المكذبة بالاكاذيب والمفتريات . !!

ولكن هل كان ايمان مصر العربي ، قد وصل سنة ١٩٥٨ الى حد الاستعداد للوحدة الشاملة .

كانت فورة العاطفة واضحة سنة ١٩٥٨ ، ولقد اظهرت نفسها في نتيجة الاستفتاء الشعبى على الوحدة ، ولكن فورة العاطفة لم تستطع حتى وقتها ان تمنع مئات في تلك الفترة ان يكتبوا الى يسألون :

— هل حقا ستصبح « مصر » بكل مجدها هي الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة .

— هل يمكن ان نتخلى عن العلم الاخضر والهلال والتجوز الثلاث في وسطه وقد خضنا تحت هذا العلم كل معركتنا من اجل الاستقلال ؟

واسئلة اخرى كثيرة ، قريبة من هذا الاتجاه ، والذين لم يكتبوا الى بالطبع كانوا اكثر عددا من الذين كتبوا !

وابعـا . .

كان هناك اختلاف واضح في مراحل التطور الاجتماعى في كل من مصر وسوريا في ذلك الوقت من سنة ١٩٥٨ .

كانت مصر قد انتهت من مرحلة الثورة السياسية ضد الاستعمار الاجنبى ، ووصلت الى اعتاب الثورة الاجتماعية ووقفت بعد المعركة السياسية الضارية تتحسس طريقها الى التغير الثورى في العلاقات الاقتصادية السائدة في الوطن .

وكانت ابعاد الثورة الاجتماعية واضحة في مصر ، فان الطبقة الرأسمالية العليا كانت قد كشفت نفسها بالتعاون الظاهر مع الاستعمار ضد محاولات الشعب ان يحرر لقمة العيش في بلده .

وكان تحرير الوطن من الاستعمار مقدمة لتحريره من الاستغلال الذى عزز مواقفه في حماية الاستعمار .

وكانت قوة الاندفاع الثوري بعد معارك التحرير المتسوية
ضد الاستعمار ، معبأة متحفزة .

وكان الموقف في سوريا يختلف ..

لم تكن سوريا في حالة تعبئة ثورية ، وانما كانت بعد الاستقلال
قد دخلت في تيه المناورات الحزبية والانقلابات العسكرية .

ولم تكن حدود تعاون الرأسمالية السورية مع قوى الاستعمار
في المنطقة واضحة كل الوضوح ، وفي الغالب كان تعاون الرأسمالية
السورية مع الاستعمار يجرى بالوساطة ، كان يمر بقصور الملوك في بغداد
وعمان والرياض ، وكانت هذه القصور هي همزة الوصل ، وهي الصلة
بين اصحاب المصالح في سوريا وبين اصحاب المصالح الاستعمارية في
المنطقة كلها .

ولقد كشفت وثائق حلف بغداد السرية بعض سياسة سورية
في تعاملهم مع الاستعمار عن طريق قصر الزهور ..

وكشفت ظروف سقوط كميل شمعون في لبنان بعضا آخر من
سياسة سورية في علاقتهم ببريطانيا .

وكشفت شيكات الملك سعود لعبد الحميد السراج يوم الوحدة
الاول ، وكشفت ملايينه التي لم تدفع بشيكات هذه المرة ، وانما
وصلت الى سوريا عن طريق الملك حسين نقدا سائلا جاهزا للبيع
والشراء - ان هناك خطة واسعة تستهدف ضرب قوى التحرير
الوطنى العربى ، ولا يمكن ان يكون هذا الضرب لمصلحة غير مصلحة
الاستعمار ..

المهم انه في سنة ١٩٥٨ .

كانت مصر قد وصلت الى مرحلة التاهب للثورة الاجتماعية .

اما في سوريا فقد كانت هناك ظلال تنزل على الحقيقة .

ولم يكن معقولا ان تكون هناك جمهورية واحدة ، تتحرك الثورة
الاجتماعية في احد اقليمها ، ويسود الجمود الاجتماعى في اقليمها
الثانى ..

وكانت هناك تهدة متعمدة للانطلاق الثورى الاجتماعى في مصر ..
انتظارا لدراسة واضحة لاحوال الاقليم السورى وأوضاعه
وكان هذا التفاوت بين الاقليمين يخلق شدا وجذبا في تيارات
التطوير الاجتماعى داخل الجمهورية الواحدة .

ومن هنا ، فلقد حدث من اول يوم للوحدة ، ان الرأسمالية
السورية - التي رحبت بالوحدة ، وفي تصورها أن الوحدة سوف

تجيشها على أى حال بحكومة قوية ، تصد خطر الشيوعيين الزاحف على دمشق - بدأت على الفور ترفع الشعارات القائلة بان اوضاع سوريا تختلف .. وان سوريا بلد يعيش على التجارة .. وان ما يصلح لمصر لا يصلح لسوريا !

كانت الرأسمالية السورية فى ذلك الوقت يتجاذبها عاملان ..

أولهما ما توفره الوحدة من قيام حكومة قوية قد تكون قادرة على حماية المصالح القائمة .

وثانيهما تخوفها من التيارات الثورية البادية فى القاهرة .. مهما لاح من هدوئها الظاهرى بعد الوحدة . !

خامسا ..

لم تكن القاهرة - عاصمة الجمهورية التى جمعت مصر وسوريا - تعرف من حقائق الامور فى سوريا مايكفل لها حكما حاسما على الموقف ..

بل ان دمشق نفسها لم تكن فيها صورة حقيقية لاحوال الوطن السورى واوضاعه بالارقام .

وفى غيبة الصورة الحقيقية ، فان القوة الجديدة التى جاءت بها الوحدة الى سوريا ، وجدت نفسها فى موقف المتفرج فى دمشق .. او على الاصح فى موقف المنتظر .

وكانت القوة الجديدة تنتظر الارقام . ولم تكن الارقام جاهزة ، بل وكانت المصالح المتحكمة تحبس على الارقام لكى لا تظهر ، ولكى لا تفرض هذه الارقام - بعد ظهورها - نفسها ومنطقها على اتجاهات الحوادث .

وضاع فى الانتظار وقت طويل .

سادسا ..

كان الفاصل الجغرافى بين الاقليمين عقبة حقيقية .

طريق البر عليه اسرائيل ..

وطريق الجو - مهما كان - محدود

والبحر هو الصلة الوحيدة .

سابعا ..

تأثرت القاهرة الى حد كبير - وهذا من اخطائها الكبرى - بدعاية الاستعمار والعوانه ، او بمعنى ادق أصبحت حساسة من ناحية رغبتها فى الا تفتح طريقا للدعاية الاستعمارية .

وكان هناك عامل طبيعي يضاف الى هذه الحساسية

ان سكان مصر ٢٦ مليونا من البشر .

وسكان سوريا { ملايين من البشر .

ومعنى ذلك أن الترجيح دائما سوف يكون في يد مصر باعتبار
الاجلبية المطلقة ، ولم يكن تيار الوحدة قد استطاع بعد أن يتغلب على
النعرات الوطنية الاقليمية ، بعضها سوء النية كامن فيه ، وبعضها الاخر
نابع عن طيبة وعن عاطفة خالصة وانما ساذجة ..

وبتأثير العاملين .. الدعاية والعامل الطبيعي .. اصبحت القوة
الجديدة التي جاءت بها الوحدة الى دمشق لاتمارس سلطة
حقيقية .

اذا حكمت .. فان الخيط رفيع بين الحكم وبين تصويره على
انه « تحكم » .

اذا قررت .. فان الخيط رفيع بين القرار وبين « التسلط »

اذا تحركت .. فان الخيط رفيع بين الحركة وبين « الابتلاع »

ثامنا ..

بتأثير عدد من هذه العوامل التي شرحتها تاخرت عملية الوحدة
الحقيقية ولم يبق هناك الا شكل الوحدة الخارجى ...

رئيس واحد ، وعلم واحد ، ونشيد واحد .

ولكن فيما عدا ذلك كل شيء يختلف بين الاقليمين .

وساعد على بقاء هذا الوضع طويلا ، معظم الساسة السوريين ،
ممن انساقوا مع تيار الوحدة الذى لحت الجماهير في طلبه .

كانوا جميعا يريدون .. ان تبقى مصر في مصر ، وأن تبقى سوريا
في سوريا ..

وكان ظهور قوى جديدة نتيجة للوحدة ، يتعارض مع نظرتهم
للأمور من أول يوم في التجربة ، فان أى قوة جديدة كانت « اخذا »
منهم « واضعافا » لهم .

هكذا تحت علم الوحدة مضت نفس الاوضاع القديمة التي كانت
في سوريا من قبلها .

بل أكثر من ذلك استغل معنى الوحدة ذاته في الصراع العنيف
داخل سوريا ..

كان كل واحد من ساسة سوريا يريد انتهاز الوحدة فرصة يتخلص بها من خصومه ، ويضرب بها اعداءه .

كان حزب البعث يريد ان يجهز على حزب الشعب . . . ويدبح ذبحا كل اقطابه وكل انصاره ويعتبرهم على حد تعبير رئيسه اكرم الحوراني « جواسيس وخونة »

وكان السيد شكري القوتلي يكره خالد العظم كراهية التحريم، ويتمنى لو اتشقت الارض فابتلعت اكرم الحوراني ، ويحلم برصاصة من اى اتجاه تصيب عبد الحميد السراج ، فان العظم نافسه على رئاسة الجمهورية ، والحوراني تأمر عليه - كذلك يقول - والسراج لم يترك له من السلطة الا مقعدا من الحرير مطرزا بالقصب في قصر لمهجرين !!

وكان حزب الشعب يعتبر حزب البعث مسئولا عن كل خطأ ، وشريكا في كل انقلاب ، ومدبرا لكل جريمة .

وكان حزب البعث في نفس الوقت يكره عبد الحميد السراج ويركز عليه حملة من الكراهية المريرة .

وتلك نماذج . . مجرد نماذج . . والصورة بالتفصيل حكايتها طويلة . .

ولكن نلهم ان قوى الوحدة وجدت نفسها في سوريا بعد اتمام الوحدة ، وسط معركة واسعة المدى ، ضاربة الجذور في تاريخ سوريا الحديث ، بعيدة الاثر على مستقبلها الذي كان لابد له ان يتشكل على اساس جديد ، معركة لا يظهر اولها ولا يظهر آخرها .

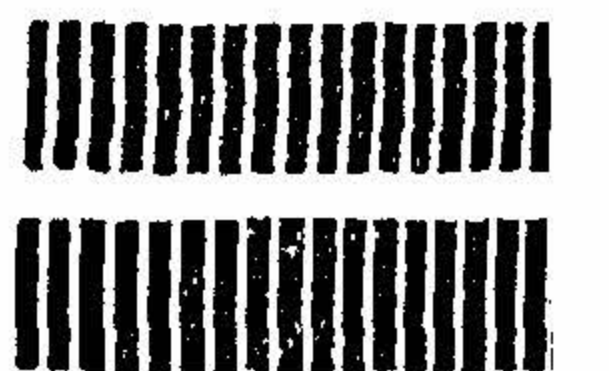
وكان لفارق مخيفا بين الاثر الذي أحدثته الوحدة كتيار شعبي عربي في الاحداث الكبيرة كإبراز قوة اندفاع القومية العربية ، واسقاط حلف بغداد وضرب التسلسل الشيوعي في المنطقة - وبين المشاكل الصغيرة التي واجهتها الوحدة داخل سوريا . . مشاكل صغيرة ولكنها عرقلت حركة الشعب العملاق ، لولا ان استطاع في الدقائق الاخيرة ان يخلص نفسه ، وان يفجر قوانين يوليو الاشتراكية ، ايدانا بأن عهد الثورة الاجتماعية قد بدا . . في مصر وفي سوريا معا وفي الامة العربية بأسرها . .

ولكن تجربة المشاكل الصغيرة في سوريا في عهد الوحدة تقتضي وقفة اطول قبل ان نمضي الى المرحلة التي نعيشها الان والتي تبدو من خلالها ملامح المستقبل .

المساكن الصغيرة في تجربة الوحدة وكيف عطلت زحف الشعب العملاق؟

الحملة النفسية العنيفة
التي قصدت إلى تحطيم
فتوائهم وتجربة الوحدة

صبرى العسل



واليوم وقفة سريعة ، أمام تجربة المشاكل الصغيرة في سوريا
بعد الوحدة ..

كانت مشاكل صغيرة ، ولكن الشرارة قادرة على اشعال حريق .
ولقد قلت في ختام حديثي السابق :

«ان قوى الوحدة وجدت نفسها في سوريا بعد اتمام الوحدة ،
وسط معركة واسعة المدى ، ضاربة الجذور في تاريخ سوريا الحديث
بعيدة الاثر على مستقبلها ، الذي كان لا بد له ان يتشكل على اساس
جديد .. معركة لا يظهر أولها ولا يظهر آخرها .

وكان الفارق مخيفا بين الاثر الذي أحدثته الوحدة كتيار شعبي
عربي ، في الاحداث الكبيرة ، كابرار قوة اندفاع القومية العربية ،
واسقاط حلف بغداد ، وضرب التسلل الشيوعي في المنطقة - وبين
المشاكل الصغيرة التي واجهتها الوحدة داخل سوريا .. مشاكل صغيرة
ولكنها عرقلت حركة الشعب العملاق ، لولا أن استطاع في الدقائق
الاخيرة ، أن يفجر قوانين يوليو الاشتراكية ، ايدانا بأن عهد الثورة
الاجتماعية قد بدأ في مصر وفي سوريا معا ، وفي الامة العربية بأسرها»

وقبل أن ادخل في تجربة المشاكل الصغيرة التي سببتها الاحقاد
بين ساسة سوريا القدامى قبل الوحدة ، ثم أثر هذه المشاكل على
سير الحوادث خلال سنوات الوحدة ذاتها ، فاني أريد أن أستأذن في
ملاحظة عابرة ، يقتضيها واجب الانصاف ان أقولها .

لقد تعرض الذين تصدروا تيار الوحدة تحت ضغط الجماهير
السورية المؤمنة عند القاعدة لحملة عنيفة مركزة ومدروسة على أحدث
نظريات الحرب النفسية .

كان هدف الحملة هو تدميرهم ..

وكان في منطق الاستعمار والقوى الرجعية التي تسنده ليسندها في البلاد العربية ، انه اذا تم تدميرهم فان ذلك يعنى تدمير القوائم التي تقف عليها تجربة الوحدة ، واذا ما تحطمت القوائم سقطت التجربة .

واستفلت الحملة العنيفة المركزة المدروسة على أحدث نظريات الحرب النفسية كل الظروف المعقدة داخل سوريا ، وكل الظروف المعقدة من حول سوريا .

كانت الحملة تختار هدفها ..

تختار واحدا من سياسة سوريا .. وتركز على نقطة ضعف فيه ثم يشتد تركيزها ويتحول الى اصرار عنيد .

ثم تستطيع ان تجذب معها كثيرين يشتركون معها في الحملة ربما فيهم من ينجذب عن غير وعى وعن غير قصد ... او عن غير نظرة بعيدة لعواقب الامور ، وربما فيهم من كان ينجذب لشهوة التدمير فيه او ليخلص من خصم قديم .

مثل هذا تعرض له صبرى العسلى ، وعفيف البزرى ، ووزراء حزب البعث ، ثم اخيرا عبد الحميد السراج .

كانت الحملة تمسك بتلابيب احدهم ..

تمسك به من نقطة ضعف فيه ..

وتدق وتدق ، وتظل تدق ، وتجرب كثيرين الى مشاركتها في الدق، حتى يتحقق هدف الحملة .

ولم يتردد واحد من سياسة سوريا وقت الوحدة عن الاشتراك في كل حملة وجهت الى غيره بقصد هدمه وتدميره .

واقول انصافا للتاريخ وللحقيقة - ان القاهرة هي الاخرى لم تستطع ان ترى صورة العملية بوضوح ، وفي بعض الاحيان مشيت الى الفخ المنصوب وكان على عينيها حجابا ، يجعلها لا ترى موقع خطاها وسط الزحام والظلام .

وهكذا بدأ الذين تصدروا موكب الوحدة ، يختفون من عسائر الموكب واحدا بعد واحد .

وبصرف النظر عن الظروف الموضوعية التي أحاطت بهم ، فلقد كان اختفاؤهم يساعد خطة الاستعمار وحملاته العنيفة المركزة المدروسة على أحدث نظريات الحرب النفسية .

هذه هي الملاحظة العابرة .

وبعدها ، أستطيع أن انتقل الى تجربة المشاكل الصغيرة وقت الوحدة ..

وكانت المشاكل الصغيرة ، نوعين :

نوعا يتعلق بالسياسة العامة ..

ونوعا يتعلق بالبشر وبالناس .

ولست أريد أن أتلأ طويلا عند المشاكل الصغيرة المتعلقة بالسياسة العامة ، فان الكثير منها تعرضت له فيما سبق من مقالات عن السدي جرى في سوريا .

ولكني أشر هنا اشارة سريعة الى بعضها .

● مثلا مشكلة التصنيع وفقا لخطة محددة

كانت مصر كما قلت في بداية سنة ١٩٥٨ منهكة في تنفيذ مشروع السنوات الخمس الاول للصناعة .

وكانت سوريا غير مستعدة بعد لمرحلة التصنيع ، على الاقل بسبب نقص الدراسات العملية والعلمية .

وبدأت النغمة تتردد :

— ان القاهرة تريد أن تبقى سوريا بلدا زراعيا ليكون سوقا لمنتجاتها الصناعية لا أكثر ولا أقل .

وبدأت القاهرة الحساسة في ذلك الوقت تتحرك في اتجاه تصنيع سوريا .

ولكن التصنيع كما يحدث في كل بلد خصوصا عند بناء القاعدة الاولى فيه يحتاج الى قيود ويفرض شروطا تقسو في بعض الاحيان ، ولكن النتائج تبرر في النهاية قسوتها .

التصنيع في حاجة الى استثمارات .

التصنيع في حاجة الى توفير كل نقد اجنبي يصرف على السلع الاستهلاكية ويحتم تحويله الى شراء الآلات والمعدات .

والتصنيع خصوصا في بدايته يحدث اختناقا ملحوظا في السوق فان أموالا كثيرة تصب في مبداته ، ثم تمضي سنوات ثلاث أو أربع قبل أن يتم بناء المشروعات المختلفة وقبل أن يبدأ انتاجها .

وفي مصر مثلاً في وقت من الاوقات كانت هناك ثلاثة مشروعات فقط ،
تجمد فيها لمدة معينة ما يقرب من مائة مليون جنيه .

وهي كهربية خزان أسوان ، ومشروع السماد فيها ، ومصنع الحديد
والصلب .

ثلاثة مشروعات فقط تجمدت فيها مائة مليون جنيه وكان لا بد أن
نتظر سنوات طويلة قبل أن نحصل على عائد منها .

وكان لابد أن يحدث مثل ذلك في سوريا .

ولكن عملية التصنيع ما كادت تبدأ حتى بدأت النغمة تتردد :

— ان سوريا تعيش على التجارة .. ولا تقبل هذه القيود المفروضة
على الاستيراد وعلى النقد .

وتحولت المشكلة ... لم تعد تصنيع سوريا أو عدم تصنيعها ،
وانما أصبحت مسألة حرية التجارة .. اطلاقها أو تقييدها .

• ومثلاً مشكلة المصريين في سوريا

وكان في مصر بحكم الظروف أكبر عدد من الفنيين يمكن ثوابه في
أى بلد عربى .

وصناعة البترول مثلاً ، في كل مراحلها الآن في مصر ، مصرية ، وكانت
سوريا في حاجة الى خبراء في البترول ، وذهب عدد من المصريين كانت
مصر في حاجة اليهم ليعملوا طواعية في حقول البترول في كراتشوك .

وذهب عدد من المصريين ليعملوا في التخطيط .

وذهب عدد من المصريين ليعملوا في المستشفيات والعيادات النائية
البعيدة في القامشلى ودير الزور والحسكة .

وبدأت النغمة تتردد :

— آه .. تريد القاهرة تحويل سوريا الى مجال للعاطلين فيها ...
للذين لا مجال لهم في مصر .

ولم يكن ذلك صحيحاً ولقد أثبتت الحوادث فيما بعد خصوصاً بعد
الانفصال أن المصريين الذين ذهبوا الى سوريا كانوا في الغالب من ثلاث
فئات :

مهندسين ، وأطباء ، ومعلمين

ولم يكن هؤلاء عاطلين في بلدهم .. بل كانت معركة التطوير في حاجة
الى كل واحد منهم .

ولم يرض أحد في القاهرة أن يفتح فمه ويتكلم ، حتى لا تكون المسألة معاصرة بين اقليمى الجمهورية في ذلك الوقت . وما كان أسهل الكلام والرد وقتها .

كل مصرى ذهب الى سوريا كان يعمل في مجال فنى . . وكانت مصر تدفع مرتبه ، وكانت سوريا لا تتحمل غير بدل السفر .

والى مصر جاء كثيرون من سوريا وامتلأ بهم قلب العاصمة وكانوا جميعا من التجار الذين جاءوا للربح وللكسب ، وكنا ما نزال نفتح لهم قلوبنا وجيوبنا .

♦ ومثلا مشكلة الضباط المصريين في سوريا

كانت الصيحة وقتها ان اسرائيل تريد ان تحول مجرى نهر الاردن ، والمعركة الكبرى ستدور هناك في المنطقة الحرام ما بين سوريا واسرائيل . ثم كان يقال أن المعركة قد تصبح بالغة الخطورة خصوصا وأن دمشق على بعد ٦٠ كيلو مترا من الخطوط مع اسرائيل .

واذن لا بد من تعزيز القوة العسكرية للجيش الاول . . . الجيش السورى .

وكان الجيش السورى ، بعد انقلابات تكررت ، وبمسد اشتغال بالسياسة طال مداه ، قد فقد عددا من عناصره العسكرية ، وكان من الضرورى تعزيزه بعناصر من الجيش الثانى . . الجيش المصرى ، حتى يستطيع مواجهة مسؤوليته .

وبدأت النعمة تتردد :

— ان سوريا تحت حكم العسكرية المصرية .

وفى ذلك الوقت ، وبرغم عدم الحاجة الى ذلك ، فلقد روى ان تجيء الى مصر عناصر من الجيش الاول لى لا تكون هناك حساسية .

ولكن ذلك فتح المجال لنعمة جديدة .

— انهم يريدون ابعاد الضباط السوريين عن سوريا ليخلو المجال للضباط المصريين .

ومن حسن الحظ — برغم ما فى ذلك من مفارقة مؤلمة — ان وقوع الانقلاب العسكرى ضد الوحدة كان خير رد على هذه النعمة كلها .

لقد أثبت وقوع الانقلاب ان معظم عناصر الجيش السورى بقيت فى وطنها .

وان العناصر العسكرية المصرية التى ذهبت الى سوريا لتخدم ، لم تجلس فى المراكز الممتازة كما كانوا يدعون ، وانما على خط النار وقفوا وجههم للعدو وظهرهم لدمشق ، حتى فوجئوا بالطعنة من الخلف .
ثم بدأت معاملتهم بعد ذلك فى سوريا بعد الانقلاب بطريقة يبدو وكأن المقصود منها هو تحطيم ايمانهم بوحدة السلاح العربى فى وجهه عدو العرب .

♦ ومثلا مشكلة المسئولين المصريين فى دمشق

وآخذ محمود رياض كنموذج ومثل :

كان محمود رياض سفيرا لمصر قبل الوحدة فى سوريا ، وبعد الوحدة بقى فترة فى دمشق بحكم متابعته للاوضاع واطلاعه القريب على تطوراتها .

وبدأت النعمة تتردد :

— لقد أصبح محمود رياض هو المندوب السامى المصرى فى سوريا . ولكى لا يبقى المجال مفتوحا لقليل وقاتل صدرت الاوامر الى محمود رياض كى يعود الى القاهرة .

بل ووصل الامر الى حد انه حين ذهب المشير عبد الحكيم عامر مزودا بكل سلطات رئيس الجمهورية الى دمشق ليحل بعض المشاكل العاجلة فى سوريا بروح محايدة بعيدة عن الصراع الحزبى العنيف الذى كان يمزق الوطن السورى ، حين حدث هذا ، بدأت النعمة تتردد :

— لقد جاء «نائب الملك» .

وكانت الاشارة واضحة والايحاء ظاهرا . . كانوا يريدون القول بأن مهمة عبد الحكيم عامر فى دمشق مماثلة لمهمة نائب الملك فى الهند وقت الاحتلال البريطانى لها .

ولم تكن اذاعات الاستعمار ، وأعوانه من الرجعيين العرب ، واذاعات اسرائيل والاذاعات السرية هى وحدها التى تردد هذه النعمات وانما كان يشترك فى ترديدها — مع الاسف والاسى — عدد كبير من سياسة سوريا أبطال المشاكل الصغيرة . . التى عرقلت زحف الشعب العملاق الى غابته .

ولقد وصلت الآن الى نوع المشاكل المتعلقة بالبشر وبالناس .
وكانت اول مشكلة ظاهرة فى هذا النوع هى مشكلة السيد صبرى

العسلي ، الذي كان رئيسا للوزارة قبل الوحدة ، وأصبح نائبا لرئيس الجمهورية بعدها .

بدأ التركيز ... على صبرى العسلي منذ الشهر الاول للوحدة .

بدأت الاشاعات تجرى منذ اليوم الاول بأن السيد صبرى العسلي ما زال يملك النصف في مكتب المحاماة الذي كان يعمل فيه قبل رياسته للوزارة وبعد رياسته للوزارة .

ان شريكه في المكتب وهو السيد ظافر القاسمي ، يعمل باسمه وبنفذه ..

يفتح الابواب المفلقة ، ويقضى الحاجات ، ويحقق عن هذا الطريق اكبر الارباح ثم يتقاسمها مع شريكه السابق صبرى العسلي .

ثم بدأت الاشاعات تجرى بأن السيد صبرى العسلي يعبر الحدود كل ليلة الى شتورة اول المصايف اللبنانية بعد الحدود السورية وهناك يسهر في كازينو سعد المشهور ويقضى الليل كله مع بعض اصدقائه من اللبنانيين ، يحتسى العرقى ويلعب الورق ، ويتكلم ضد تجربة الوحدة التي فرضت فرضا عليه ، كذلك كان يقول ، أو للانصاف كذلك كان يقال أنه يقول !!

وكان هذا كله مما يمكن التجاوز عنه والسكوت .

حتى كانت محاكمات بغداد الشهيرة ، في اعقاب ثورة ١٤ يوليو ، وتكشفت الوثائق السرية من ملفات حلف بغداد ، واذا بين ما يقال في المحاكمات في العراق ان السيد صبرى العسلي قبض من الحكومة العراقية ١٥ الف دينار سنة ١٩٥٤ .

ونشرت الصحف العربية كلها ، بين ما نشرته خلال متابعتها للمحاكمة هذه الحقيقة وأصبح الوضع محرجا بالنسبة للسيد صبرى العسلي .

ويومها ذهب السيد صبرى العسلي فقايل الرئيس جمال عبد الناصر يرجوه في اعفائه وفي تأليف لجنة تحقيق .

وفي الحديث بينهما قال السيد صبرى العسلي لرئيس الجمهورية

— هل تذكر سيادتك اننى كنت اشرت امامك مرة الى اننى اخذت من العراق مثل هذا المبلغ اثناء المعركة ضد اديب الشيشكلي وضد حكمه !

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

— اذكر انك اشرت الى مثل هذا الامر مرة .

وقال السيد صبرى العسلى بعد تردد :

— سيادة الرئيس ، هل تسمحون لى أن أصدر بيانا أستشهد فيه بكم ، وأقول اننى أطلعتكم على هذا الامر من قبل اذاعته فى محاكمات بغداد ؟

وقال جمال عبد الناصر :

— تستطيع ان تفعل ذلك ، فانى لا قبل ان اكرم شهادتى .

وقال السيد صبرى العسلى والدموع تفر من عينيه :

— سيادة الرئيس ، لقد ذهبت الى شكرى القوتلى أرجوه أن يأذن لى أن أستشهد به فى بيان أوضح به موقفى ولكنه رفض وقال لى : أبعدننى عن هذا الامر .

ومع ذلك تقبل أنت ، وانت رئيس الجمهورية ، وانت الشاب الذى ما زال له المستقبل أن أستشهد بك ؟

وخرج صبرى العسلى من بيت جمال عبد الناصر وهو لا يرى الطريق أمامه من دموعه التى تملأ عينيه ، لما وتأثرا فى نفس الوقت !
ثم اذاع بيانا يوضح فيه موقفه ، ويومها ، يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٥٨ ، كتبت بنفسى فى الصفحة الاولى من الاهرام مقدمة خبر استقالة السيد صبرى العسلى كما يلى بالنص :

«تقدم السيد صبرى العسلى الى السيد رئيس الجمهورية يطلب اعفائه من منصبه كأحد نواب رئيس الجمهورية حتى تنتهى اللجنة التى شكلت لدراسة وثائق محاكمات حلف بغداد من مهمتها .
وقد اذاع السيد صبرى العسلى — باذن رئيس الجمهورية — بيانا شرح فيه حقيقة موقفه مما تكشف اثناء محاكمات حلف بغداد .

وقال السيد صبرى العسلى ان بعض الصحف شوهت موقفه ، ثم شرح ظروف صلاته ببعض سياسة العراق .
واستشهد السيد صبرى العسلى فى بيانه بالرئيس جمال عبد الناصر وكان ذلك أيضا باذن خاص من الرئيس ، وفيما يلى بيان السيد صبرى العسلى :

ثم نشر الاهرام يومها نص البيان الكامل وأول كلمة فيه : «ان الله يدافع عن الذين آمنوا .. ان الله لا يحب كل خوان كفور »
ثم روى السيد صبرى العسلى ظروف الخمسة عشر الف دينار التى قبضها من حكومة العراق سنة ١٩٥٤ وشرح أنها كانت «من قبيل نجدة الشقيق للشقيق» فى ظروف مقاومة حكم اديب الشيشكلى وتدابير الثورة ضده .

ومضت الايام حتى كان يوم الانفصال ، ومن عجب ان السيد صبرى العسلى كان اُحد الساسة الذين وقعوا على البيان المؤيد له ، وكان أسبق من غيره في الهجوم على الوحدة وعلى عهدا وعلى حكمها .

ولا يهمنى هنا أن اذكر السيد صبرى العسلى بالآية الشريفة التي بدأ بها بيانه يوم ٧ أكتوبر ١٩٥٨ « ان الله لا يحب كل خوان كفور » .
لا أريد أن أذكره لانى أعرف عذره .

فان صبرى العسلى كان محاميا لدى عدد كبير من المصارف في سوريا ، فلما تم تأميم المصارف بمقتضى قوانين يوليو الاشتراكية وأضرت مصالحه تبعا لذلك ، تأثرت بالطبع ذاكرته في حفظها آيات القرآن الكريم

وهذه قصة من القصص الاولى للمشاكل الصغيرة التي واجهتها قوى الوحدة في دمشق .

وقصة ثانية ، هي قصة عفيف البزرى .

وكان عفيف البزرى رئيس الاركان في الجيش السوري قبل الوحدة ، وكان قائد الجيش الاول بعد الوحدة .

وكان عفيف البزرى في شبابه شيوعيا ليس في ذلك شك .

كان الحزب الشيوعى في فرنسا قد اتصل به حين كان عفيف البزرى يدرس في باريس قبل سنوات طويلة .

وكانت المشكلة فيما يتعلق به بعد الوحدة تتلخص فيما يلى :

اولا - لقد كان بين الذين تصدروا تيار الوحدة في فبراير وصحيح انه كان مدفوعا في الحاحه بطلب الوحدة اول الامر ، بفكرة أن مصر لن تقبلها فورىة ، ومن ثم فهي مناورة من جانبه ، تكشف تردد مصر من ناحية ، ومن ناحية أخرى قد - أقول قد واضع تحتها خطا - تدعم موقف الحزب الشيوعى بقيادة خالد بكداش في تشديد قبضته على سوريا ، خصوصا اذا تعذر ايجاد طريق للخلاص من ضغط حلف بغداد الذى كان يوشك وقتها أن يحطم سوريا .

ثانيا - كان هناك تساؤل فيما يتعلق بعفيف البزرى .

هل بقى على ولائه القديم للحزب الشيوعى ؟

أم أن ظروف النضال الوطنى زادتة قريبا من وطنه ومن احتياجات هذا الوطن ؟

وفي ظروف الحساسية في الفترة الاولى للوحدة ، وتحت دافع
لرغبة في ابقاء الواجهة سليمة دون تصدع ، أعطى عفيف البزرة فائدة
الشك ، أى فسر الشك لصالحه الا اذا قام الدليل القاطع يدينه
بالعكس ، ويؤكد الاتهام ضده .

وكان من أولى المهام التى بوشر العمل فيها بعد الوحدة ، ضرورة
تصفية الكتل السياسية في الجيش السورى ، لكى يستعيد هذا
الجيش قدرته كوحدة محاربة قادرة على اداء مهمتها الاساسية وهى
القتال .

وكانت هناك مجموعة من الضباط الشيوعيين ، يحيطون بعفيف
البزرى .

يومها لم تكن المعركة مع الشيوعيين قد خرجت سافرة برغم موقف
خالد بكداش المعادى للوحدة منذ لحظتها الاولى .

وفجأة اصدر عفيف البزرى حركة تنقلات في الجيش السورى ،
وضع بها مجموعة الضباط الشيوعيين من اصدقائه في كل المراكز
الحساسة في الجيش الاول .

وكان هذا تصرف يثير الغرابة ويثير الريبة في نفس الوقت .

وكان لابد من مواجهته صراحة فصدر قرار من القاهرة بوقف
هذه التنقلات .

وركب عفيف البزرى طائرة الى القاهرة يعارض في قرار وقف
حركة التنقلات .

وقيل لعفيف البزرى ::

— اسمع .. بصراحة .. هؤلاء الضباط على صلة بالحزب
الشيوعى .

وقال عفيف :

— لا اسمح باى تغيير فيما قررته مهما كان السبب . !

وخطب عفيف البزرى بيده على مائدة فى غرفة الاجتماعات بالقيادة
العامة للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة وقال :

— اذا لم تنفذ الحركة كما وضعتها فانى أستقيل .

وهب واقفا ، لم يترك لاحد فرصة مناقشته وغادر قاعة الاجتماع
الى فندق شبرد .

وكانت تلك غلطة عفيف البزرى الكبرى

انه لم يستطع أن يتصور أن الظروف تغيرت .

انه لم يعد قائد جيش مع حكومة ضعيفة متهالكة كتلك الحكومات التي تعود أن يصدر اليها الاوامر مصحوبة بالانذارات في دمشق قبل الوحدة - فتهرول الى الركسوع ! .

لقد تغير الوضع بعد الوحدة .

ان الجيش في المفهوم الجديد يجب ان يصبح أداة قتال لا أداة سياسة .

يجب أن يصبح درعا للنضال الوطنى وليس حزبا غارقا بسلاحه في الصراع الحزبى .

وكان لا بد من درس واضح يضع الامور في مكانها الصحيح مهما كانت قسوة الدرس وشدته .

وتقرر قبول استقالته وجرت المحاولة لابلاغه بالقرار ولكن احدا لم يستطع الوصول اليه قبل الصباح .

وهكذا قرأ عفيف البزرى في الصباح ، مع غيره من الاف القراء خبرا يقول :

«صدر قرار بقبول استقالة الفريق عفيف البزرى قائد الجيش الاول» ..

وفوجيء عفيف البزرى .. وفوجيء الناس .

ولكن الحسم كان لازما .

ومع ذلك ، وبرغم كل ما حدث ، كانت هناك الرغبة في الإبقاء على عفيف البزرى .

هكذا في اليوم التالى دعى الى مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر وقال له جمال عبد الناصر :

«ان الجيش الوطنى في مفهومى له مهمة معروفة .

ان الجيش لا يمكن أن يصبح أداة سياسية ، ولا حزبا بين الاحزاب .

ان الامة تدفع من تضحياتها لجيشها لكي يكون الجيش ملك الامة لا لتكون الامة ملك الجيش .

ولا بد إن تعرف أنني لا أستطيع قبول المنطق الذي كنتم تتعاملون به مع الحكومات في دمشق قبل الوحدة .

لقد ثبت أن الضباط العشرين على صلة بالحزب الشيوعي .

ولأستطيع أن اسمح بوجود خلية للحزب الشيوعي داخل الجيش الاول كذلك لا أستطيع أن اسمح لك بأستعمال سلطات منصبك كقائد للجيش الاول . . في حماية هذه الخلية وفي تمكينها من العمل ، والا كنت بذلك أعرض لوطن السورى للخطر»

واستطرد الرئيس جمال عبد الناصر :

— اننى أعرف ان اهتمامك بالاقتصاد واسع ، ولقد سمعتك مرات تتحدث فيه ، وأنا أريدك أن تبقى في خدمة الجمهورية ، لذلك فاني اقترح عليك ان تعمل في التخطيط ، وخصوصا ونحن بصدد دراسة شاملة لاحتمالات التخطيط في سوريا .

وقبل عفيف البزرى .

وخرج . . فهم الدرس الحاسم . . ثم فهم أيضا ان هناك فرصة جديدة له .

وعين عفيف البزرى بمرتب وزير في التخطيط في . وبدأ في أيامه الاولى هنا أنه مقبل على العمل ، يريد أن يتعلم كل ما يقدر على هضمه من المشاكل الجديدة التي وضع أمامها ، ثم يريد أن يثبت استحقاقه للفرصة الثانية التي منحت له .

ولكن فورة الحماسة لم تعيش طويلا .

أحس عفيف البزرى انه ابتعد عن مركز القوة في قيادة الجيش الاول بل وأثبتت الحوادث فيها فيما بعد أن الامر كان أخطر من ذلك

كان النجم الاحمر ما زال يشد عفيف البزرى ويبهره .

وفي ذلك الوقت ، في الشهور الاخيرة من سنة ١٩٥٨ ، بدا من تطورات الامور في العراق ، بعد مباغته اللواء عبد الكريم قاسم للقوى الوطنية العربية هناك ، أن الفرصة القادمة للشيوعيين . .

بدأت الشعارات الشيوعية تتردد في العراق ويعلو صـوتها على شعارات القومية العربية .

وبدأت الرايات الحمر تخفق مع الرياح في العراق وإمامها كانت الرايات العربية ترغم على النزول والانطوا .
وبدأ العمل الشيوعي سافرا .

ثم تبين بعد ذلك أن عفيف البزري وجد في العراق ما لم يستطع
العثور عليه في سوريا قبل الوحدة وبعدها .. فرصة مفتوحة لحكم
شيوعي .

وتبين أكثر ..

تبين أن عفيف البزري كان يكتب من القاهرة لقادة الحزب
الشيوعي العراقي .

وتبين أن عفيف البزري سمح لنفسه أن يكتب خطابا للواء
عبد الكريم قاسم ينصحه فيه بأن لا يتعاون مع الجمهورية العربية
المتحدة .

وأدهى من ذلك - على حد ما روى اللواء عبد الكريم قاسم نفسه
بعد ذلك - قال عفيف البزري لعبد الكريم قاسم في أحد خطباته إليه:

- لا تأت إلى القاهرة ، ولا تدع جمال عبد الناصر يذهب إلى
بغداد ، ولا تجتمعا حتى على خط الحدود فلقد علمت أنهم يدبرون لك
وضع السم في الطعام ليخلصوا منك !

والعهدة في الرواية على عبد الكريم قاسم ، وأنا بصراحة لأفهمه،
ولا أستطيع أن أحدد متى يصدق في كلامه . ولا متى يكذب .

وكان هذا كله مذهلا .

ولكنه كان طبيعيا في منطق كل الذين قاوموا تجربة الوحدة بين
مصر وسوريا ، وحاولوا حصر نطاقها كخطوة أولى ، قبل الانقضاض
عليها وضربها .

وكان هؤلاء معسكرا كبيرا .. جمع المتناقضات كلها .. جمع
الملوك وجمع الشيوعيين ، وضع الملك سعود في نفس الخط مع خالد
يكداش ، في فترة غريبة حافلة من تاريخ النضال العربي .

وذا صبح اختفى عفيف البزري من القاهرة وظهر في دمشق .
وذا صبح آخر اختفى من دمشق وظهر في بغداد .
وذا صبح ثالث اختفى من بغداد وظهر في صوفيا .
وهو الآن .. في مكان ما لا أعلمه على وجه اليقين .

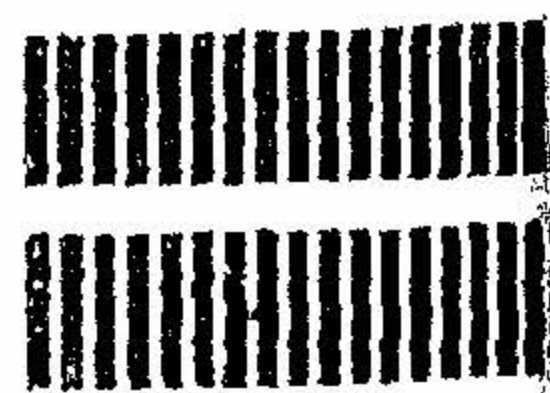
ولقد وصلت إلى نهاية هذه الصفحة وحكايات المشاكل الصغيرة
في عهد الوحدة ثم تنته بعد ...



مكايه عزب البعث في تجربه الوحده

التناقض بين "فكر البعث"
و"سياسة البعث"
والآراء التي لم تستطع أن
تتحول إلى "نظرية" عمل !

أكرم الحوراني



ما زالت للحكايات الصغيرة بقية .

وما زالت للحكايات الصغيرة في التجربة الكبيرة ، أذيال تجر نفسها ،
وتجر بعضها ، ولو أفسحت المجال لتفاصيلها لما انتهت !!

ولكنى أصل اليوم الى حكاية حزب البعث في تجربة الوحدة .

ولقد رويت في فيما سبق حكاية « صبرى العسلى » ، ورويت
حكاية «عفيف البزرى» وفي التسلسل الزمني للحوادث ، بترتيب
نهاياتها وليس بترتيب البدايات ، فان حكاية حزب البعث قد جاء
دورها .

وحكاية حزب البعث ليست حكاية سهلة ، وان دخلت هنا في
عداد الحكايات الصغيرة التى عرقلت زحف الشعب العملاق ، في تجربته
الاولى لتطبيق الوحدة العربية .

حكاية حزب البعث ليست سهلة لعدة أسباب تتمدد في نظرى ،
وتشتبك أحيانا وتفترق ، وتقوم - بالنسبة لى - على الوقائع التى
شهدتها في بعض الظروف ، وفي ظروف أخرى تقوم على الانطباعات وعلى
مجرد الاحساس .

ليست سهلة حكاية حزب البعث فيما يتعلق بى على الاقل .

أولا - أنا واحد من الناس الذين أعجبتهم ، في الماضى آراء حزب
البعث ، وشعاراته ، خصوصا في فترة الفراغ الفكرى ، التى امتدت
بين نهاية الحرب العالمية الثانية حتى تجلت ايجابية العمل الثورى في
مصر مع مطلع عام ١٩٥٥ .

ولكنى حتى في هذه الفترة ، كنت واحدا - من الناس - الذين
روعتهم طريقة حزب البعث في ممارسة نشاطه العملى في السياسة

السورية خصوصا في ظروف الانقلابات العسكرية المتكررة في سوريا،
ابتداء من انقلاب حسنى الزعيم على شكرى القوتلى حتى جاءت تجربة
الوحدة سنة ١٩٥٨ ، بل وحتى انتهت تجربة الوحدة سنة ١٩٦١

كان التناقض بين «فكر» البعث و «سياسة» البعث يحيرنى .

كان « فكر » البعث « يضىء » أحيانا بومضات عن الوحدة وعن
الاشتراكية وعن الحرية .

ولكن «سياسة» البعث كانت دائما غارقة في الظلام ، في المناورات
وفى الدسائس ، وفى المؤامرات فى كثير من الاحيان .

ثانيا - انا واحد من الناس الذين كان يراودهم فى وقت من الاوقات
أمل ، بأن حزب البعث قد يقدر يوما أن يحول « افكاره » الى « نظرية »
عمل ، أو شبه نظرية .

ولكنى واحد من الناس الذين طال انتظارهم على غير فائدة .

لقد مضت السنون بعد السنين وافكار حزب البعث ، فى احسن
احوالها مجرد افكار حاملة معلقة فى الهواء ، لا تقترب من الواقع المعاصر ،
ولا تواجه مشاكله ، ولا تحاول - حتى بالتجربة والخطأ - أن تبشر
تأثيرا على اتجاهات التطور العربى ، فى اى بلد عربى ، ولا حتى فى سوريا
كان حزب البعث على الورق حركة تقدمية .

ولكنه على الطبيعة ، وخلال اشتراكه فى الحكم قبل الوحدة وبعدها
لم يترك أثارا تقدمية تدل عليه !

ثالثا - انا واحد من الناس الذين قرأوا لميشيل عفلق ، فيلسوف
البعث ، ووعوا عنه ما قرأوا له ، وأن اختلفوا معه فى كثير مما قال .

وكنتم أرى فى صلاح البيطار من على البعد ، ملامح شاب ثائر .

وكان اكرم الحورانى ، لفزا محيرا لى ، لا يستقر رايى فيه على
قرار .

ولقد تصورت أنه اذا ما اتاحت لى الفرصة أن اراهم عن قرب ،
فلربما منحتنى الفرصة مزيدا من الفهم .

وحين التقيت بميشيل عفلق ، تبدد خيالى القديم عنه ، كانت
أفكاره تضيع منه ومنى فى الالفاظ ، وكانت الالفاظ تضيع منه ومنى
على لسانه ، فلقد كان يستريح نصف ساعة بين الكلمة والكلمة ، وكان
الاستماع اليه فى المرات التى اتيح لى أن التقي فيها معه ، عذابا ليس
فوقه عذاب ! ..

وأما صلاح البيطار فلقد كان وقتى يضيع معه ، وأنا أرقبه ساعة بعد ساعة ، وهو يقرض اضراسه ويمضفها .

وأكرم الحوراني ، زادت حيرتى فيه بعد لقائى معه ، عما كانت عليه قبل هذا اللقاء ، فلقد كان معظم ما سمعته منه لا يزيد على قوله أن فلانا « آدمى » وفلانا الآخر « رذيل » .

ثم كانت النتيجة التى خرجت بها فى النهاية أن حزب البعث ضيع افكاره فى المناورات الحزبية ، وأن « ثورية » البعث المحتملة تأهت فى سراديب السياسة السورية وفقدت قدرتها على أن تتطور ، ومن ثم فقدت قدرتها على المساهمة فى تطوير الواقع العربى .

رابعا - أنا واحد من الناس الذين اكتشفوا بالتجربة أن ثمة خطأ فاضلا ، حقيقيا وموجودا ، بين قيادات البعث ، وبين قواعد البعث .

ولقد ألمحت الى القيادات بما يتضمن رأى .

ولكن رأى - حتى هذه اللحظة - أنه ما زالت لقواعد حزب البعث فى كثير من البلاد العربية قيمة وطنية لا بد أن يحسب حسابها فى الميزان ...

لقد رأيت فى عدد من البلاد العربية شبابا كثيرا ما زال يؤمن بما وصل اليه من افكار حزب البعث وآرائه .

وبقدر اعجابى بهذا الشباب .. كان اشفاقى عليه .

وانى لاشفق على هذا الشباب اليوم ، أكثر من أى يوم مضى ، خصوصا بعد الموقف الذى وقفته قيادات البعث الرسمية من الانقلاب الاخير على الوحدة فى دمشق .

ويوم وقف قادة حزب البعث فى دمشق يؤيدون الانقلاب على الوحدة ، ويوقعون بامضاء اكرم الحوراني ، وصلاح البيطار ، على البيان الذى وقعته عدد من ساسة سوريا القدامى بمهاجمة الجمهورية العربية المتحدة ، هممت لوهلة بأن أمسك قادة حزب البعث وحدهم ، دون جميع الذين وقعوا . وأرد عليهم .

هممت أن أقول لهم أن جزءا كبيرا من أسباب فشل التجربة يقع عليهم ، فلم يخرج دورهم فى تجربة الوحدة عن احد موقفين :

✳ موقف المناورة والاحراج الحزبى ، بغية أن يكون لهم وحدهم حق الحكم فى سوريا وحدها !

* ثم موقف السلبية المطلقة - بعد المناورة والاحراج - حتى تتأزم الامور قدر ما يمكن أن تتأزم ، ثم لا يكون هناك مخرج من الازمة غير الاستجابة لشروطهم وهي ان ينفردوا وحدهم بسوريا وحدها ! .

هممت بأن أفعل ذلك ، ثم تراجعتم .

ومن أجل شباب البعث وحده ، وليس من أجل قاداته ، تراجعتم : هذه صورة عامة في التمهيد للحكايات الصغيرة من دور حزب البعث في تجربة الوحدة .

وبعدها ندخل في التفاصيل ..

وأضيف ، اتنى سأدخل قليلا في التفاصيل ، وليس كثيرا ، ومن أجل شباب البعث التقدمي وحده هذا القيد الذي أفرضه على نفسي ، وليس من أجل الدهاء من صناع المناورات والدسائس ، أبطال الالعب «المدهشة» على الحبال من زعماء البعث وساسته .

الحكاية الاولى من حكايات البعث ، بدأت مع اليوم الاول ، في حكومة الوحدة ..

بطلها صلاح البيطار .

وصلاح البيطار كان وزيرا لخارجية سوريا قبل الوحدة ، وكان يريد أن يكون وزير الخارجية في الجمهورية العربية المتحدة يوم ان قامت الوحدة .

وحين عرف صلاح البيطار أن الدكتور محمود فوزي سيبقى وزيرا للخارجية بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، لم يعجبه الحال .

قال رايه صراحة

وقيل له :

- أن الجمهورية العربية المتحدة بعد قيامها مقبلة على أدوار دولية هامة والدكتور محمود فوزي شخصية دولية لها قيمتها ، وفي طاقته جهد كبير يستطيع به أن يخدم القضية العربية دوليا كخير ما تكون الخدمة ، خصوصا وأن الدكتور فوزي وراءه تجربة دولية بعيدة ، وله صداقات دولية واسعة .

وقيل لصلاح البيطار :

— انك ستكون وزيرا للدولة فى الوزارة ، وستكون الشؤون العربية
هى اختصاصك وفى هذا المجال تستطيع أن تقوم بالكثير .

وسكت صلاح البيطار ، ولكن عدم اقتناعه كان واضحا ، من
الطريقة التى راح يعد بها حبات السبحة التى يمسك بها فى يده .

ثم جاءت الحكاية الثانية بعد بضعة اسابيع من تجربة الوحدة .
ذهب صلاح البيطار ومعه ميشيل علق الى مقابلة الرئيس جمال
عبد الناصر وكانا يحملان وجهة نظر فى الحكم .
كانت وجهة نظرهما ان الوحدة لم تقع عملا ، وان كانت قد
وقعت شكلا .

وقال جمال عبد الناصر :

— انه يشعر أن ذلك صحيح ، فان فى دمشق حكومة وفى القاهرة
حكومة ، وليس بين الحكومتين من رباط الوجود رئيس واحد للجمهورية
وهذا وضع لا تتحقق به الوحدة عمليا على النحو الذى يفى بآمال
الشعب فى الوحدة .

وقال صلاح البيطار :

— هناك ، يا سيادة الرئيس ، مسألة «المشاركة» ، نحن نشعر أننا
لا نشترك فى الحكم على مستواه الاعلى لهذا فان لدينا اقتراحا بتأليف
مجلس منكم ومنا .

وقال جمال عبد الناصر انه يريد مزيدا من الشرح .

واستطرد صلاح البيطار :

— اننا نرى أن يؤلف مجلس اعلى للدولة ، ولو حتى بصفة غير
رسمية ، على أن يوكل اليه — تحت اشرافكم — أمر البت فى كل القضايا
الرئيسية الهامة ، ويكون هذا المجلس من ستة ، ثلاثة منا وثلاثة منكم .

واستطرد صلاح البيطار :

— ثلاثة منا ، هم أكرم الحوراني وميشيل علق وأنا ، وثلاثة منكم
وليكونوا المشير عبد الحكيم عامر والسيد عبد اللطيف البغدادي والسيد
زكريا محيى الدين .

وقال جمال عبد الناصر :

— ان لى ملاحظات على هذا الراى :

اولا — ان معنى كلمة «منا» و «منكم» انكم شىء واثنا شىء آخر مختلف وهذه لاول وهلة فى احساسى انفصالية اكثر منها وحدة .

ثانيا — ان الثلاثة الذين اخترتموهم «منكم» كلهم من حزب البعث ومعنى ذلك اننى افرق بين «بعثى» وبين «سورى» وحين صوت شعب سوريا على الوحدة ، وقرر انتخابى رئيسا للجمهورية ، كان الشعب السورى كله ، هو الذى صوت وهو الذى قرر ، فكيف اضع الان فارقا اميزبه البعثيين على غيرهم من السوريين ، ثم ماذا اقول للذين يشتركون معنا فى الحكم الان من الوزراء السوريين .

وقال ميشيل عفلق :

— الواقع ان كثيرين من هؤلاء الوزراء يجب ان يخرجوا
عبد الحميد السراج مثلا يجب ان يخرج .. . وامين النفورى كذلك ..
لا نقول بخروجهم الان ولكن نجعل ذلك فى حسابنا للمستقبل .

وقال جمال عبد الناصر :

— لا اتصور مثل هذا الراى ، لا اتصور ان يجلس معى الان فى مجلس الوزراء وزير يشاركنى فى تحمل المسئولية ، وانا اعلم فى ذهنى اننى سوف اخرجه من الوزارة بعد شهر ، كيف يمكن ان نعمل بهذا الشكل ؟

واستطرد جمال عبد الناصر :

ومن ناحية اخرى ، من ناحية الاقتراح ذاته ، فلست اتصور انه من واجبنا ان نضع وصاية داخلية على الدولة .
وانما الذى اتصوره واجبنا هو ان تقوى الدولة ونحقق توحيدها ، وان تكون هناك للجمهورية الواحدة ، حكومة واحدة ، ولقد كان فكرى ان ابحث هذا الامر : نؤلف حكومة مركزية قوية للجمهورية العربية ، ثم تكون هناك المجالس التنفيذية للاقليمين وفى داخل الحكومة المركزية يجرى بحث السياسة العليا للجمهورية ويتم رسمها بطريقة مفتوحة نشارك فيها جميعا .

وانتهت المناقشة ولكن وجهة نظر حزب البعث تجلت من خلالها .

وجهة نظره ان يكون هو — حزب البعث — مقابل مجلس الثورة السابق فى مصر — ثم من ممثلى الاثنين معا يقوم مجلس اعلى للدولة .

ثم جاءت الحكاية الثالثة ، في الايام التالية مباشرة لثورة العراق . .
بعد ايام قليلة من ثورة العراق ، سافر السيد ميشيل عفلق الى بغداد
وكانت في بغداد حركة نشيطة للبعث العربي ، وبدأ ميشيل عفلق ينادي
في بغداد بانضمام العراق الى الجمهورية العربية المتحدة .

وفي الظروف العادية كان ذلك امرا يمكن أن يمر بسهولة ويسر ،
ولكنه في الظروف غير العادية التي صاحبت ثورة العراق ، كان أمرا
يقدر على خلق مشاكل لا أول ولا آخر لها .

فلقد استغل الحزب الشيوعي في العراق نداء ميشيل عفلق بالوحدة
ورفع في مقابله شعار الاتحاد .

ثم بدأت الفرقة والصراع في العراق بين الوحدة والاتحاد .

واستغل اللواء عبد الكريم قاسم هذا الصراع ليضرب الوحدة
والاتحاد معا ، بعضهما ببعض .

في ذلك الوقت كان الرئيس جمال عبد الناصر قد وصل الى
دمشق عائداً من موسكو بعد لقائه الشهير مع خروشوف في اعقاب ثورة
العراق .

في ذلك الوقت كان بين قادة البعث من يرى ان يطير عبد الناصر
الى بغداد وأن يتم على الفور دخول العراق الى الجمهورية العربية
المتحدة .

وكان جمال عبد الناصر يرى في الامر رأيا آخر .

كان يرى أولا ان شعب العراق هو الذي صنع ثورة ١٤ يوليو ولا
يد لهذا الشعب نفسه أن يمارس حريته قبل أن يقرر مصيره بالوحدة
أو الاتحاد . . .

وكان يرى ثانيا أن الاندفاع العاطفي سوف يخلق حساسية
شديدة لدى قادة الثورة في العراق خصوصا وأن المعلومات بدأت تجيء
مفصلة عن عقد اللواء عبد الكريم قاسم الذي صدره رفاقه في الثورة
لقيادتها الرسمية .

وكان يرى ثالثا أن من الضروري أي شيء دعم التجربة
الحالية للوحدة بين مصر وسوريا وانجاحها وجعلها نموذجا صحيحا
لفاعلية الوحدة عمقا بدلا من مجرد الاندفاع سطحيا في فورة العاطفة
خصوصا في الجو الدولي الملبد بالفيوم والعواصف وقتها ، وعلى ضوء
ما كان عبد الناصر يعرفه وحده من أن الاتحاد السوفيتي ليس مستعدا

لمساندة القومية العربية في صراعها مع الاستعمار اذا ما وصل هذا الصراع الى نقطة الخطر .

وفي ذلك الوقت ، قال الرئيس جمال عبد الناصر ، للعقيد عبد السلام عارف الذي رأس وفدا يمثل ثورة العراق ليزور دمشق ، قال له امام الوزراء العراقيين الذين رافقوه في رحلته ، ما يلي :

— اننى اريدك أن تنقل الى اللواء عبد الكريم قاسم والى جميع رفاقك فى قيادة ثورة العراق ، اننا على استعداد لان نتعاون معكم الى غير ما حد ، ودون ما قيد او شرط فى جميع النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية .

وفيما يتعلق بما يطرح الآن من مناقشات حول موضوع الوحدة ، فان رأى هو :

* ان شعب العراق فى حاجة الى الشعور بحريته بعد الكبت الطويل قبل أن يمارس هذه الحرية فى تقرير مصيره ولا ينبغى أن يفرض عليه الآن شىء قبل ان تتاح له فرصة التثبت مما يريد .

* ان شعب العراق فى حاجة الى الوحدة الوطنية داخل العراق اكثر مما هو فى حاجة الى الوحدة أو الاتحاد معنا .

وبعدها عندما عاد ميشيل عفلق ، وكانت زيارته لبغداد قد انتهت بمشاكل وحساسيات لم يكن هناك مبرر لها ، لم يقل له أحد :

— ان الذى قلته هناك قد حسب على الجمهورية العربية المتحدة وهو الآن يستغل ضدها .

لم تكن هناك رغبة فى وضع قيد على رأيه .

لقد أكل هو الحصرم فى بغداد .. وضرست الجمهورية العربية المتحدة كلها .. فى دمشق وفى القاهرة .

ثم تعاقبت حكايات كثيرة .. رابعة وخامسة وسادسة ..

* تواترت الاخبار من دمشق ، بأن وزراء البعث لا يضعون غير البعثين فى وزاراتهم .

ان بطاقة حزب البعث أصبحت جواز المرور الى التعيين فى وظائف الدولة ، كما أصبحت وسيلة الترقى الى المناصب الكبرى فيها .

وقيل لحزب البعث فى رقة ، فى منتهى الرقة !

– تذكروا انكم لم تعودوا حزيين بعد حل الاحزاب .

انا نسلم أن جزءاً من الحملة عليكم مفتعل لاجراكم .

ولكن ثمة شيء من الصحة فيما يقال عن التحزب للبعثيين ، وكل الذي تفعله الحملة هو أنها تضع منظارا مكبرا تحاول به تجسيد الخطأ وتعطيه شكلا يزيد كثيرا عن حقيقته .

* ثم بدأ الكلام عن نشاط بعثي في داخل الجيش الاول .

ثم وصل الامر الى حد أن السيد أكرم الحوراني حاول أن يتدخل صراحة في تنقلات الجيش .

ثم أبدى رايه مرة بضرورة عزل الفريق جمال فيصل قائدالجيش الاول واقترح تعيين السيد مصطفى حمدون وزير الاصلاح الزراعي في ذلك الوقت قائدا للجيش الاول .

وكان الرأي الذي قيل له :

– لا ينبغي أن نجعل الحزبية تعود الى الجيش .

ان الجيش الاول في حاجة الى جهد كبير في التدريب ، وينبغي أن نوفر له الجو الملائم ، الذي يحقق له تكريس جهده كله الى مسؤوليته ، والى احتمالاتها المقبلة .

* ثم كان في أعقاب هذا كله أن بدأ البعث نفسه يشكو مما يلاقيه في سوريا وركب صلاح البيطار طائرة ذات يوم الى القاهرة ليقول للرئيس جمال عبد الناصر :

– ان حزب البعث يلقى عنتا واضطهادا في سوريا من عبدالحميد السراج ...

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

– اننى لا ارضى بأن يتعرض حزب البعث لاي عنت واضطهاد .

وبدأ صلاح البيطار يتحدث غما سمعه في سوريا مما يلاقيه اعضاء الحزب، أو المنتمون اليه .

وخرج صلاح البيطار ، وبعث الرئيس عبد الناصر بشارة الى دمشق يطلب من عبد الحميد السراج ركوب أول طائرة الى القاهرة ..

وتحدث الرئيس مع عبد الحميد السراج فيما سمعه من صلاح البيطار . وقال عبد الحميد السراج انه يتمنى لو انه سمع وقائع محددة تثبت عليه مسؤولية ما يوجه اليه .

وقال الرئيس :

اننى ارى ان مواجهة الامور صراحة هى السبيل الوحيد .
ثم رفع سماعة تليفون من فوق مكتبه وطلب اخطار السيد صلاح
البيطار أن يتوجه فوراً من حيث يكون الى مكتب الرئيس .
وبعد ربع ساعة جاء صلاح البيطار ليجد عبد الحميد السراج
جالسا ينتظره .

وقال الرئيس :

— صلاح .. لقد رأيت أن لاندور حول المسائل لكى لانتوه فيها،
لقد قلت لى أمس ان عبد الحميد السراج يتبع سياسة العنت والاضطهاد
ضد البعث وأنا اريده أن يسمع منك كل ما سمعته أنا بالأمس
حتى تظهر الحقيقة ، فانى أخشى أن يكون هناك من يسعى لتسوية
العلاقات بينكما .. لذلك أريدك أن تتكلم مع عبد الحميد بكل ما عندك .
.. بكل تفاصيله ..

وبدا صلاح البيطار يرسم صورة جو عام .

وعبد الحميد السراج يلح فى طلب وقائع محددة .

وانتهت الجلسة دون نتيجة حاسمة وان بدأ وأضحى أن عناصر
كثيرة تحاول إثارة زوابع لا ضرورة لها داخل سوريا خصوصا بين الذين
يتصدرون الحكم من السوريين .

ثم جاءت حكاية انتخابات الاتحاد القومى .. انتخابات القاعدة
الشعبية فى ذلك الوقت ..

وقام خلاف فى وجهات النظر ..

كان حزب البعث يرى أن يمارس وزير الداخلية حق شطب أسماء
من يجرى الاعتراض عليهم من المرشحين .

وكان الراى الآخر هو أن الشطب لا ضرورة له فى انتخابات
القاعدة الشعبية خصوصا وأن تطبيقه عمليا سوف يكون مسألة صعبة .

كان عدد المرشحين فى مصر ١٢٠ ألفا .

وكان عددهم فى سوريا عشرة آلاف .

فكيف يمكن أن يجرى الشطب وعلى أى قاعدة وعلى أى أساس

في ذلك الوقت قال الرئيس جمال عبد الناصر للسيد أكرم الحوراني :

— لقد جربنا الشطب في انتخابات مجلس الامة سنة ١٩٥٧ ، ولقد أحسست وقتها أن ثمة شعورا عاما بأن الشطب يؤثر — في تصور الناس على سلامة عملية الانتخابات .

ومن ناحية أخرى فان ممارسة حق « الشطب » في انتخابات القاعدة الشعبية من أجل خلق تنظيم سياسي معناه أننا نصنع المعارضة قبل أن نصنع التنظيم السياسي .

ثم كيف يمكن أن تجري التحريات عن كل هذا العدد من المرشحين لكي يكون المشطب على أساس وعادة ؟

وزارة الداخلية مثلا ؟ كيف تستطيع ؟ .
أنت مثلا . . ؟ هل تعرف كل هؤلاء الناس المتقدمين للترشيح في سوريا ؟
أذن ، ماذا سيكون الحل ؟

سوف تسمع كلام بعض الناس ممن تعرفهم في الآخرين ممن لا تعرفهم وكل واحد سوف يصور لك غيره على هواه .

ثم كان موقف حزب البعث بعد ذلك من انتخابات القاعدة الشعبية غاية في العجب . .

تجلى أن الحزب مختلف مع غيره ومختلف مع بعضه أيضا .

فريق قرر دخول الانتخابات على أساس عدم الشطب ، وفريق قرر أن لا يدخل من غير شطب لمنافسيه ، ثم بدأ قسم من الفريق الذي قرر الدخول ينسحب في اللحظات الأخيرة للانتخابات بحجة أن عبد الحميد السراج وزير الداخلية وقتها يتدخل ضده .

ثم جاءت الحكاية الحاسمة التي خرج فيها وزراء البعث من الوزارة .

بدأت الحكاية مع الظروف التي كان السيد مصطفى حمدون وزير الإصلاح الزراعي — وأحد وزراء حزب البعث وواحد من أحسنهم للحقيقة والتاريخ — يمارس بها تنفيذ قانون الإصلاح الزراعي .

في بعض الظروف كان يبدو أن مصطفى حمدون ينفذ القانون بطريقة عنيفة ، تجعل من السهل تصوير تصرفه وكأنه من وحى شهوة للانتقام .

ثم جاءت واقعة محددة بالذات متعلقة بأرض واحد من كبار الملاك من أسرة الجابري في حلب وهو رشاد الجابري فيما أذكر .

وكان قانون الاصلاح الزراعى يعطى مالك الارض حق اختيار نصيبه الباقي له بعد تطبيق القانون ، ولكن مصطفى حمدون رفض أن يترك لرشاد الجابري هذا الحق وصمم على أن يختار له هو قطعة الارض التى يحتفظ بها .

ويومها سئل مصطفى حمدون :

— لماذا تقف هذا الموقف مع أن نص القانون صريح ؟

وقال مصطفى حمدون :

— ان رشاد الجابري أحد عملاء حلف بغداد .

وقيل لمصطفى حمدون :

— ولكن تلك مسألة ، وهذه مسألة مختلفة .

اذا كان القانون يعطيه حقا فلا يجب أن نمنعه عنه ، واذا كان في تصرفاته ما يمس وطنيته فليس هناك ما يمنع من محاكمته ولكن المسألتين يجب أن تظل كل منهما في معزل عن الاخرى .

في ذلك الوقت كان المشير عبد الحكيم عامر في دمشق ..

وفي ذلك الوقت كان الحل الذى وجد ، لمواجهة الازمة هو تأليف لجنة خماسية تتولى تطبيق قانون الاصلاح الزراعى تحت اشراف مصطفى حمدون .

ولكن مصطفى حمدون قدم استقالته .

وبعث المشير عبد الحكيم عامر باستقالة حمدون الى القاهرة ومعها خطاب شخصى منه الى رئيس الجمهورية ، يرجوه فيه أن لا يقبل استقالة حمدون باعتباره شابا وطنيا مخلصا .

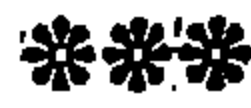
وفجأة تقدم السيد عبد الفنى قنوت وزير الشؤون البلدية والقروية — وأحد وزراء حزب البعث — باستقالة ثانية .

وتلقى المشير عبد الحكيم عامر رسالة من القاهرة تطلب اليه اخطار الوزيرين المستقيلين ، مصطفى حمدون وعبد الفنى قنوت بالسفر الى القاهرة لمقابلة رئيس الجمهورية ظهر الفد .

وكان اليوم ، يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩ .. ذكرى عيد النصر الثالث
في بور سعيد .

وعاد جمال عبد الناصر من بور سعيد بالقطار ومعه على مائدة
العشاء في القطار يومها السيد أكرم الحوراني والسيد صلاح البيطار .
وكان كل شيء يبدو هادئا وطبيعيا .

ووصل القطار الى القاهرة .. لم يبدو أن أكرم الحوراني وصلاح
البيطار سمعا بما حدث في دمشق ، أو كانا يعلمان به ويخفيان ما يعلمان
وإذا كل منهما في الصباح يكتب استقالته من الوزارة ويسارع بكل
وسيلة على عجل ليصل بها الى رئيس الجمهورية قبل مواعده عند
الظهر مع مصطفى حمدون وعبد الغنى قنوت .



وكان وصول الاستقالتين مفاجأة غير متوقعة .
ولكن دلالتها كانت خطيرة بما تضعه من شوائب على روح الثقة
وعلى توفر الاخلاص لدى الذين يواجهون المسؤولية الواحدة .
وفي ذلك الوقت وصل الى دار الرئيس كل من السيدين مصطفى
حمدون وعبد الغنى قنوت .

وقال لهما الرئيس جمال عبد الناصر :
لقد اردت ان اقابلكما وفي ذهني ان اقول لكما اننى ارفض الاستقالة
وان كلا منكما مجند في خدمة الجمهورية ، ولكن الموقف تغير الآن .
لقد تلقيت استقالتين من أكرم الحوراني وصلاح البيطار .
ولقد جعلنى ذلك أحس أن الامور تجري بالمنطق الحزبى في وزارة
ائتلافية ...

وأنا أعتبر هذا الوضع اخلايا بما اتفقنا عليه جميعا من مقتضيات
المرحلة الحاضرة ، فلسنا هنا نمثل أحزابا .. ولسنا وزارة ائتلافية
لمجموعة متضاربة المصالح من الاحزاب .
لهذا فلسوف اقابلكم مرة ثانية بعد أن أرى أكرم الحوراني
وصلاح البيطار .



ودعى السيد أكرم الحوراني لمقابلة رئيس الجمهورية ، وقال
له الرئيس :
- لقد كنت معى بالأمس وكنا نتناول العشاء معا ، وكان الحديث

بيننا متصلا ، ثم افاجأ اليوم باستقالة تقدمها لى .. كيف يمكن أن أفسر هذا ؟ ..

وظل أكرم الحوراني صامتا .

ثم جاء دور صلاح البيطار ، ولم يكن صامتا كأكرم الحوراني وإنما ركز المشكلة كلها في قوله :

— ان عبد الحميد السراج هناك وحده في سوريا .. ونحن هنا بعيدون في مصر ...

وعاد مصطفى حمدون وعبد الفنى قنوت الى مقابلة ثانية مع رئيس الجمهورية .

وروى لهما الرئيس تفاصيل مقابله مع أكرم الحوراني وصلاح البيطار وكيف أنه قرر قبول استقالات وزراء حزب البعث ، ثم قال جمال عبد الناصر :

— لم أكن أريد أن تصل الامور الى هذا الحد ، ولكن ما حدث والطريقة التي حدث بها اقنعتنى ان أساس الثقة لم يعد قائما .

وانتقل الحديث بعد ذلك الى كلام عن الذكريات وعن الآمال وعن أيام مضت وأيام ستجىء .

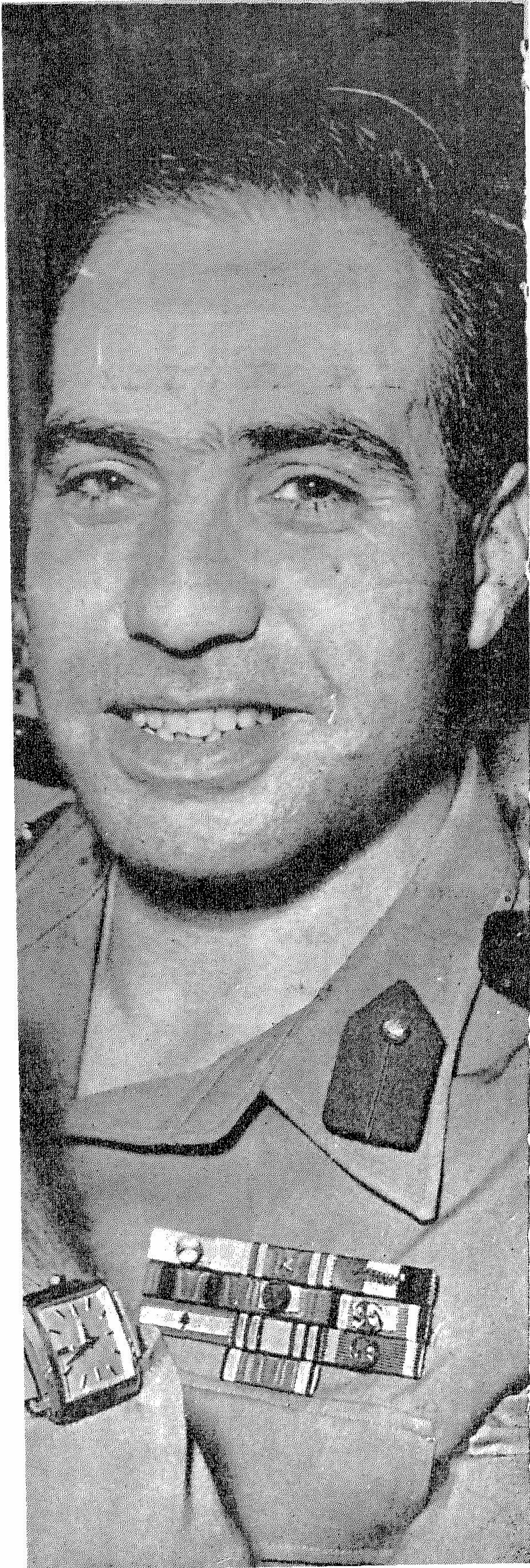
وخرج مصطفى حمدون وعبد الفنى قنوت وفي عيني كل منهما دموع طيبة صادقة ومخلصة .

ولقد اختصرت الحكايات طويلا — كما قلت — ولم أدخل الى تفاصيل التفاصيل ..

من أجل قواعد حزب البعث أولا وليس من أجل زعاماته .

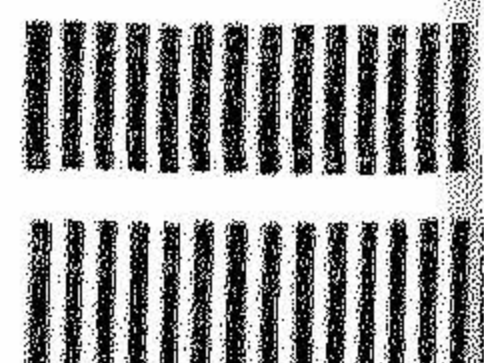
ثم لى لا يطول الحديث الى غير ما نهاية .. وانسى في الماضى القريب نفسى .. ولا أمد البصر الى المستقبل وهو أهم .

ومع ذلك فما زالت بين الحكايات ، واحدة باقية هي حكاية عبد الحميد السراج .



مكافئة عبدالحمد السراج

لمسات الضوء في صورته
ومسابت الظل



ولقد وصلت الآن الى حكاية عبد الحميد السراج في تجربة الوحدة.

وصلت الى الحكاية على طريق الشوك .

والشوك على طريق هذه الحكاية بالذات اسبابه كثيرة .

* سبب منها ، شخصي بحت ، أعترف به في مقدمة هذا الحديث مع تسليمي الكامل ، بأن مثل هذا السبب ليس عنصرا له أهميته حين التصدى لمحاولة تحليل الظروف في حدث كبير من أحداث التاريخ .

هذا السبب هو أنني أحب عبد الحميد السراج - وما زلت - برغم أخطائه التي لا أغمض عيني عنها - أشعر أنه شاب عربي قومي مخلص .

* وسبب منها ، ان حكاية عبد الحميد السراج نزل عليها ستار من الظلام الكثيف عقب الانقلاب على الوحدة في سوريا ، ولست أعرف خلال هذا الظلام الكثيف ، أو بمعنى أدق لست أرى - أين يقف عبد الحميد السراج الآن ، وما هو رأيه فيما حدث ؟ كل ما أعرفه أن عبد الحميد السراج معتقل ، وأن صاحب الجلالة الملك سعود - بالذات - يطالب برأسه لكي يحمل اليه - حيث يكون - على طبق من ذهب !

* وسبب منها - ثالث وأخير - هو أن القراء الذين يتابعون هذه السلسلة من المقالات باهتمام - كرما منهم وحسن ظن - لم يتركوني حتى أنتهى من كتابة حكاية عبد الحميد السراج ، وإنما سبقوني اليها بمجرد أنشرت الى أن دور عبد الحميد السراج قد جاء في تجربة الوحدة ...

ما كادت هذه الإشارة تظهر في ختام الحديث الماضي ، حتى وجدت سيلا من الخطابات يقتحم مكتبي .

وكان واضحاً من هذا السيل أن هناك تيارين يتنازعان الرأي العام
فخيماً يتعلق بعبد الحميد السراج .

تيار عبر عن نفسه بعبارة في أحد الخطابات التي تلقيتها تقول :

«لا تقل بالله كلمة تسوء الى عبد الحميد السراج ، لقد عمل من
أجل الوحدة ما لم يعمل غيره ، بل لقد جرب الذين قاموا بالانقلاب على
الوحدة في دمشق أن يجروه الى التعاون معهم ، ولكنه رفض ، في حين
أن الذين كانوا يناصبونه العداوة ، هرولوا الى الخضوع للانقلاب ووضع
توقيعاتهم بالخط الكبير على بيانات رسمية بتأييده وبالسمع والطاعة له»
وتيار آخر عبر عن نفسه بعبارة مختلفة في خطاب آخر مما تلقيته
من خطابات .. جاء فيها :

«ربما دفعتك محنة عبد الحميد السراج الحالية ووجوده في سجن
المزة الى الدفاع عنه . ان الشعب العربي في سوريا يمكن أن يغفر كل
شيء الا الدفاع عن السراج فهو المسئول الاول عن هذه النكسة ، يكفي
أنه ، وهو يزعم ، السيطرة على كل شيء في سوريا ، لم يعرف بهذا
الانقلاب الذي يدبر منذ سنوات ضد الوحدة ، أما اذا كان يعرف ، ولم
يفعل شيئاً فالمصيبة أدهى» .

طريق الشوك اذن طريقى الى حكاية عبد الحميد السراج .

من عاطفتى الخاصة ..

من الغموض الذى يحيط به ، ويحيط بمصيره .

من موقف الرأي العام نحوه ، وبروز تيارين فيه يتصارعان معا
ولا يلتقيان أبداً .

ولكن الذى يسهل الامور على احد بعيد هو اقتناعى الكامل
بأننى هنا لا أكتب تاريخاً ، فان الشرط الاساسى لكتابة التاريخ بصدق
وامانة ، هو أن تكون حوادثه قد ابتعدت طويلاً مع السنين ، وهدأت
فيها حرارة العواطف مهما كان اتجاهها ، وتجردت الوقائع كلها من أى
أثر للانفعال ..

وحكاية عبد الحميد السراج ، ما زالت حية .

ولست أدمى لنفسى التجرد ، وكل ما أتمنى أن ادعيه لنفسى لو
استطعت ، هو أن اكون صادقاً مع نفسى فى رواية الحوادث بقدر ما
أراه بالفعل منها ، وليسى هذا مجرداً ، فان كل انسان يحكمه تكوينه

الفكرى فى نظرتة الى الحوادث ، مهما طلب الصدق والى فى طلبه ، ولأنه
واحد من الذين يقولون بأنه لا شىء يمكن أن يوجد فى فراغ ، حتى
الحقيقة ذاتها ، ومعنى ذلك أن الحقيقة فى تصورى ، كالهواء الذى يملأ
غرفة مكتبى ، تحدد جدران الحائط وزواياه وارتفاعاته .

ولكنى أكاد استطرد الى بحث فلسفى ، يبعد بى عن حكاية عبد
الحميد السراج !

واذن أعود الى وقائعها !

من أين تبدأ حكاية عبد الحميد السراج ؟

والرد على هذا السؤال :

إنها تبدأ من قبل الوحدة بكثير ، بل أن دراسة هذه الحكاية فى
بدايتها من قبل الوحدة ، أكثر ضرورة لمتابعة استمرار هذه الحكاية -
طبيعيا - بعد الوحدة

لمسات الضوء فى صورة عبد الحميد السراج لمعت قبل الوحدة
ولمسات الظل فى صورة عبد الحميد السراج لفها القموض من قبل
الوحدة

ولمسات الضوء فى صورة عبد الحميد السراج ، فى رأى ثلاث

١ - كان عبد الحميد السراج فى الفترة الحرجة ، من سنة ١٩٥٤ الى
سنة ١٩٥٨ أيام ضغط حلف بغداد على سوريا ، وأيام محاولة الحزب
الشيوعى للسيطرة على سوريا ، واحداً من مجموعة الشباب الوطنى فى
الجيش السورى ، الذين قدروا على حماية استقلال سوريا ، وصمدوا
لمختلف أنواع المؤامرات ، سواء منها التآمر بالاغراء أو التآمر بالارهاب ،
أى التآمر بسلاح المال أو التآمر بسلاح القتل ، كان عبد الحميد السراج
واحداً من هذه المجموعة من الشباب الوطنى ... بل كان بحكم عمله
فى رئاسة المكتب الثانى - المخابرات - أظهر أفراد هذه المجموعة فإن
منصبه يعرضه ، ويفرض عليه بدوره أن يتعرض لمواجهة هذه المؤامرات ،
بكشفها وتحطيمها

٢ - كان عبد الحميد السراج ، فى اليوم الاول من شهر نوفمبر
١٩٥٦ ، هو الذى أخذ على عاتقه عملية نسف أنابيب البترول القادمة
من العراق عبر سوريا الى البحر .

وكان نسف أنابيب البترول ، وتوقف تدفقه من العراق عبر سوريا
الى البحر ، خصوصا بعد اغلاق قناة السويس بحكم العمليات العسكرية

الهائلة التي دارت خلال معارك العدوان الثلاثي على مصر في تلك الفترة، عاملا هاما من عوامل النصر الذي أحرزته قوى القومية العربية ضد قوى الاستعمار وأدواته التي أرادت في ذلك الوقت توجيهه الضربة الساحقة الى قاعدة التحرر العربى في مصر سنة ١٩٥٦ .

ولقد ثارت عليه بسبب ذلك ثائرة الوزارة القائمة بالحكم في سوريا وقتها واتهمته بتعريض سلامة سوريا للخطر .

ولكن ما حدث .. كان قد حدث فعلا .. ولم تصل ثورة الوزارة الى نتيجة ، بحكم الامر الواقع .. وبحكم العجز أيضا .

٣ - كان عبد الحميد السراج هو بطل قصة ملايين الملك سعود الشهيرة التي أرادت أن تتأمر على الوحدة في يومها الاول .

وصحيح أن وسطاء الملك سعود حاولوا الاتصال بمجموعة الضباط الوطنيين في الجيش السورى في ذلك الوقت كلهم ، وصحيح أن هؤلاء جميعا حولوا الموضوع بأكمله الى عبد الحميد السراج بوصفه رئيس المكتب الثانى ليتولى تسجيل المؤامرة وكشفها ولكن عبد الحميد السراج تلقى باسمه مليوناً وسبعمائة وخمسين ألف جنيه استرلينى ، ولم يستطع هذا المبلغ الطائل الذى تتحطم أمامه مقاومة كثيرين ، أن يكون بالنسبة لعبد الحميد السراج ، الا دليلا في قضية .. لا اكثر ولا اقل .

لم يفكر عبد الحميد السراج لحظة في قيمة شيكات الملك سعود كأموال

وانما كان فكره فيها طول الوقت أنها مجرد وثائق تدين الملك وتثبت عليه التآمر وتكشف الرجعية العربية أمام الراى العام العربى .

هذه لمسات الضوء في الصورة ، وفيها دون جدال ومضات باهرة ثم انتقل الى لمسات الظل .

لمسات الظل ثلاث أيضا !

١ - القوة ، في تقديرى هى لمسة الظل الاولى في شخصية عبد الحميد السراج وأعنى بالقوة هنا .. تجميعها والامساك بها ولم خيوطها جميعا في قبضة يد واحدة .

كان عبد الحميد السراج - ولقد أكون مخطئا - يحب القوة ، وحب القوة يحمل في طياته الرغبة في الانفراد بها فان الذى يحب القوة يعتقد أن توزيعها على الايدى الكثيرة ينتقص من احساسه بها في يده .

من هنا ، لم يكن عبد الحميد السراج ، وسط الكتل المتصارعة في الجيش السوري قبل الوحدة يمثل كتلة أو يقود مجموعة ، كان بعيدا عن كل الكتل والمجموعات ، وكان في نفس الوقت على اتصال بها جميعا ، وان كان سنده الرئيسي هو كتلة الضباط الوطنيين في الجيش .

وحين صدرت سنة ١٩٥٧ حركة تنقلات في الجيش - صدرت بتحريض الملك سعود وضغطه على شكرى القوتلى وبمساندة أمين النفورى الذى كان رئيس الشعبة الاولى في الجيش وقتها - وتضمنت هذه الحركة نقل عبد الحميد السراج من منصب رئيس المكتب الثانى - اى المخابرات - كانت كتلة الضباط الوطنيين هى التى هددت باجراء انقلاب اذا لم يبق عبد الحميد السراج فى مكانه . . . وبقي .

وليست القوة ظلًا ، ولكن الظل يلحق بها اذا كانت القوة غاية ولم تكن وسيلة

القوة مطلب للثأر لانها اداة تغير ثورى والسلطة طاقة دافعة .
تستطيع أن تفرض الفكرة المثالية على التجربة وتمنحها فرصة الحياة .
وليست القوة غاية فى حد ذاتها وليست السلطة رغبة شخصية .
والا أصبحت مقدمة ضاعت منها نتيجتها والا خطوة تعلقت فى الهواء دون مقصد أو هدف .

٢ - وتقودنى هذه النقطة الى لمسة الظل الثانية فى عبد الحميد السراج

هذه اللمسة هى أن عبد الحميد السراج لم يكن بطبيعته ، أو بحكم ما أحاط به من ظروف ، ثوريا اجتماعيا .

من هنا فان القوة فى يده وصلت الى طريق مسدود .
لقد جمع فى يده من السلطات قبل الوحدة ، ما لم يتجمع فى يد فرد .
فى درج مكتبه كل المفاتيح ، وأصابه على كل الأضرار .
ولكن ماذا بعد ذلك ؟

لم تكن القوة فى يده الا صراعا على القمة ، من أجل مزيد من السلطة ولكن القوة لم تواصل سيرها من يده لتنزل الى الجماهير السورية لتكون أداة مؤثرة وقوة دافعة لنضال الشعب وان كنت هنا لا أقلل من قيمة الدور الذى لعبته القوة التى ركزها عبد الحميد السراج فى يده فى حماية الاستقلال السوري قبل الوحدة .

٣ - من هذه النقطة أيضا جاءت لمسة الظل الثالثة فى شخصية عبد الحميد السراج ، وتلك هى إيمانه بالوسائل البوليسية .

كان يريد ان يعرف كل شيء عن كل الناس ، لا تفوته حركة ، ولا تفلت سمعه همسة .

وفي الدعايات التي توجه ضد الجمهورية العربية الآن ، ما يقال من ان عبد الحميد السراج كان يراقب جميع تليفونات خصومه ، ولكن الذى لم يقله أحد - وان كان حقيقة - هو ما تبين من ان عبد الحميد السراج كان يضع تليفونات زملائه في الوزارة أنفسهم تحت الرقابة .

ونتيجة لهذا فان جهاز البوليس تحت اشرافه توغل واستشرى . هنا أيضا لم يعد جهاز البوليس وسيلة تحمى المجتمع وتخدم القانون ..

وانما في بعض الاحيان قلت جهاز البوليس فأصبح فوق المجتمع وفوق القانون وكانت هذه بالذات .. أعقد المشاكل في سوريا .

ولقد كنت أسمع كثيرا عن جهاز عبد الحميد السراج البوليسى ولم أكن أصدق .. حتى جربته بنفسى .. ورأيت به معنى وجها لوجه .

في ليلة من ليالى اكتوبر سنة ١٩٥٩ كنت في دمشق .

وكان المشير عبد الحكيم عامر قد وصل اليها منذ أيام في مهمة رسمية

في تلك الليلة ، قاطعت في فندق أمية الجديد ، الصحفي الأمريكى المشهور هارى ايليس ، وكان قد جاء من بيروت بناء على موعد مع المشير عبد الحكيم عامر حدده المكتب الصحفى لسفارة الجمهورية العربية المتحدة في بيروت

وقال لى هارى ايليس :

لقد عدت الان فورا من موعد مع المشير عبد الحكيم عامر ...

وجلست مع هارى ايليس في بهو فندق أمية نتحدث معا في قصص وذكريات وتجارب واجهناها معا أيام كنا مراسلين حربيين في كوريا قبل ما يقرب من عشر سنوات ...

وتركت هارى ايليس وصعدت الى غرفتى في الفندق لانام ولم تمض الا بضعة دقائق حتى سمعت طرقا على الباب ، وفتحت ، واذا شاب يقدم لى نفسه باعتباره من المكتب الثانى ... ودهشت

وقال لى الشاب فى رقة وأدب شديدین
— سیدی ... ألم تكن الان مع هذا الصحفى الأمريكى ...
« ایلیس » ؟

قلت له : نعم .
قال : عرفنا أنه قابل المشیر الیلة ..
قلت : هكذا سمعت منه .
قال : ألم یقل لك ماذا سمع من المشیر ؟
وتحولت دهشتى الى ذهول ، وقلت له :
— هل تسمح لى أن أسألك .. لماذا تريد أن تعرف ؟
قال ببساطة :

لاكتبه فى التقرير ..
قلت :
— تقرير .. لمن سوف تكتب التقرير ؟
قال :

— لوزیر الداخلية
قلت :

— لا أظن أن وزیر الداخلية — السید عبد الحمید السراج — یحتاج
إلى تقرير فى هذا الامر ، ان حدیث ایلیس دار مع المشیر ، ویستطیع
وزیر الداخلية أن یسأل فیة المشیر وأسا .

قال الشاب بحزم :

— سیدی .. ظننتك تستطيع مساعدتى بدل أن أسأل الرجل
الاجنبى نفسه ...

وأحسست بقلق ، لقد تصورت ما یمكن أن یحدث لو ذهب هذا
الضابط الشاب من المكتب الثانى الى هارى ایلیس وسأله عن حدیثه
مع المشیر عبد الحکیم عامر .

ما الذى یمکن أن يفهمه هارى ایلیس من هذا الوضع ؟
أغلب الظن أنه كصحفى مجرب وقديم ، سوف يفهم منه الكثير .
وقررت على الفور ان لا أترك الامر .
سكت لحظة ثم قلت لضابط المكتب الثانى الشاب :
— اسمع .. ما رأیک لو انتظرت الى الصباح وأنا اعطیک کل ما
سمعته من هارى ایلیس عما دار بینہ وبين المشیر .

قال الضابط الشاب :

— الا تستطيع ان تفعل ذلك الآن ؟

قلت :

— نحن الآن في الواحدة من الصباح ، ولقد كنت على وشك ان اتمام
كما ترى ، والمسألة كلها بضع ساعات .

قال الضابط الشاب :

— في الصباح الباكر .. حتى اكتب تقريرى قبل ان تفتح الدوائر
الحكومية .

قلت : في الساعة صباحا سوف اكون تحت أمرك .

وأقفلت الباب وأنا أفكر كيف أتصرف في الامر بهدوء ، كان همى
كله أن لا تبدو الجمهورية العربية المتحدة أمام صحفى أجنبى غريب في
صورة تثير فضوله ومن يدرى ماذا يمكن أن تثيره بعد الفضول ، ثم
وصلت الى حل ، ورفعت سماعة التليفون وطلبت هارى ايليس وكان
ينزل في نفس الفندق وقلت له :

— هارى .. يبدو أن صحفيا آخر حصل على حديث من المشير .
وفي رأى أن لا تنتظر للغد حتى تبرق بحديثك معه ويسبقك الصحفى
الآخرى .

انك لن تجد مكتب البرق مفتوحا في دمشق الآن ، لهذا فانى أقترح
عليك أن تترك سيارتك فورا الى بيروت وتبرق بحديثك مع المشير قبل
الفجر وتسبق به غيرك .

واعتبرها الصديق الطيب جميلا أسديته اليه تطوعا ووفاء .

وظللت بعدها أشعر بوخزة الضمير .. ولكن المهم أن هارى ايليس
خرج من دمشق ووصل الى بيروت قبل الصباح .

ودق جرس التليفون بجوار سريرى في الساعة السابعة صباحا .
وكان المتحدث هو ضابط المكتب الثانى الشاب يذكرنى بموعده معى
وقلت له :

— متأسف .. هل تتركنى لانا ؟

قال :

— ولو .. أما وعدتنى أن تحكى لى ما قاله لك ايليس من حديث
المشير معه ؟

قلت له ببساطة :

— لم يقل لى شيئا فى هذا الموضوع .

قال بحدة :

— شوها الحكى

قلت بهدوء :

— هذا ما حدث ..

وأقفل التليفون غاضبا ، ولكن الصمت فى الحجرة بعد بضع دقائق تمزق وتبدد من طرقات عنيفة على الباب ، وقمت لافتح ، وكان هو بنفسه ضابط المكتب الثانى الشاب .. جاء نائرا غاضبا بعد أن عرف أن هارى ايليس نفسه غادر الفندق فى الفجر وانطلق على طريق بيروت .

ولقد أطلت فى هذه الحكاية عن عمد ... فهى فى رأى ترسم صورة عشتها بنفسى ورأيتها .

وهذه أول مرة أسمح لنفسى أن أروىها ، وإن كانت قد اثارت فى عديد من المناسبات أسئلة كثيرة فى خاطرى .

* مثلا ... هل يعرف عبد الحميد السراج بما كان يفعله ضابطه الشاب ؟ .

* مثلا ... هل يمكن أن تصل الامور الى هذا المدى بغير علمه ؟

* مثلا ... اذا كان هذا يمكن أن يحدث معى — وأنا صحفى — يملك أن يكتب وأن يتكلم ، فما الذى يمكن أن يحدث مع غيرى ممن لا يملك وسيلة للكتابة أو للكلام ؟

* ومثلا ... وهذا هو الاهم .. اننى أجيء الى دمشق زائرا ثلاث مرات أو أربعا فى السنة .. فما الذى يحدث للذين يعيشون فيها طول السنة ؟

ولست أريد أن أقسو على عبد الحميد السراج ، فلقد يكون فيما جرى ، لغيرى ولى ، كثير لا يعلمه .. ولكن المشكلة أن الاجهزة البوليسية اذا تركت من غير حدود تقف عندها فانها تكتسب طبيعة سرطانية قاسية ومدمرة .

كانت هذه لمسات الضوء ولمسات الظل فى صورة عبد الحميد السراج قبل الوحدة ..

وفي عهد الوحدة كبر عبد الحميد السراج .
لم يعد رئيس المكتب الثاني . . وانما وصل حتى أصبح نائبا
لرئيس الجمهورية . . .
وكانت لمسات الضوء فيه من قبل الوحدة نقطة انطلاقه الى مكانته
البارزة في النظام الجديد .
كان ديدبان الحراسة ضد المؤامرات في الفترة الحرجة .
كان منظم عملية نسف خط أنابيب البترول .
كان ممثل دور البطل في الدراما العنيفة التي ظهر فيها الملك
سعود في دور قوى الشر الرجعية التي حاولت بالمال وبالغواية أن
تفسد وأن تحطم .
ومن هذه الانطلاقة أصبح لعبد الحميد السراج وضع خاص في
تجربة الوحدة .
وكانت لهذا الوضع الخاص احتمالاته . . وأخطاره .

أولا - أصبح عبد الحميد السراج بالنسبة لكل الذين يكرهون
الوحدة هدفا يسهل التركيز عليه .
ان ظروف الحوادث نفسها وضعت موضع البطل في مواجهة
قوى الشر . . .
ولما بدأت قوى الشر تضرب انتقاما لنفسها كان محتما أن تكون
بعض ضرباتها موجهة له .
هكذا أخذته الرياض ، وعمان وبغداد تحت الحكم الهاشمي -
وبعده لسوء الحظ - هدفا مكشوفاً لحملاتها ، وأخذته قوى الاستعمار
أيضا وراء هؤلاء ، وفي ذيل الجميع بطبيعة منطق الحوادث . . . أخذته
أيضا اسرائيل .

ثانيا - أصبح عبد الحميد السراج بالنسبة لعدد كبير من ساسة
سوريا القدامى ، حتى أولئك الذين انساقوا منهم في صدر تيار الوحدة -
خطرا داهما ، بحكم ما يعرفه عنهم . . وقد كان عبد الحميد السراج
يعرف عنهم الكثير ويبقيه تحت يده ، ومن هنا فاني لا أتصور أن حكومة
الانقلاب في دمشق سوف تحاكم عبد الحميد السراج . . فلو أعطيت له
فرصة للمحاكمة وتكلم لاستطاع وهو في قفص الاتهام أن يضع الجبل

حول رؤوس الذين يدعون عليه بالاتهام ، ولتمكن منهم قبل أن يتمكنوا
منه

وطوال سنى الوحدة .. كان عبد الحميد السراج هدفا لحملات
الكراهية المنظمة والهمس المسموم .

ثالثا - زاد على ذلك كله ، وضع آخر ، يختلف في طبيعته .

ذلك هو علاقة عبد الحميد السراج بغيره من كتلة الضباط الوطنيين
في الجيش .. هؤلاء الذين كانوا يستندونه فيما مضى ، ثم وجدوه فجأة
يكبر عليهم ويتقدمهم في الشوط بكثير .

هنا مشكلة انسانية بحتة ، سمعت واحدا من الضباط الوطنيين
يعبر عنها مرة في صدق وطيبة بقوله :

- لقد كانت لعبد الحميد في حمل الجمل قشة ، ولكنه بالقشة
أخذ الجمل بما حمل .

ولقد كان يمكن أن يتحسن الموقف لو أن لمسات الظل في شخصية
عبد الحميد السراج توارت أمام لمسات الضوء ، وخبثت بعد انطلاقة
عبد الحميد السراج الكبرى بعد الوحدة الى آفاق النجوم .

لكن لمسات الظل ، حتى في آفاق النجوم ، بقيت في مكانها .

* القوة ... حب القوة

* القوة كفاية ... وليست كوسيلة لتغيير ثورى

* الفكرة البوليسية .

ومن القوة ، من حب القوة ، كانت المشاكل التى تعرض لها
عبد الحميد السراج ، وعرض لها الجمهورية العربية المتحدة كلها ، لكي
تكون كلمته فى النهاية هى الكلمة فى سوريا .

وكان عبد الحميد السراج ، قبل اقامة الحكومة الموحدة للجمهورية
العربية المتحدة ، فى شهر يوليو الماضى ، من اكثر المتحمسين لتوحيد
الحكومة والغاء المجالس التنفيذية .

ولكن الواضح اليوم ، أنه كان يتصور وقتها ، أن طبيعة الظروف
سوف تتركه نائبا لرئيس الجمهورية فى دمشق .

وفي الظروف السائدة في سوريا أيامها كان ذلك أمرا يصعب قبوله .
ولربما كانت من هنا حساسية عبد الحميد السراج بعد أن عرف
أن منصبه يقتضيه العمل في القاهرة .

كذلك من هنا المشكلة التي ثارت بينه وبين المشير عبد الحكيم عامر
الذي كلف بالسفر الى دمشق والبقاء فيها فترة توحيد الحكومة وفترة
تطبيق الاجراءات الاشتراكية الثورية . . قوانين يوليو سنة ١٩٦١ .

ولو كانت القوة في تصور عبد الحميد السراج وسيلة في يد الثائر
لدفع التغيير الثوري - وليست غاية في حد ذاتها لاختلف تصرفه في
المشكلة التي أثارها بسبب مهمة المشير عبد الحكيم عامر في دمشق .

في تلك الفترة الحساسة في أعقاب صدور القوانين الاشتراكية ،
وبدء تنفيذها ، عاد عبد الحميد السراج فجأة من القاهرة الى دمشق ،
يجمع أوراقه من مكتبه في وزارة الداخلية ويقول : أنه لا يريد أن يعمل .

ثم ترك بعض ضباطه المقربين اليه دورهم كحراس للامن وراحوا
يتصلون ببعض العناصر لكي تثير الشغب وتحرك القلاقل ليكون الضغط
الذي يبقى بعده - عبد الحميد السراج - وحده في سوريا .

وكان بعض هؤلاء الضباط في علاقاتهم بالناس قد تركوا أثرا رؤى
معه ضرورة ابتعادهم عن دمشق ، وفوتح عبد الحميد السراج في ذلك
من قبلها ، وطلب اليه أن ينتدبهم معه للعمل في القاهرة وقبل ، ولكنهم
فجأة تلكأوا في القدوم الى القاهرة وانساقوا في نشاطهم العصبى بحماسة
لا يبررها أى قدر من افتراض حسن النية .

ثم جاء ضياع أعصاب عبد الحميد السراج ، هذا الضياع الذي
حمله على الاستقالة . . جاء بذلك القرار الذي أصدره المشير عبد الحكيم
عامر بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٩٦١ والذي نص فيه على ما يلي :

«يمنع توقيف - اعتقال - أى شخص الا بمذكرة من النيابة العامة
الى أنه لا يجوز لاية سلطة من سلطات الامن توقيف أى مواطن الا اذا
كان هذا التوقيف عن طريق السلطة القضائية . أى النيابة العامة» .

وفي نفس اليوم أصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارا بتعيين مدير
جديد للامن العام بدلا من العقيد مروان السباعى .

وكان العقيد مروان السباعى مشرفا على ما كانوا يسمونه بالمكاتب

الخاصة التابعة لوزارة الداخلية تعطى نفسها سلطة اعتقال أى مواطن والتصرف معه كما تشاء ، بحجة دواعى الامن .

ومع ان انهاء الجو البوليسى كان رغبة شعبية فى سوريا .

ومع أن بعض الذين كانوا يعملون فى البوليس فى خدمة الامن بدأوا فجأة يعملون ضد الامن بالتحريض على الاثارة وتحريك القلاقل حتى فى اوساط العمال وفى داخل الاتحاد القومى ذاته .

مع ذلك كله ، فان عبد الحميد السراج اعتبر القرار الذى صدر بمنع اعتقال أى مواطن عن غير طريق السلطة القضائية ، وبتغيير مدير الامن العام ، اعتبره على حد قوله «شرشة» له .

ومن ثم أصبح الموقف فى دمشق بالغ الدقة .

وصدر أمر من القاهرة بأن يركب المشير عبد الحكيم عامر ، ومعه السيد عبد الحميد السراج طائرة واحدة ويجيئان معا إليها لمقابلة رئيس الجمهورية .

واجتمع الرئيس جمال عبد الناصر بكل منهما فى القاهرة ، ثم اجتمع بهما معا ، ثم توالى اجتماعاته مع عبد الحميد السراج يحاول اقناعه بمنطق العقل ان لا ينساق وراء عصبيته .

وكان فى المشكلة جانبها العاطفى ، وهو أن جمال عبد الناصر يحب عبد الحميد السراج كشاب عربى وطنى مخلص ، ولكنه بالتأكيد يحب شعب سوريا أكثر منه .

كان يحبه وهو يرى الضوء فى شخصيته ويرى الظل .

وكان أمله أن يتمكن الضوء يوما من الغلبة على الظلال كلها وتبديدها ...

وفعل جمال عبد الناصر مع عبد الحميد السراج ما لم يفعله مع غيره .. قابله خمس مرات ، استغرقت ما يقرب من عشرين ساعة . حاول فيها أن يجعله يرى الحقيقة كما هى .

كان بين ما قاله جمال عبد الناصر :

— اننى لا أستطيع أن أفهم تصرفاتك وتصرفات رجالك فى دمشق .

لقد قابلتكم جميعا — أنت وعدد من الوزراء السوريين — فى الاسكندرية فى شهر يوليو الماضى وتحدثت اليكم عن نيتى فى توجيه حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، بل ويومها تحدثت اليكم بصراحة ليس بعدها صراحة ..

قلت لكم يومها اننى لا أستطيع أن اترك الأحوال فى الأقليم السورى تمضى كما كانت تمضى .

لقد كانت لكل منكم في الاقليم جماعته ومعنى هذه الجماعات المتفرقة
أن يتمزق الوطن الواحد ..

قلت لكم انكم ، وأنتم دعاة الوحدة وأنصارها ، قد سببتم لى من
المتاعب ما لم ينسب به أعداء الوحدة وخصومها وأنه لولا ايماني بالجماهير
السورية نفسها ، ولولا ثقتي فيها ، لكنت طلبت من شكرى القوتلى أن
يتسلم رئاسة الجمهورية في سوريا ويعفينى منها ، ولكنى فى سبيل
الجماهير السورية وحدها اتحمل ما اتحملة .

ولقد اخترتك نائباً لرئيس الجمهورية وأعطيتك أوسع الاختصاصات
وطلبت منك قبل سفرى الى بلجراد لحضور مؤتمر الدول غير المنحازة
أن تتحمل مسئوليتك الكبيرة على مستوى الجمهورية كلها ، ولسكنى
فوجئت بما فعلته بعد ذلك فى دمشق ، ثم بالذى فعله بعض رجالك ،
واتضح لى أن كل الذى تريده هو أن تبقى حاكماً لسوريا .. وأنا أريدك
مستولاً فى الجمهورية العربية المتحدة كلها .

ثم من ناحية أخرى أنت تعرف رأى فى كثير من اجراءات البوليس
فى دمشق ، ولقد قلت لك أنها فى كثير من الاحيان تضر بسمعة الجمهورية
أكثر مما تخدم أمنها ..

وأنا أقدر حسن نيتك فيما تفعله وأفهم أن الاخلاص للجمهورية
هو الذى يدفعك اليه ولكن الامور لا تحتاج الوصول الى هذا المدى الذى
يفصل اليه بعض رجالك فى بعض الاحيان .

ولم تستطع لمساة الضوء ان تظهر لمساة الظل .

واستقال عبد الحميد السراج .

وهو الآن فى سجن المزة فى دمشق ، وبالرغم من كل شيء ، فانى
اشعر ان جزءاً من عواطفى معه وأسأل نفسى :

— ترى ماذا سيكون من اثر المحنة عليه ؟

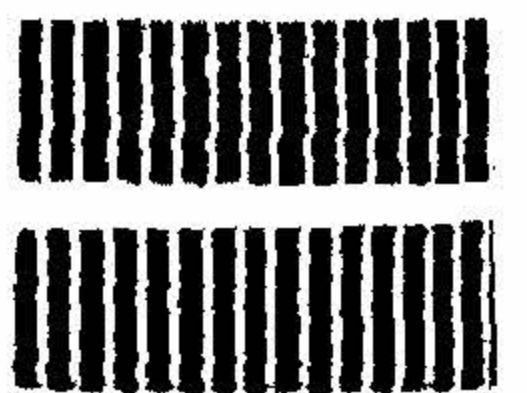
وفى منأى أن يكون الضوء فى شخصيته قد انتصر على الظلال ،
وصهرها وأذابها .

لا من أجل شيء ، ولكن من أجله هو كشاب عربى وطنى مخلص
تحمل فى التاريخ المعاصر للامة العربية كثيراً من المسئوليات ، ولعب يوماً
من الايام دور البطل أمام قوى الشر الرجعية ، وارتفع مرة من المرات
الى آفاق النجوم .

من هم الذين قاموا بالانقلاب في سوريا

ما هو دور الملك سعود
بالتحديد في تدبير الانقلاب

الملك سعود



على امتداد ثمانية أحاديث - وهذا هو الحديث التاسع الآن -
مضيت أروى قصة التجربة الأولى للوحدة العربية .

بقدر ما أتيح لى من الضوء رأيت .

وبقدر ما سمعت من الوقائع تكلمت .

وبقدر جهدى حاولت أن انسج خيوط الضوء ، وإن أربط الوقائع
بعضها ببعض ، لتكون فى النهاية صورة واضحة ، أو أقرب ما تكون الى
الوضوح لما جرى فى سوريا .

ولم يبق عندى الآن كثير أقوله ، فلقد انتهت - أو أوشكت أن
تنتهى - حكاية الماضى - على الأقل فى خطوطها العريضة ، والحاضر الآن
هو الذى يحتل المسرح كله ... هو الذى يتحرك ، وهو الذى يتكلم ،
وهو الذى يكشف !

لكننى تلقيت آلاف الخطابات من الجمهورية العربية المتحدة ومن
خارجها ، من أصدقاء الفكر ، الذين يلتقون معى على هذه الصفحة ، فى
الصباح من يوم الجمعة كل أسبوع . وفى هذه الخطابات استأذن أن
أعرض بعضها وإن أقول كلمات سريعة فيه .

سؤال - من هم هؤلاء الذين قاموا بالانقلاب على الوحدة ؟

والرد :

- لى أكون منصفاً فلا بد لى أن أقول منذ البداية أن الأخطاء
والأخطار التى وقعت فيها وتعرضت لها تجربة الوحدة هى التى تولت
فتحة الثغرة التى نفلنا منها الانقلاب على الوحدة .

الاططاء التي نتحمل جميعا مسئوليتها ، كل منا في نطاقه - ولقد تكلمت عنها بالتفصيل فيما مضى من احاديث - جردت الوحدة فترة طويلة من ايجابيتها - حتى تمكنت قوانين يوليو الاشتراكية من استعادة الزمام ، ولكن زمانا طويلا ، غاليا وعزيزا ، كان قد ضاع ، وتسرب ، كما تضيع وتسرب قطرات الماء على رمال الصحراء .

والاخطار التي واجهتها التجربة ، من هؤلاء الذين أفزعتهم التجربة ورأوا فيها تهديدا محققا لمصالحهم ، ومن ثم كانت حربهم عليها لا تعرف الهوادة من أول يوم الى آخر يوم ... بل قبل أول يوم ، وبعد يوم آخر ولقد ربطهم جميعا في حربهم على التجربة حلف غير مقدس ، حشد المتناقضات صفا واحدا ، في مشهد غريب من مشاهد التاريخ العربي ، يكفي أن رأينا الملك سعود يصرف امواله من أجل نفس الاهداف التي يكتبها خالد بكداش في منشورات حزبه الشيوعي السرية ضد الوحدة .

ولا أتكم هنا عن دول الاستعمار فموقفها معروف مكشوف ، كذلك لا أتكم عن اسرائيل ولا عن صاحب الجلالة الهاشمية في عمان ، فكلاهما ذيل أو مخلب قط ، لقوى أكبر منهما تحركهما وتتخذ منهما اقنعة وأدوات .

الاططاء في تجربة الوحدة سببت موقفا سلبيا

والاخطار في تجربة الوحدة سببت موقفا دافعا

ومن هنا تسلسل الانقلاب ، من هذه الثغرة التي فتحتها الاططاء والاططار .

هذه مقدمة للرد على السؤال

والرد على السؤال ذاته - بعد ذلك - فاني أقترح ان ندرس بعض النماذج البشرية لبعض الذين قاموا به ، ثم نستخلص من هذه النماذج نتيجة نظمنا اليها ونستريح ..

تبدا. أولا بأبرز الذين تصدروا قيادة الانقلاب في يومه الاول :

العقيد حيدر الكزبري .

الحقائق الثابتة في تاريخه كما يلي :

« لم يتلق حيدر الكزبري تعليما عسكريا على مستوى يؤهله للقيادة فلقد كان جاوisha تحت خدمة الفرنسيين أيام احتلالهم لسوريا ، ثم ترقى بعد الاستقلال بحكم الحاجة الى ضباط .

وكان أقصى ما يستطيع أن يصل إليه في الجيش السوري بعد ذلك هو رتبة العقيد ثم يخرج الى المعاش بعدها .

وكانت المدة الباقية لحيدر الكزبري في الخدمة قد انتهت لم يبق منها الا ثلاثة شهور .

وكان المنصب الذي يخدم فيه عسكريا ، هو قوات البادية ، وهي قوات أشبه ما تكون بقوات مكافحة التهريب ، وكان عملها مركزا في الحدود مع الاردن ، حيث لم يكن في التصور ولا في الخيال أن تقوم عمليات عسكرية تحتاج الى قوات على مستوى عال من الكفاءة والتدريب ، فلقد كانت مثل هذه القوات دائما لا تبتعد عن الخطوط مع اسرائيل ، وبعض منها كان يقف في الشمال على الحدود مع تركيا .

ولم يكن حيدر الكزبري سيخرج من الجيش السوري ، باعتبار انه وصل في صفوفه الى أقصى ما تسمح له الظروف أن يصل فقط ، وانما كان خروجه أيضا مقرا بناء على تحقيقات أجريت معه تناولت طريقة حراسته للحدود مع الاردن ، فلقد كانت هناك قرائن تشير الى أن حيدر الكزبري كان يحرس الحدود لصالحه ... أي أن الذي يدفع يمر .

ولست أريد أن اتعرض الى حياة حيدر الكزبري ، ولكنها مما يسهل تصويره في مثل ظروفه ، شاب من أسرة غنية ، خدم تحت الفرنسيين لان الخدمة تحت الفرنسيين وقتها جاه ونفوذ ، ثم هو يحب أن يصرف ويحب أن يسهر ، والعلم في حياته قليل ، والقيم أقل ، ثم هو على الحدود يقرب عمليات التهريب .

كانت كل الظروف تؤهله . والحال كذلك ، لان يكون صليبا صالحا لرجال الملك حسين ، وفي مقدمتهم خاله الشريف - ! - ناصر ، الذي يتكسب عيشه أصلا وأساسا من التهريب ، ومن التهريب يصنع الملايين .

وفي مثل الاحوال السائدة في العلاقات ما بين الملك حسين وما بين الجمهورية العربية ، كان يمكن أن تتحول الشركة في عمليات التهريب ... لتكون شركة في عمليات التخريب ... وهكذا كان !

وقبل الانقلاب ، وهذا الآن ظاهر مما تكشف من معلومات ، كان حيدر الكزبري هو الذي يصرف في الأعداد للعميلة ، وهو الذي يقدم المال لمن يقدر على شرائهم بالمال .

ويوم الانقلاب ، وقبل أن تصل سلطته الى خزائن الدولة في دمشق ، كان حيدر الكزبري هو خزينة الانقلاب .

وفي يوم الانقلاب أيضا ، لم تكن في ذهن حيدر الكزبري فكرة أو عقيدة ، وإنما كان « القتل » وحده هو الذي يناديه

وحينما احاطت مصفحات حرس البادية بمبنى القيادة العمامة للجيش السوري ، كان حيدر الكزبري . هو الذي وجه سؤالاً واحداً لأحد الحراس الواقفين وراء سور القيادة :

— أين المشير ؟ .

وأراد الذي سمع السؤال أن يكتسب وقتاً على ما يبدو فكان رده :

— المشير في بيته ! .

ولم ينتظر حيدر الكزبري ثانية واحدة بعدها . . . وإنما أخذ بعض مصفحاته وانطلق إلى الشارع القريب الذي يقع فيه بيت المشير ، ودون مقدمات أمر هذه المصفحات بفتح مدافعها على البيت بغير حساب ، وكانت طلقات مدافع المصفحات على بيت المشير عبد الحكيم عامر هي التي أيقظت دمشق ذلك الصباح ! .

وسقط حراس البيت الثلاثة قتلى . . .

واندفع البدو من جنود حيدر الكزبري إلى البيت ، يحطمون كل شيء فيه ويطلقون الرصاص بغير وعى .

ولم يكن المشير في البيت ، وإنما كان في مقر القيادة .

وأدرك حيدر الكزبري أن الذي أجاب على سؤاله أراد أن يكسب وقتاً فعاد بمصفحاته مرة ثانية إلى مقر القيادة غاضباً ينتفض .

كان واضحاً في ذلك الصباح . . . انه لم يكن مجرد مفـسـمـر ماجور ، وإنما كان في ذلك الصباح أيضا ، قاتلاً ماجوراً ! .

هذا واحد من الذين قادوا الانقلاب .

بل هذا نوع من الذين قادوا الانقلاب .

نوع المفامرین ! .

ونموذج آخر . . . عينة بشرية أخرى

العقيد عبد الكريم النحلاوي

كان عبد الكريم النحلاوي كاتماً لاسرار الجيش ، ثم أصبح مديراً لمكتب القائد العام لشئون الجيش الاول .

كان يبدو دائما - بوجهه الابيض - وقامته القصيرة ونظاراته السمكة - ناعما لنا .

وكانت بيده كل تنقلات الضباط في الجيش السوري بحسبكم منصبه ككاتم لاسرار الجيش .

ولقد أوضح الانقلاب ، أن عبد الكريم النحلاوي في تصرفاته لم يكن يصدر عن الرغبة في تعزيز قدرة الجيش السوري على الدفاع ضد إسرائيل وإنما كان يصدر على الرغبة في تعزيز امكانية أحداث انقلاب .

ومن الغريب أن « النحلاوي » كان موضع الثقة ، ومع ذلك كان في نفس الوقت أداة في يد الخيانة .

ولا بد أن للرجل في أعماقه سرا . . . ولكن أين سره ؟ .

وهناك يقولون الآن أن المال ، كان سر النحلاوي ، وكان النقطة التي انكسرت عندها مقاومته .

ومنذ عام كان يبدو أن النحلاوي يواجه حالة ضيق مالى ، للدرجة أنه توسط وبذل كل الجهود ليثبت أن إحدى أذنيه فقدت بعض قدرتها على السمع أثناء الخدمة وبسببها ، حين كان يخدم في الوحدات ويسمع كل يوم طلقات الرصاص ، وكان هدفه من كل الوساطات والجهود أن يحصل على ثلاثة الاف ليرة تعويضا له عن بعض سمعه ، وحصل عليها بالفعل قبل شهور من الانقلاب ، ولكن يبدو أن الثلاثة الاف ليرة كانت أقل مما يحتاج اليه .

ومع ذلك فلقد أكون مفرضا في حديثي عنه قبل الانقلاب .
لذلك أقفز الى حوادث ما بعد الانقلاب وتأمل تصرفا لعبد الكريم النحلاوي منذ أيام .

حينما انقسم قادة الانقلاب فيما بينهم وقررت الغالبية منهم اعتقال حيدر الكزبري بعد أن اتكشفت صلاته المريبة بحكام عمان وأصبحت حديث الشارع في دمشق ، حين حدث هذا ، انحاز عبد الكريم النحلاوي فورا الى الجانب الأقوى بل وكان هو الذى تولى عملية اعتقال حيدر الكزبري .

وكان الخوف من العملية مبعثه وجود بعض قوات البشادية داخل دمشق .

وذهب عبد الكريم النحلاوي الى حيدر الكزبري بحكاية أعدها وحبك تفاصيلها . . قال له :

— ان عبد الحميد السراج ، المعتقل في سجن المزة قد أُضرب عن الطعام وصمم على المضي في الاضراب أو يفرج عنه .

واذا استمر عبد الحميد السراج في اضرابه وسرى الخبر الى الناس فلقد يؤثر فيهم .

واذا بقى الخبر مكتوما ومات عبد الحميد السراج من الجوع فلسوف يقولون اننا قتلناه .

كذلك فان لدى عبد الحميد السراج اسراراً كثيرة يطوى عليها صدره ونحن نريد أن نعرفها .

وانت تعرف عبد الحميد السراج من قديم ، وليس بيننا من يستطيع أن يتحدث اليه غيرك .

وركب حيدر الكزبري سيارته الى سجن المزة في دمشق .

دخل السجن بسيارة أنيقة فارهة يرفرف عليها علم !.

ولم يخرج ..

وفي نفس الثانية كان عبد الكريم النحلاوي قد أصدر أمراً زور

عليه امضاء حيدر الكزبري بتحريك بعض قوات البادية الى حوران

لقد وقع المغامر ، في يد المتآمر ! -

وهذا واحد من الذين قادوا الانقلاب

بل هذا نوع من الذين قادوا الانقلاب

نوع المتآمرين ..

ولكنهم ليسوا جميعاً أحد هذين النوعين ، بلا شك أو استثناء

اقول هذا بحزف الانصاف حتى مع الذين اعتقد انهم ارتكبوا

في حق أنفسهم وفي حق وطنهم خطأ العمر كله ! .

ليسوا جميعاً : اما مغامر واما متآمر .

وانما بينهم بعض الذين ضاعوا بين النوعين .. وخدعوا وغرر بهم

ولست أعرف من هؤلاء ولكنني أحسست بتأثيرهم في عملية

ارغام مأمون الكزبري — رئيس وزارة يوم الانقلاب — على الاستقالة

كانت الوزارة تحت الاحاح أصحاب المصالح — والشركة الخماسية

في مقدمتهم — قد أعدت العدة لالغاء بعض القوانين الاشتراكية ، وبينها

قرار تأميم الشركة الخماسية .

ومأمون الكزبرى نفسه صاحب مصلحة مباشرة فى الشركة الخماسية ، فهو زوج ابنة رئيس مجلس ادارتها ، ثم هو محاميها الكبير .

وكان قرار الالغاء قد عرض على بعض ضباط قيادة الانقلاب وبينهم حيدر الكزبرى وعبد الغنى الدهمان وموفق عصاصة وعبد الكريم النحلاوى ، واقروا صدوره اثناء اجتماع عقده الوزارة فى مبنى قيادة الجيش .

ثم نزل اُحد كبار الموظفين يحمل القرار

وسمع به بعض الضباط فى القيادة وفقدوا اعصابهم .

واقترح عدد منهم قاعة الاجتماع - بعد ان كانوا قد اعدوا للامر هدته - وسألوا :

- هل حقيقة صدر مثل هذا القرار بالغاء تأمين بعض الشركات؟.

ولمحووا على وجوه الحاضرين ما أكد معلوماتهم .

وقال بعضهم باللهجة السورية الشهيرة :

- هذه خيانة ولو سمع بها الجيش لقلب الدنيا على رؤوسكم!.

وحاول بعض قادة الانقلاب .. أن يمثلوا دور القادة وأن يأمرؤا الذين اقتحموا القاعة بأن يخرجوا .

وقال اُحد هؤلاء القادة وأظنه حيدر الكزبرى :

- هذا عصيان وسوف يحاكم المشتركون فيه !

وقال الضباط الذين اقتحموا القاعة لحيدر الكزبرى !

- اسمع .. قبل أن نتكلم تعال هنا من النافذة وانظر ماذا يحدث خارج مبنى القيادة !

ونظر حيدر الكزبرى من النافذة ، وكانت أبراج الدبابات التى تحرس مبنى القيادة تدير مدافعها من حيث كانت مصوبة الى الخارج .. لتصوبها الى الداخل .. الى مبنى القيادة .

وقال الضباط الذين اقتحموا القاعة :

- ان هناك حول القيادة زملاء لنا وقد اتفقنا أن يدكؤا مبنى القيادة فوق رؤوسكم ورؤوسنا نحن أيضا اذا اقتضى الامر .

وخضع مجلس الوزراء وخضع الذين كانوا يحضرون جلسته من

قادة الانقلاب وابدوا - في هذه اللحظة فقط - استعدادهم للتفاهم ،
ابقاء للود وحتى لايشمت الناس .

وتم سحب قرار الغاء التأميم قبل دقائق من الموعد المحدد
لاذاعته .. بل وكان هذا القرار قد وصل فعلا الى اذاعة دمشق !.

وهذا نوع آخر من الذين قادوا الانقلاب .
نوع الذين صورت لهم الامور في بدايتها على نحو يختلف مع حقيقتها
نوع الذين تاهوا في الخضم العاتى ولم يجدوا حتى الان برا
يرسون عليه ! .

سؤال ثان - ان دور الملك حسين واضح في انقلاب سوريا من
اول دقيقة ، ولكن ماهو دور الملك سعود ؟

والرد على هذا السؤال يحتاج هو الاخر الى مقدمة سريعة ، أقول
فيها اننى لا أملك - هذه اللحظة - وثائق قاطعة تدين الملك سعود
كتلك الوثائق القاطعة التى ادانته في محاولته الشهيرة لضرب الوحدة ،
بواسطة الشيكات الثلاثة التى دفعها لعبد الحميد السراج في فبراير
من سنة ١٩٥٨ بمبلغ مليون وسبعمائة وخمسين ألف جنيه استرليني! .
على ماذا اذن استند في الاتهام اذا لم اكن أملك الوثائق ؟
سندى في الحقيقة هو مزيج من التجربة الماضية ، ومن المعلومات
التي تسربت عن الملابس الاخيرة ، ثم من القرائن التى تسير الى دور
الملك !

والتجربة الماضية معروفة وهى مؤامرة الملك سعود التى كشفها
عبد الحميد السراج واستطاع تدعيمها بما لايقبل الشك من الوثائق .
وليس فى منطق الملك سعود مايسمح له أن ينسى ثأره من عبد
الحميد السراج ، أو ثأره من الوحدة التى تمت قسرا عنه ، وفى ظروف
أوقفته أمام الراى العام العربى كله عاريا لا يجد خرقة ممزقة يستر
بها نفسه وهبو الذى يملك التصرف فى الملايين نقدا وعدا ! .

كذلك فلقد تضاعفت لدى الملك أسباب الحقد على تجربة الوحدة،
بعد أن تحولت لتكون فى نفس الوقت تجربة الاشتراكية

ومنتطق الملك سعود هنا أيضا يمكن فهمه وتلخيصه فى كلمة سريعة .

هى انه اذا لم يسارع هو ويتغنى بالاشتراكية فان الاشتراكية سوف تتعشى بجلالته ! .

بهذه البساطة ، وعلى « بلاطة » كما يقولون هنا فى ريف مصر ! .

وبعد هذا يجىء دور المعلومات ، والمعلومات ، وأنا واثق من مصادرها تؤكد ان الملك سعود، كان مستعدا أن يمضى فى الشوط الى آخره ليضرب الوحدة ويحول دون الاشتراكية .

بالقبلة اذا استطاعت قبلات الحدود ان تهدىء اندفاع التجربة

بالقبلة لكى تتفجر التجربة شظايا ما دامت القبلات لم تصنع اثرها

ولقد كانت مشكلة الملك سعود انه لا يريد أن يتصرف على شكل مكشوف يعرضه لما تعرض له فى المرة الاولى . . لهذا فقد كان صاحب الجلالة يتحسس طريقه بكل الحذر الكامن فى سراديب القصور وبكل الدهاء الذى يملأ اجواء الحريم المعبقة بالبخور والعطور والسموم ! .

والمعلومات التى توصلت اليها تفيد انه فى أوائل هذا العام اتصل الملك حسين بالملك سعود وأخطره بأنه قرر العمل فى سوريا ، وبأن عناصر كثيرة على اتصال به فى هذا الصدد

وكان رد الملك ان له ملاحظتين

● انه لا يستطيع أن يقترب من العملية مباشرة لانها صعبة بحكم تجربته لها مرة من قبل ، ولان موقفه هو بالذات فيها حساس ولا يحتمل هزتين فى نفس الميدان

● انه على أى حال يبارك أى جهد يبذل فيها ، وكل ما يستطيع أن يساهم به هو المال على شرط أن يدفعه هو للملك حسين ثم يخلى نفسه من أى مسئولية بعدها

وفى ذلك الوقت دفع الملك سعود مبلغا من المال ، وفى معلوماتى انه لم يكن مبلغا كبيرا فانه حتى هذه اللحظة كان يشك فى امكان نجاح العملية ، ولكن نوازع الامل كانت تشده على أى حال وتناديه أن لعلى وعسى هذه المرة سهل الصعب ويلين الحديد ! .

ومضت اتصالات الملك حسين مع حيدر الكزبرى شوطا كبيرا وكان حيدر الكزبرى قد مد نشاطه فى كل اتجاه واستطاع بما فى يديه

من الوسائل أن يكون مجموعة من الضباط على استعداد لمسايرته
فيما يريد

في ذلك الوقت تسلل حيدر الكزبري عبر الحدود التي كان حارسا
عليها الى داخل الاردن فقابل الملك حسين وقدم له صورة كاملة
لنشاطه وللمدى الذى وصل اليه هذا النشاط

وكانت الصورة في حقيقة الامر مشجعة .. بل كانت أكثر من
مشجعة من وجهة نظر احتمالات الانقلاب .

بل في ذلك الوقت قال حيدر الكزبري للملك حسين ، انه سمع
ان الرئيس جمال عبد الناصر سوف يصل الى دمشق في منتصف شهر
أغسطس قبل ذهابه الى مؤتمر بلجراد وذلك ليحضر أسبوع شباب
الجامعات في سوريا .

ومن ثم فان الفرصة وقتها قد تكون مواتية ..
يحدث الانقلاب ، وجمال عبد الناصر في دمشق ، ثم ينتهى الامر
كله مرة واحدة ، وتسيطر قيادة الانقلاب على الجمهورية العربية المتحدة
بأقليمها ، واذا أرادت مصر بعد ذلك أن تنفصل ، فلتفعل ما يحلو لها ،
ولسوف تضيع الدنيا فيها على أى حال بعد أن يحدث لجمال عبد
الناصر ما يحدث في دمشق ، ويحدث ما يحدث أيضا لمن يكونون معه من
رجال الجمهورية وأغلب الظن أن نوابه جميعا والوزراء سوف يكونون
في صحبته في دمشق لحضور أسبوع شباب الجامعات !

وكانت اللعبة كبيرة جدا على الطفل الصغير الذى يحكم في عمان.
ولم ينتظر دقيقة واحدة ، بل ركب الطائرة فورا الى الرياض وفي
أول أغسطس ١٩٦١ كان مع الملك سعود نفسه يفضى له بالامر من غير
وسطاء وبدون ورق ثم يطلب منه ما يريد أن يطلبه من الاعتمادات
لنجاح الخطة المحكمة ! .

وسمع الملك سعود كل التفاصيل .
وراودته احتمالات النجاح .. بل ألقت عليه خصوصا وان قوانين
يوليو الاشتراكية أحدثت أصداا بعيدة الاثر في العالم العربى كله .

ودفع ، دفع هذه المرة بلا شيكات .. ودفع مباشرة للملك حسين

ومن القرائن التي تثير الاهتمام انه بعد نجاح الانقلاب واتجهوا
الانظار بالشبهة الى الملك سعود ، لم يجد الديوان الملكى في الرياض
ما ينفى به الشكوك الا اصدار بيان رسمى يقول بالحرف :

« ان الديوان السعودي يتحدى كائنا من كان أن يبرز أى وثيقة تثبت هذه الأكاذيب المفتراة على حضرة صاحب الجلالة الملك المفدى
سعود » ..

ولقد كان هذا البيان فى حد ذاته شبه اعتراف .
شبه اعتراف بأن الملك تعلم درس الماضى ، وعرف هذه المرة كيف يدفع دون أن يترك وثائق تكشف دوره !.

وكان مقررا أن يسافر الملك سعود الى مؤتمر بلجراد ، ومن المحقق أن صاحب الجلالة كان يستطيع أن ينتهز المؤتمر فرصة يظهر فيها أمام العالم وكأنه يعمل شيئا مجديا .. أى شيء !.

ومع ذلك ، ولدهشة كثيرين ، فوت صاحب الجلالة هذه الفرصة من غير سبب ظاهر ..

وقرر أن يبقى فى السعودية قابعا ينتظر
وفى ذلك الوقت كانت المشاغل الملحة - أو كان القدر - قد غسرت بعض الشيء فى ترتيب الحوادث

وعدل الرئيس جمال عبد الناصر عن السفر الى دمشق قبل بلجراد وأتاب عنه المشير عبد الحكيم عامر فى افتتاح أسبوع شبابى الجامعات .

وارتبكت الخطة ...

فى هذه اللحظة تحرك الملك سعود ليسبق الحوادث ويفطى نفسه ويستعد لاسوأ الاحتمالات. وهو أن يكون عدول الرئيس عن السفر الى دمشق معناه أن المؤامرة قد انكشفت .

فى هذه اللحظة كتب الملك سعود الى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا شخصيا شرح له فيه تفاصيل اجتماعه بالملك حسين .

وكان ذلك غريبا .

بل أن الملك سعود مضى فى هذا الخطاب الى حد التعريض بالملك حسين فى عبارة وردت فى سياق خطابه حين كتب يقول أن الملك حسين طلب منه أن يتوسط له لدى شيوخ الكويت لكى يساعده ويساعدوا الاردن ببعض المال ، وقال الملك سعود فى خطابه بالحرف الواحد :

« ولقد قلت له اما عن موضوع العون المادي للاردن من الكويت فمن حق الكويت على الدول العربية جميعها أن تساعد في موقفه ولو جبا هذا الموضوع قبل هذا الظرف - ظرف مشكلة الكويت مع العراق - لبذلت جهدي مع اخواننا في الكويت لمساعدتكم ولكن بحث هذا الامر في هذا الظرف خاصة لا تجيزه الاخلاق العربية ولكن اذا انتهت هذه الازمة فانا اعد بأن ابذل مجهودي مع اخواننا في الكويت» .

كان غريبا أن يتطوع الملك برواية تفاصيل اجتماعه مع الملك حسين . وكان أغرب أن يمضي أبعد من ذلك الى التعريض بالملك حسين ، ويصفه بأنه يجاوز في مطالبه «الاخلاق العربية» .

ولقد يقول قائل : فرط اخلاص من الملك سعود وشدة وفاء . لكن تصرف الملك سعود يوم الانقلاب لا يسمح مطلقا بهذا التفاؤل المعن في سداخته ..

يوم الانقلاب أعرب جميع الزعماء العرب عن أسفهم للصدع الذي أصيبت به الامة العربية .

كلهم جميعا بلا استثناء - بالطبع الا الملك حسين وأنا لا أعده عربيا - أبدوا رأيهم بكلمة ، ولو كانت انشائية عابرة لا تحمل معنى الانحياز الى طرف على حساب طرف ..

حتى غير العرب أبدوا موقفهم لدرجة أن الرئيس سيكوتوري رد على برقية من مأمون الكزبري اليه يطلب اعترافه بالوضع الجديد بعد الانقلاب في سوريا بقوله :

«اننى لا أسمح لك أن توجه خطابا الى ، وفيما يتعلق بى فانى أعتبرك متمردا وخائنا ، ولا يمكن أن تكون لنا أية علاقة الا مع الحكومة الشرعية للجمهورية العربية المتحدة في القاهرة» .

الناس جميعا تكلموا .. الا المخلص الوفي الملك سعود .

حين أبلغوه نبأ بدء الانقلاب ، قام ورقص بالسيف طربا وسعادة ، ثم عين الذى جاءه بالنبأ وهو السيد عبد الله أبو الخير وزيرا في الوزارة باعتباره حامل البشرى .

ثم راح يسأل في كل عشر دقائق :

- هل خلصوا على عبد الحكيم عامر أم ليس بعد ؟

وكان الملك يقول لمن حوله :

— اذا تركوا عبد الحكيم عامر حيا فقد يسبب لهم المشاكل .
ولما اطمأن الى نجاح الانقلاب ، دخل المخلص الوفى الى قاعات
الحريم المعبقة بالبخور والعطر والسموم .

ثم اقول فى ختام الرد على هذا السؤال :

— شفى الله الملك سعود مما ألم به من مرض . . ورد غربته حتى
أستطيع من غير تخرج أن اقول بقية ما عندي !!

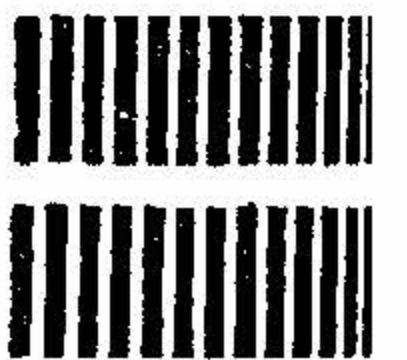




طبيعة المفركة ضدنا وحدودها

أين تجي الضربة القادمة
للاستعمار والرجعية

عبد الكريم فاسم



ربما توقع منى كثيرون أن أطوى على عجل هذه الصفحات التى ما زلت أكتبها عما «جرى فى سوريا» وأن أحاول اللحاق - على عجل أيضاً - بما جد - بعد الذى جرى فى سوريا - من أحداث ، وأبرزه وأهمه هذه الساعات هو تلك المناقشات الممتدة فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية .

لكنى - رغم احساسى بما يتوقعه منى كثيرون - ما زلت أتلکأ .
ان المناقشات التى تجرى الان فى اللجنة التحضيرية تثيرنى ، وتشد اهتمامى ، وتحقق لى أملاً طالما دعوت اليه ، وهو أن تتفتح حياتنا العامة بالمناقشات الحرة .

لكنى مع ذلك لازلت أتلکأ فى الانتقال من موضوع سوريا .

لماذا ؟

لعدة أسباب ...

بينها سبب شخصى محض هو شعورى بأنه ليس عندى الآن جديد أضيفه الى المناقشة ، فلقد قلت معظم ما عندى فى سلسلة من المقالات كان عنوانها «نظرة الى مشاكلنا الداخلية على ضوء ما يسمونه بأزمة المثقفين» ثم فى عدد آخر من المقالات بعد ذلك عندما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية الحاسمة ، ثم أخيراً فى مقالين بالاهرام اليومى بعد صدور البيان الرسمى الذى حدد خطوات العمل من أجل التنظيم الشعبى ...

وأنا أشعر بعد كل الذى قلته بحاجتى الى أن أسمع بأكثر من رغبتى فى أن أتکلم ...

وانى لامد أذننى الى كل ما يقال الآن ، أحاول أن أعى وان استوعب وأن أملأ بالتجربة الجديدة الرائعة حواسى .

وإذا كانت مهمة الصحفي أن يكون جهاز إرسال .

فان من مهمة الصحفي - أيضا - أن يكون جهاز استقبال

ومن ناحية أخرى ، فلقد ملأنا جرائدنا كلاما كثيرا ، وأرقنا على صفحاتنا سيلا من الحبر تشكل حروفا وكلمات وعبارات نقلت آراءنا وأفكارنا بكل ما فيها من جوانب الصواب أو الخطأ .

ولقد حان أن يتكلم الذين لم يتكلموا من قبل ، وأن يشاركوا بدورهم في حديث المصير ...

وانها لفرحة ليس بعدها فرحة ، أن تتاح لنا اليوم فرصة سماع صوت الفلاح مثلا يروي بالبساطة قصة تجربته العميقة في حياة هذا الوادي الأخضر ، مهد الحضارة وأبو التاريخ .

وفرحة ليس بعدها فرحة ، أن تتاح لنا اليوم فرصة سماع الجامعة ممثلة في عديد من أساتذتها يرفعون مشاعل النور فوق التجربة الثورية ويضعون في خدمة الحياة كل ما تعلموه من قراءة الكتب .

وفرحة ليس بعدها فرحة ، أن تتاح لنا اليوم فرصة سماع جمال عبد الناصر في دوره المجيد الجديد ، لقد رأيناه من قبل في دور القائد ، وفي دور الزعيم ، وفي دور الثائر ، وفي دور السياسي ، ونحن اليوم نسمعه في أروع أدواره جميعا وهو دور المعلم .

ان أقصى ما نستطيع أن يرتفع اليه قائد وزعيم وثائر وسياسي ، في حياة وطنه ، وهو أن يصبح معلما لشعبه .

انه في دور القائد والزعيم والثائر والسياسي ، يصنع لنفسه مكانه في التاريخ ، لكنه في دور المعلم يدخل بشعبه كله الى رحاب التاريخ .

هذا هو السبب الشخصي المحض من أسباب تلكى في الانتقال من موضوع سوريا الى غيره مما جد بعده من أحداث .

لكن لى بعد السبب الشخصي اسبابا أخرى عامة ، وعديدة .

أولها - أن المعركة التي جرت وتجرى في سوريا ، ليست معركة بقاء سوريا في الجمهورية العربية المتحدة ، أو عدم بقائها ، ذلك أمر سهل تحسمه في نهاية المطاف ارادات الشعوب العربية ، حين يتاح لهذه الارادات أن تتحرر ، وان تفرض على الأيام مشيئتها .

انما المعركة الحقيقية هي الصراع العنيف ، بين روايت الماضي وبقاياه في الامة العربية ، وبين آمال المستقبل وأمانيه ومثله الأعلى .

المعركة الحقيقية هي الصراع بين قوى الاستعمار ، وبين قوى التحرر ، بين عناصر التقدم ، وبين عناصر الرجعية ، بين الجماهير طالبة الكفاية والعدل ، وبين المتحكمين أصحاب الخزائن المغلقة والقصور العالية

ولقد كانت هذه المعركة الحقيقية ذاتها هي التي دفعت شعب سوريا الى طلب الوحدة مع مصر ربما قبل أوانها الطبيعي .

وكانت هذه المعركة الحقيقية ذاتها هي التي أرغمت شعب سوريا على الانفصال وأكرهته عليها بالفضب والقسر !

ثانيها - ان المعركة بهذه الحدود ، ليست مسألة الذي جرى في سوريا ، وانما المعركة أبعد ما ذلك وأعمق ، وأخطر من ذلك وأعنف .

ان الذي بدأ في سوريا لن ينتهى في سوريا

ان الذي جرى في سوريا ، معركة في حرب طويلة مريرة بدأت قبله ، وتمضى بعده

وهدف المعركة هو المنطقة العربية كلها ، ومن تكون له القلب فيها والقول الفصل ... رواسب الماضي أو آمال المستقبل .

ومعارك المنطقة كلها في حربها الطويلة المريرة ترسم هذه الحدود لم تكن بغداد هي هدف حلف بغداد ، وانما كان القصد من حلف بغداد أن يمتد وأن يطوق المنطقة العربية كلها .

لم تكن معارك السويس هي معارك مصر وحدها ، ولا كان النصر فيها محصورا داخل حدودها

لم يكن مشروع ايزنهاور محاولة لعزل مصر عن بقية العالم العربى ، وانما كان في نفس الوقت محاولة لعزل العالم العربى عن أقوى جزء فيه وهو مصر .

لم يكن المد الشعبى العربى الذى أقام الوحدة بين مصر وسوريا ، مجرد عمل مصرى سورى ، وانما هذا المد الشعبى العربى هو الذى اندفع بعد ذلك فحطم حلف بغداد وقوض دعائم العرش الهاشمى الخائن فيها .

وبنفس المقدار هذا الذى يجرى في سوريا الآن ، ان المعركة فيه ليست معركة السيطرة على دمشق وحدها ، وانما المعركة جزء من الحرب الطويلة المريرة للسيطرة على العالم العربى كله

ثالثها - ان الجمهورية العربية المتحدة بمكانها الطليعى في قيادة النضال العربى ، هي المسئولة أصلا وأساسا ، أمام شعوب الامة العربية

كلها عن مواجهة الخطر بما يقتضيه الخطر من عمل ايجابي ، دفاعيا
كان أو هجوميا ، ليكون النصر في النهاية نصيب الشعوب العربية
جميعها

من هنا فان الذي جرى في سوريا ليس حكاية انتهى أمرها وعلينا
أن نسدل على مسرحها ستارا ثم ينفذ السامر كل واحد الى بيته
لينام

وانما الذي جرى في سوريا يقتضينا السهر !

ولكني أريد أن أضع نقطة على حرف هنا .

ليس الهدف من السهر هو أن تعود سوريا الى حيث كانت في
الجمهورية العربية المتحدة

ذلك أمر تفصيلي لا أقف عنده دقيقة واحدة

وانما المهم أن تخلص سوريا من الظلام الذي يهبط عليها

وان تنتصر قوى التحرر على قوى الاستعمار في سوريا ، وان
تنتصر عناصر التقدم على عناصر الرجعية ، وان تسود مطالب
الجماهير في الكفاية والعدل ، على تحكم أصحاب الخزائن المغلقة
والقصور العالية

هذا هو المهم ... والاهم منه أن لا يتخذ الظلام من سوريا
قاعدة ليزحف منها ويؤخر طلوع الفجر !

من هذا التصور فان الذي جرى في سوريا يقتضينا السهر حتى
يطلع الفجر

وليس اولى بالسهر من ديدبان الحراسة على الامل العربي ، وأعني
به الجمهورية العربية المتحدة ، خصوصا وان هذا الديدبان ذاته هو
الهدف الاول لقطاع الطريق المتربصين بالامل وبالامان !!

بل اني لاجد هنا رباطا وثيقا بين الاهتمام بما جرى في سوريا ،
وبين الاهتمام بما يجري الآن في اللجنة التحضيرية

هناك ضرب الخطر ضربته

وهنا تجرى تعبئة الجهود والجماهير القنادرة على رد الخطر ،
بملاقاته وهزيمته

هناك انقضت فلول الرجعية

وهنا انطلقت طلائع الاشتراكية

والمعركة القادمة أقسى المعارك ، لأنها ليست كمعارك سابقة عليها تستهدف تحرير الأرض العربية فقط ، وإنما هي هذه المرة ، تسعى إلى تحرير الأرض وإلى تحرير الإنسان صاحب الأرض وسيدها ! .

ولربما كان أوضح دليل على قسوة المعركة الجديدة ، هو ما عشناه هنا في الجمهورية العربية المتحدة في أعقاب الذي جرى في سوريا .

لقد حاولت قوى الظلام التي اقتحمت آفاق سوريا أن تجد سبيلاً إلى قلب الجمهورية العربية المتحدة ذاتها .

ظنت أن ضربتها في دمشق أفقدت القاهرة ولو لبعض الوقت توازنها وهزولت تستغل ما تصورته فرصة سانحة للتأثير المباشر في القاهرة .

● ليس صدفة أن الحرب النفسية ضد القاهرة وصلت إلى ذروة مخيفة في أعقاب الذي حدث في سوريا

● وليس صدفة هذا التنسيق الكامل بين إذاعات عمان الناطقة بلسان غيرها ، ودمشق المقهورة على أمرها ، والرياض المحكومة بالنفاق تهاجم الاشتراكية باسم الدين ، وتلوح للمحرومين بجنات السماء ، لتبقى لأصحابها وحدهم احتكار جنات الأرض

هذا صف من الإذاعات ، ومعه في نفس التنسيق الكامل ، صف آخر من إذاعات العدو الذي لا يدارى وجهه ، إذاعات طهران وأنقرة الركائز الباقية لحلف بغداد ، وإذاعات لندن وباريس شركاء حلف بغداد ومع هؤلاء جميعاً إذاعة إسرائيل

● وليس صدفة أن بعثة تصفية الممتلكات الفرنسية ، كما كان الاسم الظاهر لشبكة جواسيس فرنسا - خرجت في هذا الوقت بالذات تجاوز بنشاطها كل حد معقول .

في هذا الوقت بلغت بهم رغبة تعجل الحوادث إلى حد التفكير في إقامة إذاعة سرية متنقلة في قلب القاهرة !

في هذا الوقت بلغت بهم شهوة القتل إلى حد المجيء « بجانتيس » خبر الاغتيالات الفرنسي المشهور لكي يدرس احتمالات عمل حاسم للخلاص من جمال عبد الناصر وجاء « جانتيس » بالفعل تحت ستار مؤتمر البترول العربي .

ذلك كله ليس صدفة

ان الذين سيطروا - او تصوروا انهم سيطروا على دمشق -
لا يريدون الوقوف هناك ، ولا تقتصر أحلامهم على عاصمة الامويين
الباسلة .

وانما بعدها بكثير تمتد اطماعهم !

ولقد بلغ من سرعة الحوادث أن بيننا من لا يرى أننا بعد المعركة
التي جرت في سوريا ، واجهنا قوى الظلام في معركة ثانية هنا في
الجمهورية العربية المتحدة ..

الى هذا الحد ضراوة الحرب التي نخوضها .
الى حد أن الظلام الزاحف على دمشق ، راودته المنى ولو لايام انه
قادر على مواصلة الزحف حتى القاهرة ذاتها .

وبلغ من سرعة الحوادث أن بيننا من لا يرى أننا احرزنا نصرا واضحا
في هذا الزحف السريع الذي استهدف القاهرة .

ان النداءات المسعورة التي راحت تعرض شعب مصر وجيشها لم
تجد من شعب مصر وجيشها غير احتقار المحرضين ، وكان الخطر
الوحيد من هذه النداءات المسعورة هو أن تؤثر على احساس شعب مصر
وجيشها بالعروبة ذاتها ، من فرط الاحتقار لهذه الاصوات العربية
المنادية بالخيانة ..

● والتنسيق الكامل بين اذاعات عمان ودمشق والرياض وطهران
وانقرة ولندن وباريس واسرائيل ، كشف حدود المعركة وابعادها ،
وتكفل وحده بأن يضع الذي جرى في دمشق في مكانه الحقيقي من غير
براقع ولا اقنعة .

ولرب من يسأل :

- كيف الى هذا الحد كشفوا أمرهم بالتنسيق الكامل بينهم !

والسر :

- أن شهوة النجاح السريع في القاهرة بعد دمشق ، جعلتهم يتخلون
عن كل حذر ويقعون في كل محذور !

كانوا يتصورون أن النجاح في مصر قد يغطي المخاطرة .

وخاطروا وظهروا معا على المكشوف لا خفاء ولا موارد .

وفشلوا في مصر

وهذا الضجيج بعد انكسار موجات الهجوم واحدة بعد واحدة ..

ثم اذا هم جميعا معا .. نفس خطأ ابدن المشهور في التواطؤ مع
اسرائيل في عدوان سنة ١٩٥٦

● وبعثة الممتلكات الفرنسية لم تعد الآن شبكة جواسيس ، ومؤامرة قتل ، وانما أصبحت قضية كاملة مدعومة بالوثائق ، وأصبحت اعترافات كاملة تنهار وتتداعى أمام الادلة الحاسمة !

وتوقع بخطر يدها تسليما بالفشل

لكن الحرب مستمرة حتى بعد هذا الفشل في القاهرة ، بل ان هذا الفشل في القاهرة سوف يضاعف من ضراوة الحرب ، فان النجاح المؤقت الذى أحرزه الظلام على دمشق سوف يتبدد وينقشع ما لم يدعمه نجاح سريع خارج دمشق !

واذن فأين في غير القاهرة يستطيع الظلام ان يحقق اندفاعا سريعا ؟

أكاد أضع أمامى خريطة للشرق الاوسط ، وامد أصبعى الى بغداد وأقول :

— هنا !

بغداد الآن في تقديرى — وفي منأى ان اكون مخطئا — هي الفراغ الذى تستطيع جحافل الظلام ان تندفع اليه .

ففى بغداد الآن نظام امره عجب لا هو وطنى ولا هو استعمارى ، لا هو رجعى ولا هو تقدمى

يكاد النظام فى بغداد ان لا يكون نظاما على الاطلاق .. وانما فراغ مفتوح ، معرض ومكشوف لكل ألوان الخطر !

خريطة الشرق الاوسط

ومنطق الحوادث فى الشرق الاوسط ، كلاهما يشير الآن الى ان ضربة فى العراق ، أمر لا بد من توقعه

ما الذى تقوله خريطة الشرق الاوسط ؟

الخريطة تقول انه اذا استطاع الاستعمار أن يعزز موقعه فى العراق فان موقفه فى الشرق الاوسط كله يتحسن بدرجة ملحوظة .

العراق جسر يربط ايران الملاصقة للاتحاد السوفيتى ، بسوريا المطلة على البحر الابيض ، والعراق وسوريا كلاهما من الناحية العسكرية فى الموقف الدولى المتوتر الآن — عمق طبيعى لخطوط الدفاع

الفريية في كل من ايران وتركيا وإذا ما اضيفت مملكة الاردن واسرائيل الى هذا العمق فانه يتراعى حتى يصل الى البحر الاحمر . . الى العقبة وايلات ، وهذا الوضع نفسه هو الحلم الذى قامت من أجل تحقيقه فكرة حلف بغداد ! . .

هذا ما تقوله خريطة الشرق الاوسط . .

فما الذى يقوله منطق الحوادث فيه ؟

منطق الحوادث يقول ان دمشق كانت القاعدة التى استطاع منها الملد الشعبى العربى أن يضرب العرش الرجعى في بغداد وأن يمهد لثورة ١٤ يوليو في العراق .

ودمشق الآن تحت حكم رد الفعل المضاد للمد الشعبى الذى فجر ثورة العراق .

دمشق الآن تحت حكم مدرجعى ، قد يكون مؤقتا ، ولكنه حقيقة قائمة في هذه المرحلة الخطيرة .

والمد الرجعى يريد أن ينطلق الى مداه ، ومداه الطبيعى - خصوصا - في تحالفه مع الاستعمار وخطته - هو بغداد والسيطرة عليها .

ولرب سائل يسأل :

- ولكن اللواء عبد الكريم قاسم ليس عقبة في وجه الاستعمار ولا في وجه الرجعية !

ما الذى فعله ايجابيا ليقف في وجه الاستعمار ويناهض أهدافه ؟ وردى :

- ان اللواء عبد الكريم قاسم لم يفعل شيئا ، بل لعله فعل العكس بوعى مننه او بفسير وعى ! . .

لقد قدم للاستعمار خدمة عظيمة بالمعركة التى اثارها في العالم العربى لغير ما سبب الا أوهامه الشخصية .

لقد أمن مصالح الاستعمار في بترول العراق ولم يجد في طاقته غير تهديدات فارغة لم تعد تخيف . . . بل حتى لم تعد تنشر في الصحف استهتارا بصالحها واستخفافا بوزنها !

لقد شغل الامة العربية كلها بمشكلة لا مبرر لها حول رغبته في ضم الكويت بينما هو لم يستطع حتى الآن ضم العراق ذاته !

لقد فرض على العراق فترة من الرعب لا مثيل لها في التاريخ كانت
حبال « السجل » فيها أسرابا من الثعابين السامة زحفت على حياة
الناس ولاغت في حمامات الدم !

كل ذلك صحيح ...

صحيح أن اللواء عبد الكريم قاسم ، خدم بوعى منه أو بغير وعى
خطة الاستعمار ، وهو على استعداد لان يواصل الخدمة .

ولكن المشكلة ليست هنا !

المشكلة أن الاستعمار الآن هو الذي لم يعد يريد خدمات اللواء
عبد الكريم قاسم !

— لماذا ؟

— على الأقل ليملا الفراغ الموجود الآن في العراق ... لأنه يريد
الآن حكومة قوية قادرة على اخضاع العراق ... لان اللواء عبد
الكريم قاسم فقد قوته واستنزفها في المعارك الوهمية التي تشبه
معارك دون كيشوت مع طواحين الهواء ... لان الاستعمار يعرف
أن العناصر الشيوعية ما زالت بيدها قوة تمكنها من التأثير ، كذلك
يعرف أن العناصر الوطنية ما زالت بيدها قوة تمكنها من الثورة .

ولقد كانت قوة عبد الكريم قاسم — وهو لا يعرف — هي حدوده
المشتركة مع الجمهورية العربية المتحدة أيام كانت سوريا امتدادا لها .
كان الاستعمار يسند اللواء عبد الكريم قاسم ضد
أي معارضة ..

بل وصل الاستعمار الى حد مساندة الشيوعيين في العراق وذلك
لتأليف جبهة قادرة على التصدي للقومية العربية التي كانت تطل على
العراق عبر الحدود السورية .

ومن وجهة نظر الاستعمار كان فراغ عبد الكريم قاسم خيرا ألف
مرة من أن يمتلئ العراق بقوة وطنية على المقاومة الجدية الحقيقية .

وكذلك حال الشيوعيين .

وابتعد الخطر المشترك من وجهة نظر الاستعمار والشيوعيين —
وهو الجمهورية العربية المتحدة — ولم تعد لها اليوم حدود
مع العراق .

ولسوف يكتشف اللواء عبد الكريم قاسم يوما — أنه من وقتها —

دون أن يدري - فقد الضمان الذي كان يقيه من حيث كان يردع الآخرين
عن الفتك به والإجهاز على حكمه المتداعى في العراق !

ومن وجهة نظر منطق الحوادث في الشرق الاوسط ، فلقد يسأل
سائل :

- ما الذي يمنع اللواء قاسم من التعاون مع الرجعية ؟

والسرد

- لا شيء يمنعه ... بل أنه - شخصيا وبالذات - كان أول من
فرح بانتصارها المؤقت في سوريا ، ربما ليس حبا فيها وانما كراهية
في غيرها

ولكن المشكلة - مرة أخرى - ليست هنا !

المشكلة أن الرجعية هي التي لا تريد الآن أن تتعاون مع عبد الكريم
قاسم .

تعاونت معه وشجعته وسعت اليه عندما دخل معركته الشخصية
البحثة ضد الجمهورية العربية المتحدة .

ولما ابتعدت الجمهورية العربية المتحدة عن حدود العراق ، وقفزت
الرجعية في نفس الوقت الى السلطة في سوريا ، لم تعد الرجعية بحاجة
الى تعاون اللواء عبد الكريم قاسم .

وعبد الكريم قاسم شخصيا ليس هدفا لهم الرجعية أن تضربه

ولكن الذي تريد ضربه هو معنى يوم ١٤ يوليو ١٩٥٨

هو معنى الثورة التي هبت ضد الرجعية يوما في بغداد

كذلك تقول خريطة الشرق الاوسط وكذلك يقول منطق
الحوادث فيه

ولكن ما الذي يقوله اللواء عبد الكريم قاسم نفسه ! ؟

لا شيء

لا يبدو من تصرفات اللواء عبد الكريم قاسم حتى الآن أنه يعي
شيئا مما تقوله الخريطة أو مما يقوله المنطق

إن اللواء عبد الكريم قاسم مشغول عن كل شيء ... باللواء عبد
الكريم قاسم

الدنيا أمامه كلها مرآة واسعة لا يرى فيها غير نفسه !
وفي معلوماتي من العراق أنه الآن مشغول بخطة
ولكن الخطة الجديدة ككل خطته القديمة مزيج بين السطحية
وبين الانانية

● يفكر في وضع دستور ...

كلام معقول ولكن غير المعقول أنه حدد من الآن كل الذين ينجحون
في الانتخابات والذين لا ينجحون .. لدرجة أن بغداد كلها تتحدث عن
اسم رئيس الوزارة الذي سيؤلف الوزارة بعد الانتخابات وهو السيد
محمد حديد !

● أقنعة مستشاره الذي يملك أذنه الآن - وهو السيد هاشم
جواد وزير خارجية العراق ، أنه من الخير أن يكون النظام الجمهوري
في العراق برلمانيا وليس رئاسيا ، على أساس أنه بذلك يستطيع التأثير
أكثر في سوريا وقد يجرها الى اتحاد مع العراق

- كلام معقول ولكن غير المعقول أن درج مكتبه الآن يضم مذكرة
بطلب إعطائه سلطة استثنائية طوال فترة حكمه على غرار ما فعله
ديجول . ولقد قام هاشم جواد بدراسات كاملة لتجربة ديغول في
فرنسا .. واقنع اللواء عبد الكريم قاسم بأنه يستطيع أن يكون ديغول
العراق ... واجهة برلمانية .. وسلطات استثنائية ...
وزعيم أوحده !

ولكن عبد الكريم قاسم لم يقل ذلك حتى الآن وإنما هو يخفيه حتى
يباغت به الدنيا !

وآخر تصريحات الزعيم الأوحده أنه سوف يثير في الشرق الأوسط
حربا ضروسا اذا لم تقدم له الكويت ليضمها الى الفراغ الذي يعيش
فيه ويفرضه على العراق .

وأسفاه على أن الزعيم الأوحده لم يعد قادرا على أن يثير حربا ضروسا
أو غير ضروس ..

واذا قامت في الشرق الأوسط حرب ضروس فإن أول انفجار لها
سوف يبدد امبراطورية الأوهام التي يعيش الزعيم الأوحده في سحابها
وضبابها ..

ثم أجد خيالي في هذه اللحظات يتجه الى العناصر الوطنية في
العراق ، هذه العناصر التي تعيش اليوم محنة قاسية .

ترى قوى الاستعمار والرجعية تتأهب للانقضاض على العراق .

وترى التسلل الشيوعى كامنا يتربص على استعداد بحبال السحل
كانها الثعابين السامة . . .

وترى امبراطورية الاوهام لا يمسكها من التلاشى غير رغبة كل من
يريد تغير الاوضاع فى العراق أن يضمن احتمالات النجاح .

خيالى مع هذه العناصر الوطنية فى العراق وقلبى معها .

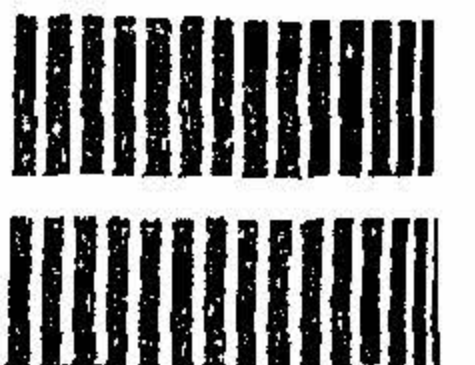
أن محنتها القاسية اليوم . . جزء من معركتنا القائمة مع الاستعمار
والرجعية . . . جزء من حربنا الطويلة المريعة معهم . حتى لا تطبق
علينا جحافل الظلام ، وحتى لا يتأخر طلوع الفجر !



ومضنا في المعركة

٣ أسباب لصعوبة المعركة
التي نواجهها الآن
اليهودى الثالثه بين
بيروت وبغداد ودمشق
في طائرة تشيكية
كلمة واحدة تصل بنا
إلى النصر
مُرحلة الاشتراكية

خالد بكداش



لا أظن أننا واجهنا من قبل ، معركة تماثل في قسوتها وضراوتها هذه المعركة التى نواجهها اليوم .

أن هذه المعركة التى نخوضها الان ، وتخوضها معنا القوى الوطنية لحركة القومية العربية ، هى أعنف وأخطر معاركنا .
أعنف وأخطر من حرب السويس ، لعدة أسباب .

أولا : أن حرب السويس كانت قضية واضحة المعالم ، لشعب صغير يتقدم فى اصرار نحو الحرية ، بينما اثنتان من دول الاستعمار الكبرى تحاولان بالنار والدم والحديد وقف تقدمه ، ومن هذا الوضوح كان سهلا أن تتجسد القضية ببساطة أمام الراى العام العالمى ، وكان سهلا بالتالى على قوته المعنوية الهائلة أن تحدد موقفها من الصراع ولن تلقى بثقلها كله مع مصر سنة ١٩٥٦

ولكن « السويس » الاجتماعية التى نخوضها اليوم ، قضية معقدة ومتشابكة ، ثم هى فى مظهرها الخارجى تبدو مشكلة محلية ... بل تكاد تبدو فى بعض الاحيان - وهما وخداعا - قضية عائلية

ومن ثم فانها لا تثير ولا تحرك ، ولا تهز المشاعر وتلهبها ... على الاقل الى الحد الذى يتساوى مع خطورة المعركة الفعلية .

ثانيا : أن العدوان فى السويس ، كشف نفسه بالغزو المسلح .
كشف نفسه بالاساطيل وبالطائرات وبالمدفعية والمدافع ، تحاول أن تقتحم شاطئنا فى بور سعيد .

كشف العدوان نفسه أيامها وبالتالى كان سهلا اثبات الجريمة عليه ، والإمساك بيده المخضبة بالدماء لىكى تراها الدنيا وترى فيها جريمته ، أما هذه المرة فان العدوان غير خطته

انه هذه المرة لا يقتحم ... وانما يتسلل

وهو هذه المرة لا يجيء ومن حوله هدير آلات الحرب ودويها ...
وانما هو مقبل في صمت ، كأنه على حد التعبير الياباني « جيش
الاشباح » تشعر به دون أن نراه ، ونحس أثر ضرباته ولا نستطيع
الامساك به !

ثالثا : انه في « حرب السويس » كانت احدى القوى الكبرى ،
واعنى بها الاتحاد السوفييتى - تقف سياسيا الى جانبنا - وذلك
امر لا يستهان به خصوصا في ظروف الخطر

ولكن الاتحاد السوفييتى له في هذه المعركة موقفه ، وله في هذا
الموقف منطقته ...

وليس من حقنا ان نلومه في ذلك ، والا كنا نحمل أصدقاءنا أكثر مما
يطبقون ، فليس لنا ان ننسى - على أى حال - أن الاتحاد السوفييتى
دولة كبرى ، لها مصالح الدول الكبرى ولها خططها الاستراتيجية
الواسعة ، وقد تتفق مصالحها وخططها معنا يومافى معركة من معاركنا،
ولكنها في معركة ثانية قد تختلف

وعلىنا ان نكبر على انفسنا الى القدر الكافى الذى نستطيع معه
ان نرى الحقائق المجردة في ظروف أصدقاءنا ، بلا عتاب وبلا اسف !
لقد وقف الاتحاد السوفييتى معنا سنة ١٩٥٦ لان معركتنا كانت
ضد الاستعمار الغربى وحده

ثم اختلف الاتحاد السوفييتى معنا سنة ١٩٥٩ لما تصدينا لمحاولة
السيطرة الشيوعية على العراق ، ودخل جمال عبد الناصر لهذا السبب
في صدام علنى مع نيكيتا خروشوف

وليس من شئ يعيد الى اذهاننا مدى النجاح الذى حققته القومية
العربية في تصديها للشيوعية ، خيرا من صورة اليهودى التائه التى بدأ
عليها خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السورى عندما حاول العودة
منذ اسابيع الى دمشق

جرب النزول في دمشق ، التى حارب فيها القومية العربية ، ولم
يستطع النزول .

وجرب النزول في بغداد ، التى كانت صدى صوته سنة ١٩٥٩، ولم
يستطع النزول .

وجرب النزول في بيروت ، التى ما زال حزبه يستعملها قاعدة له
ولم يستطع النزول .

يهودى تائه جديد ، تائه يركب طائرة تشيكية كبيرة ، قامت به من
براج ، ولم تجد مكانا فى الشرق الاوسط يقبله ، فعادت به مرة ثانية
الى براج !

فى المجال الدولى اذن هذه المعركة اعنف واخطر معاركنا .
وملخص الاسباب الثلاثة التى ذكرتها الان دوليا يصل بنا الى حصيلة
اخيرة هى اننا نواجه هذه المعركة وحدنا ، ونخوضها وحدنا ، وعلينا
ان ننتصر فيها وحدنا

وفى المجال العربى ، بعد المجال الدولى ، نجد ان الصورة قريبة ،
واكاد أقول متكررة

المعركة الجديدة فى المجال العربى اعنف واخطر معاركنا .

اعنف واخطر من معركة السويس .

فى معركة السويس كانت هناك شبهة جبهة وطنية ، فى مواجهة
العدوان الاستعمارى الخارجى

وهذه من طبيعة الامور فى تلك المرحلة من النضال الوطنى ضد
الاستعمار !

● فى سنة ١٩٥٦ كانت بعض العناصر الرجعية فى المنطقة تقف
بالقرب منا فى المعركة ، ولقد كانت مصالحها بالفعل مترابطة مع مصالح
الاستعمار ، ولكنها - ولو حتى بحكم الشعور العاطفى وحده - لم
تقف بعيدا عنا بكثير

ومن ناحية اخرى - مع الشعور العاطفى - فلقد كانت تريد تأمين
مصالحها اذا ما كان النصر فى المعركة للقوى الوطنية للشعوب

كانت تقف معنا ولو حتى بالكلام ، وكانت تتجاوز ذلك أحيانا الى
التبرع ببعض مالها لضحايا بور سعيد

وقفت معنا سنة ١٩٥٦ ، لكى تكون لها بعد ذلك بيننا كلمة
مسموعة ، لها وزنها ولها تأثيرها

● وكذلك تقريبا فى سنة ١٩٥٦ - كان موقف العناصر الشيوعية
فى المنطقة ... وقفت معنا بقوة - وللحق أقولها - فى معركتنا ضد
الاستعمار

وكانت فى ذلك تصدر عداء للاستعمار لا شك فيه ، ولكنها كانت

تريد بعد ذلك أن تحصل على اعترافنا الفعلى بها ، وأن تأخذ من موقفها المعادى للاستعمار فى السويس ، نقطة ارتكاز لنشاط يمتد بعد السويس ويتغلغل .

هى الاخرى وقفت معنا سنة ١٩٥٦ ، لكى تكون لها بعد ذلك بيننا كلمة مسموعة ، لها وزنها ولها تأثيرها .

بعض العناصر الرجعية وقفت معنا وأقول « بعض » لان بعضها الآخر والرجعية الهاشمية فى بغداد على راسه ، وقفت ضدنا من أول لحظة .

والعناصر الشيوعية وقفت معنا ، وأضيف كلها ، فان الحرب ضد الاستعمار ووقوف الاتحاد الشيوعى سياسيا بجانبنا لم يدع لاي من هذه العناصر فرصة للتردد أو للانتظار !

كلاهما ، كلاهما وقف معنا ، ولكن لغاية ذاتية فى النهاية يريدان ويسعى الى تأمينها

الرجعية كانت فى النهاية تريد أن تجمد اندفاعنا الثورى الاجتماعى والشيوعية كانت فى النهاية تريد أن تحول هذا الاندفاع الى غير وجهته الوطنية الصميمة !

ولكن التجارب بعد سنة ١٩٥٦ لم تحقق لكل منهما غايته !

وكانت سنة ١٩٥٨ ، حاسمة ، فى بدايتها ونهايتها

فى بداية سنة ١٩٥٨ - دخلت القوى الوطنية فى حركة القومية العربية ، الى تجربة الوحدة بين مصر وسوريا ، دون أن تقيم وزنا للمعارضة الرجعية ضد اتمام الوحدة ، وحين وصلت الرجعية الى حد التآمر على الانقلاب وعلى القتل ، لم تتردد القوى الوطنية فى أن تكشف للرأى العام العربى خطط الرجعية مدعومة بالوثائق والمستندات وبينها - بالطبع - شكايات الملك سعود التى حاول بها أن يفرى عبد الحميد السراج !

وفيما تلا ذلك من السنين ، لم تفرط القوى الوطنية فى ثورتها ، ولم تجمدها من أجل خاطر الرجعية ومصالحها ، لقد تطلعت بعض الوقت - هذا صحيح - ولكنها استطاعت فى يوليو ١٩٦١ أن تفجر ثورة اشتراكية حقيقية وأصيلة

وضيقت الزجفية صوابها ، وكشفت نفسها ، ورفعت اعلام الخيانة
سافرة صريحة ، بدورها في انقلاب دمشق ، وبما حدث لشعب
سوريا بعده .

وشهدت نهاية سنة ١٩٥٨ - مقدمات الصدام المفتوح بين القوى
الوطنية في المنطقة وبين العناصر الشيوعية فيها

وقفت الاحزاب الشيوعية العربية في العراق ، وقفة عنيدة أخيرة
حتى لا يصيبها في العراق ، مثل ما أصابها من قبل في مصر وسوريا ،
وتحرم من حق العمل السياسي

ولم تنتظر الشيوعية في العراق ، وانما أعلنتها منذ اللحظة الاولى
حربا هجومية على الجمهورية العربية المتحدة ، وهدفها ان تؤثر في
شعب العراق ذاته وتبعده عن التفاعل مع ما يجري وراء حدوده

ولم تستطع الشيوعية ان تؤثر في أحد في العراق ، غير اللواء عبد
الكريم قاسم ذاته ، فعزلته وحده ، وساعدها انه هو أيضا - بدوره -
كان يريد العزلة لنفسه وللعراق ، تصورا منه أن هذا هو السبيل
الوحيد الى « الوحدةانية » التي يحلم بها !

وفعلت الاحزاب الشيوعية في العراق نفس الذي فعلته العناصر
الرجعية بعد ذلك في سوريا

ضيقت الاحزاب الشيوعية صوابها ، وكشفت نفسها ، ورفعت
اعلام الدم ، وأشعلت النار ، وفرضت على الموصل وكركوك حكم
الرصاص ، وحكم جبال « السحل » ، وحكم دفن البشر احياء في
الحفر المظلمة !

واذن في المجال العربي - بعد المجال الدولي - هذه المعركة أعنف
والخطر معاركنا .

ذلك أن ملخص ما قلته الآن - عربيا - يصل بنا الى حصيلة أخيرة
هي أننا نواجه هذه المعركة وحدنا ، ونخوضها وحدنا وعلينا أن
نتصر فيها وحدنا

وقوق ذلك كله ، فلا بد لنا أن نسلم أننا فقدنا الكثير من العناصر
الوطنية العربية ، خلال المعارك المتصلة التي خضناها حتى الآن .
وفي سوريا - قبل غيرها - تبدو هذه الحقيقة

● مجموعة الضباط الوطنيين في الجيش السوري ، بعضهم وقع أسرى في دمشق ، وبعضهم أرغم على الابتعاد عن مسرح الحوادث
عبد الحميد السراج مثلاً في سجن المزة اليوم أسير

وطعمة العودة الله ، وأحمد حنيدى ، وأكرم دبرى ، وجادو
عز الدين ، وغيرهم هنا في القاهرة ، بعيدون عن التطورات في دمشق .
● وحزب البعث العربى ، خرجت المعركة من حدود طاقته
فانسحب منها الى بعيد

نصفه الآن في دمشق - تحت قيادة أكرم الحوراني - يهادن
الرجعية ويتعاون معها ، تحت الستار الذى يرفعه أكرم « بك » الآن في
وجه كل من يذهب اليه بكلمة لوم أو بتعبير عن خيبة الأمل ، وذلك
بقوله :

- أتركونى اتكتك !

وهو ما زال « يتكتك » حتى الان !

أما النصف الثانى من حزب البعث فهو الآن في بيروت - تحت قيادة
ميشيل عفلق يحاول أن يلتقط انفاسه المبهورة من سرعة المعركة
وحدثها ، ولا يعرف له رأساً من قدم ، ولا يجد حتى الآن منفذا الى
تأثير على مجرى الحوادث المتتابعة .

● ثم المئات ، بل الالوف ، من افراد الشعب السوري ، الذين
خرجوا من غير تنظيم ، ومن غير استعداد ، ليصرخوا في وجه الانقلاب
لقد كانوا بلا جدال - حتى دون أن نعرف أسمائهم - من أصدق
العناصر وطنية ، ومن أسبقهم استعداداً للتضحية

لقد خرجوا بلا سلاح يصرخون في وجه الانقلاب من قلوبهم
وواجههم الانقلاب بسلاحه .. صرخ فيهم بالبنادق موجهة
الى صدورهم !

وسقطوا قتلى : رجالاً ونساء ، شباباً واطفالاً !

ولقد فقدناهم بصرف النظر عن شرف المعركة التى فقدناهم خلالها

ثم أصل بعد ذلك كله الى القاعدة الوحيدة الصامدة لمعركة المصير
العربى .. وهى الجمهورية العربية المتحدة

ان حربها اليوم مزدوجة

عليها أن تحمي نفسها من الضربات المسددة اليها .
وعليها في نفس الوقت أن تمضي وأن تفتح الطريق أمام مستقبل
قريب أفضل
معركة دفاعية تصد بها غارات الاستعمار والرجعية والاحزاب
الشيوعية
ومعركة هجومية تصل بعدها حتى تطل على غد تسود فيه الحرية
والاشتراكية والوحدة .

ومن نماذج معركتها الدفاعية ، ان تحمي نفسها من مثل هذا
النشاط الذي كانت تقوم به بعثة الممتلكات الفرنسية في مصر ، هذه
البعثة التي تحولت من عملية تصفية ممتلكات فرنسا في مصر الى
محاولة تصفية مصر ذاتها !

ولم يخجل الاستعمار الفرنسي ، وهو يرى شبكة الجاسوسية
التي أرسلها اليها متلبسة بجرائمها ، ولا خجل وهو يسمعها تبدلي
باعتـرافاتها
وانما راح يجرب الحماقة تحت حجة وجود حصانة لافـراد
البعثة لا وجود لها في أى قانون أو عرف

وراح بعد الحماقة يجرب الضغط في حملة دبلوماسية واسعة المدى،
وصلت حتى الامم المتحدة ذاتها ، يقول فيها « حتى اذا كانوا قد قاموا
بكل مانسبوه اليهم في القاهرة فلقد كان واجب القاهرة أن تطلب منهم
مغادرة اراضيها وانتهى الامر »

ومن العجيب ان اذاعات الرياض ، وعمان ، ودمشق ، وصحـفها ،
لم تذكر شيئا عن مؤامرة فرنسا

وهذه ملاحظة سريعة ، اكتفى بتسجيلها ، ولا أعذب أعصابي
بتحليلها !

ومن نماذج معركتها الدفاعية أن ترفع بكبريائها عن الرد على
مثل الذي يقوم به الملك حسين اليوم، ونصف الذي يقوم به جلـالته الان،
مضحك ، ونصفه الثاني مضحك أيضا !!

جلالته منهمك في العمل ضد الجمهورية العربية الآن على جبهتين :
جبهة في لندن حيث يقوم الملك الان بعملية تنسيق وحشد الجهود
المشتركة ضد الجمهورية العربية المتحدة .

وجبهة أخرى - وهذا عجيب - في قطاع غزة ، حيث تركـز اذامة
الملك حملة صاخبة ضد الادارة العربية هناك وتدعو شعب غزة الى الثورة

ضدها والى طردها من هناك « كما طردت من سوريا » على حد تعبير
اذاعة جيلالته !

الى هذا الحد وصلت الخيانة ، خيانة في لندن تتواطأ مع الاستعمار،
وخيانة في غزة تتواطأ مع « اسرائيل » !
ولكن العذر مع جلالته ، فلقد ورثها مع الدم الذي يجرى في عروقه ،
وتلقاها كابرا عن كابر !

ومن غرائب الاقدار ، في أمر المعركة الدفاعية ، التي تخوضها
الجمهورية العربية المتحدة اليوم ، أنها تجد نفسها في الوضع الذي
يختم عليها أن تكون قاعدة لحماية العواصم التي تضرب منها اليوم
انها تضرب من دمشق - مثلاً - ولكن هل تستطيع أن تسكت
إذا ما قامت معركة في جنوب سوريا بسبب أقدام اسرائيل على تحويل
مياه الاردن ؟

وهي تضرب من عمان - مثلاً - ولكن هل تستطيع أن تسكت
إذا ما انقضت اسرائيل يوماً على الضفة الغربية للاردن ؟
ومن غرائب الاقدار أن يوجه الضربات اليها من تنتهي في الحياة
قيمتهم بغيرها

ولكن الخيانة حاقدة . . . وعمياء أيضاً .

ثم أضل الى المعركة الهجومية التي تريد الجمهورية العربية
بعدها أن تطل على غد تسوده الحرية والاشتراكية والوحدة

● وفي السويس سنة ١٩٥٦ حصلت القاهرة على الحرية السياسية

● وفي يوليو ١٩٦١ بدأت القاهرة انطلاقها الاشتراكية

● وأما الوحدة فلقد عاشت القاهرة تجربة لها سنة ١٩٥٨ ، ثم
كان الانقضاء الرجعي على الوحدة دليلاً على أن الاشتراكية يجب أن
تسبق الوحدة لتمهد لها وتفتح الطريق امامها

وهكذا ترتيب خطوات الزحف الى المستقبل .

ترتيب يفرضه المنطق ، وفرضته الحوادث تأكيداً للمنطق

ان الحرية السياسية صراع مع الاجنبي

وأما الاشتراكية والوحدة فصراع مع أنفسنا .

ولقد يقول قائل :

- ان الوحدة لابد أن تسبق الاشتراكية

وارد عليه :

- ان تجربة الوحدة الاولى بين مصر وسوريا أثبتت بين ما أثبتته، أن

الصراع الداخلى لازالة المتناقضات الاجتماعية ، وتحقيق العدالة داخل أى وطن من الاوطان العربية يجب أن يتبلور أولا داخل حدود كل وطن عربى ، والا فان الرجعية قادرة على استغلال النعرات المحلية لكى تضرب بها الوحدة والاشتراكية معا !!

معركة الساعة - فى نهاية المطاف الذى بدأناه من أول سطر على هذه الصفحة - هى « الاشتراكية »

« الاشتراكية » هى المعركة العنيفة الخطيرة ، التى نخوضها اليوم « دفاعيا » و « هجوميا » فى سلسلة معاركنا المتصلة من أجل المصير العربى .

لكن ما هو سبيلنا الهجومى فى معركة الاشتراكية ؟
كلمة واحدة ترد على هذا السؤال هى : التطبيق !
لا شىء ينتزع النصر فى معركة الاشتراكية غير التطبيق الناجح لها فى مجتمعنا لكى يكون للجماهير فيه حقها بالكفاية والعدل
لا شىء يؤكد النصر الكامل فى معركة الاشتراكية الا أن نقدم لامتنا التى تنظر من حولنا ، مثالا عمليا قائما يحقق آمالها

وأسأل نفسى بعد أن وصلت الى هذا الحد :
- هل يمكن الآن على ضوء هذا التصور الشامل لحدود المعركة أن نتأخر دقيقة واحدة فى عملية التنظيم الشعبى ؟
وأسأل أيضا :

هل يمكن - على ضوء هذا التصور الشامل لحدود المعركة - أن يكون التنظيم الشعبى جبهة متحالفة من قوى مختلفة ... رجعية ووطنية وشيوعية ؟!

أم أن هناك ضرورة حيوية لان يكون التنظيم مقصورا على قوى الشعب الوطنية دون غيرها ؟

وأقول بعد ذلك :

- أن المعركة التى نتصدى لها - هنا وفى الاوطان العربية الاخرى - هى معركة الجماهير الوطنية وحدها

واذن يجب أن تحاربها هذه الجماهير الوطنية وحدها

هذا طبيعى ...

وهذا حق ...

والا كنا نحارب معركتنا العنيفة الخطيرة فى غير ميدانها ، وبغير جنودها ، وبغير سلاحها !!

٣ قوى تتجمع ضدنا

قائمة اغتالات توضع
في باريس لكي تنفذ
في القاهرة
الذين يحاربوننا من خلف
براقع والذين رفعوا
البراقع ومعها الحياء؟



لا أستطيع القول ، بأن لدى صورة كاملة للمناقشات التي دارت
اثناء اجتماعات اللجنة الوزارية لحلف شمال الاطلسي ، في الاسبوع
الماضي ، في باريس .

لكني أستطيع القول ، بأن لدى لمحات من هذه الصورة ، تبين منها
بصورة خاطفة ، بعض مواقع الظل فيها ، وبعض لمسات الضوء !.

وأكاد أقول بصفة عامة ، ان اللجنة الوزارية لحلف شمال الاطلسي ،
بعد أن استمعت الى تقرير مفصل قدمه لها « سليم ساربر » وزير
خارجية تركيا ، عن التطورات في الشرق الاوسط ، بعد انقصال
سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، وصلت الى نتيجة مؤداها :

« ان هناك الآن ، فرصة مواتية في الشرق الاوسط ، لاستعادة
بعض المواقع التي فقدتها الدول العربية في المنطقة ، وهناك - كذلك -
فرصة مواتية لتثبيت مراكز اصدقاء الغرب فيها .

لكن الفرصة لن تبقى مواتية لفترة طويلة .

ومن ثم فانه من الضروري أن تكون هناك مبادرة نشيطة لاستغلالها ،
والاستفادة منها للتأثير على مستقبل التطورات في الشرق الاوسط
الى أبعد مدى ممكن .

وان هذا الهدف لا يمكن الوصول اليه ، بغير توجيه ضربة قاضية -
إذا أمكن - أو شبه قاضية - على الأقل - الى الجمهورية العربية
المتحدة ، مركز الخطر ، ومكمن التهديد ، والنقطة التي قد تحدث
منها انطلاقة عربية ، كاستمرار لحركة القومية العربية في تقدمها
التاريخي الطبيعي ، - أو كرد فعل للنكسة المؤقتة التي أصيبت بها هذه
الحركة في سوريا » .

هذه هي النتيجة التي وصلت اليها اللجنة الوزارية ، أو على حد

التعبير السياسى - العسكرى ، هذه هى « الاستراتيجية » التى انتهت اليها سياسة الغرب فى المنطقة ، والتى يتعين بعد ذلك على « التكتيك » الغربى أن يحولها الى خطوات عملية ، واحدة ، بعد الواحدة ، حتى تتحقق ! .

وفيما لدى من لمحات الصورة ، فان اللجنة الوزارية لحلف شمال الاطلنطى لم تتعرض لتفاصيل « التاكتيك » - أى الخطوات العملية ، فى الطريق الى تحقيق الهدف الشامل - وانما تركت هذه المهمة لغيرها . . تركتها لدول الاطلنطى ، الاعضاء فى الحلف المركزى - حلف بغداد سابقا - لتتولى هى - بحكم خبرتها الطويلة فى المنطقة - ترتيب الخطوات وتنسيقها ! .

واكاد أقول ان أحدا ، من هؤلاء الذين أوكلت المهمة اليهم - لم يشأ ان يضيع وقتا بعدها أو ينتظر
وانما على الفور بدأ العمل :

وخلال هذه الايام الاخيرة ، كان واضحا أن هناك ثلاث قوى ، بدأ ترتيب الخطوات بينها ، وبدأ التنسيق ، وهى :

أولا - بريطانيا وفرنسا ، وهما من أعضاء الحلف المركزى .

ثانيا - الدول الشرقية - غير العربية - من أعضاء هذا الحلف ، وخصوصا هؤلاء المهتمين بمنطقة شرق البحر الابيض ، وعلى وجه التحديد بالذات : تركيا وإيران .

ثالثا - الدول العربية ، صاحبة الارتباطات مع الغرب ، وخصوصا تلك التى تحكمها مصالح معادية لحركة التحرر السياسى والاجتماعى للشعوب العربية ، وفى مقدمتها بالطبع ، المملكة السعودية ، والمملكة الهاشمية فى الاردن ! .

واستطيع أن أقول بعد ذلك ، أن هذا الاسبوع شهد نشاطا ضخما فى الاتصالات بين هذه القوى ، وان اجتماعات ، لا عد لها ولا حصر قد تمت فى باريس ، وفى لندن ، وفى جنيف ، وأن هدف هذه الاجتماعات كان تحديد دور كل قوة من هذه القوى فى العمليات الكبيرة القادمة ! .

ومرة أخرى ، لا أستطيع القول بأن لدى صورة كاملة لخطوة هذه العمليات

ولكن أقول - كما قلت في بداية هذا الحديث ، ان لدى لمحات
خاطفة تبين فيها بعض مواقع ظل ، وبعض لمحات ضوء ! .
واعرض الآن ما عندي !.

أولا : دور بريطانيا وفرنسا

مما يبدو من لمحات الصورة حتى الآن - ان فرنسا هي التي تتصدى
لقيادة العمليات السافرة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وان بريطانيا
ما زالت تفضل أن تقوم بالدور الثاني . . الدور الخفى !

بريطانيا مما يبدو الآن - تريد أن تقوم بدور يشبه دورها في الكونجو .

وفي الكونجو ، كانت بريطانيا بين الدول التي أيدت قرار مجلس
الامن ، بضرورة انتهاء انفصال كاتنجا ، وبضرورة تحقيق وحدة
الكونجو بسلح الامم المتحدة اذا اقتضى الامر .

ومع ذلك ، كانت بريطانيا وراء هذا القناع الخارجى ، هي السند
الحقيقى لتشسيمبى

ولقد تولى « أوبراين » الدبلوماسى الايرلندى ، الذى كان ممثلا
شخصيا لهرشولد في اليزابيث فيل ، مهمة تمزيق هذا القناع الزائف
عن وجه بريطانيا ، وذلك حين استقال من عمله في الامم المتحدة ،
وبدا يكتب تجربته في الكونجو ، ويعدها للطبع في كتاب ، نشرت جريدة
الابزرقر بالفعل بعض فصوله

وملخص ما قاله أوبراين هو :

● ان بريطانيا لعبت بوجهين في ازمة الكونجو ، وكان وجهها الذى
بدا في الامم المتحدة ، غير وجهها الذى بدأ في الكونجو ذاته .

● ان المصالح البريطانية في روديسيا الشمالية ، وفي كاتنجا
ذاتها ، كانت هي القوة الفعالة ضد سياسة الامم المتحدة في الكونجو .

● ان بريطانيا ، برغم كل ماتظاهرها به ، مسئولة عن دم لومومبا،
وعن دم هرشولد ، وعن دم جنود الامم المتحدة ، وعن كل دم سال
في الكونجو .

كذلك تريد بريطانيا دورها في الشرق الاوسط .

ان بريطانيا لا تريد أن تظهر ، وانما تريد أن تؤثر من خلف قناع
ومن وراء ستار !.

أما فرنسا فليس ذلك حالها
فرنسا لا يهمها أن تظهر او تستتر .

ومن هنا أخذت على عاتقها قيادة العمليات السافرة .

وكان تصور فرنسا الأولى ، هو أن أحداث سوريا سوف يمتد أثرها الى مصر خصوصا اذا امكن تحريك الحوادث في داخل مصر ولو بقدر محدود ، وهذا ما حاولته بعثة الممثلات الفرنسية التي انكشف امرها

ولكن فرنسا تتصور الآن انها في حاجة الى أكثر من قدر محدود من الحركة في مصر اذا أرادت أن تنجح

وفرنسا تتمنى لو استطاعت أن تهز الاوضاع في مصر بأسرع ما تستطيع لعدة أسباب .

بينها أن تضرب وأن تنتقم من القاهرة التي تعتبرها مسئولة عن الخسوف الذي اصاب مصالح فرنسا ، ووجودها ، وهيبتها في الشرق الاوسط .

وبينها أن يتم ذلك قبل أن تضطر الى قبول حل معقول للمشكلة الجزائرية ، وليس سرا أن هناك اتصالات تجرى الآن بغية الوصول الى حل ، وتتصور فرنسا انها لو هزت الاوضاع في القاهرة ، فان تسوية الجزائر يمكن أن تكون أكثر ملاءمة لها ، كذلك فان حكومة الجزائر الوطنية القادمة ، سوف تفقد سندها الاكبر ، قبل أن تتولى مسئولياتها الرسمية على الارض الجزائرية

. وبينها أن اسرائيل تضغط على فرنسا ، وفي ظن اسرائيل ، أن المشكلة الجزائرية اذا انتهت ، بسلم شريف ، فان فرنسا لا تبقى لها مع اسرائيل مصلحة ، ومن ثم فان فرنسا مسئولة أدبيا أمام اسرائيل ، أن تؤمنها ضد الخطر الحقيقي عليها من القاهرة قبل أن ينتهي الصدام بين العرب وبين فرنسا بسبب الجزائر .

من هنا ، تتولى فرنسا الآن قيادة العمليات السافرة ضد مصر . ولكن ما الذي تستطيعه فرنسا ؟

ان الحوادث أظهرت أن فرنسا كانت غارقة في الوهم حين تصورت أن ما حدث في سوريا يمكن أن يكون له تأثير تلقائي على الاوضاع في مصر !.

تماما كما كانت غارقة في الوهم حين تصورت أن مجرد توجيهه انذار بريطاني - فرنسي الى مصر سنة ١٩٥٦ ، سوف يرغم مصر على الاستسلام ، ثم حين تصورت أن مجرد الانزال العسكري في بور سعيد سوف يرغم مصر على الركوع وطلب العفو والرحمة !.

مصر سنة ١٩٥٦ ، ومصر سنة ١٩٦١ . خيبت آمال فرنسا .
واذن ما الذى يمكن عمله ؟

بعد أن فشل العدوان العسكرى سنة ١٩٥٦ ، حاولت فرنسا ان
تدرس احتمالات خطة أخرى لتحقيق أهدافها
وليست الان سرا ، خطة فرنسا ، التى كانت تهدف الى اسقاط
كتيبة مظلات على بيت الرئيس جمال عبد الناصر ، واقتحام البيت
واغتياله ، وليحدث بعدها ما يحدث !.

وعدت فرنسا عن خطتها يومها لان الخطة تسربت ، بل ونشرت فى
بعض الصحف الفرنسية ذاتها !.

ونحن الآن فى مثل هذا الوضع تماما ، مع اختلاف فى التفاصيل
فرنسا الآن ، بعد أن خيبت مصر آمالها ، عادت الى حيث كانت بعد
خيبتها الاولى فى أعقاب العدوان !.

بعد خيبة سنة ١٩٥٦ ، لم يعد باقيا أمامها غير الاغتيال .
وبعد خيبة سنة ١٩٦١ ، لم يعد باقيا - أيضا - غير الاغتيال !.

وفى باريس وفى جنيف طوال الايام الاخيرة كان هناك نشاط فرنسى
سرى لا حد له ، واعدد بعض ما تلقيت من أوجه هذا النشاط
لكى تبين حدوده ومقاصده .

١ - ان المخابرات الفرنسية ، لم تكف بما رصدته من أسـوال
للعمل فى مصر ، بل راحت تجمع الاموال ممن يهمهم أن تنجح خطتها
فى مصر .

المصالح البلجيكية المرورة مما لقيته من الجمهورية العربية المتحدة
فى الكونجو ... دفعت !

بعض البنوك الفرنسية ، وخصوصا تلك التى تسيطر عليها
العناصر اليهودية كبنك روتشيلد ... دفعت !.

٢ - بعد اتصالات فى جنيف ، طار الى بيروت ، والى دمشق والى
عمان ، عدد من العرب المتعاونين مع فرنسا ، والذين باعوا أنفسهم
لها ، يستطلعون الجو ، ويبحثون الاحتمالات !.

٣ - وصل الامر فى باريس ، الى حد أنه وضعت قائمة محددة ،
بأسماء بعض الذين يجب الخلاص منهم فى مصر ، باغتيالهم ، وكل الذى

تشرطه فرنسا هو أن يتم الاغتيال بايد عربية ، وقد سمعت فرنسا -
بعد اتصالاتها في جنيف وبيروت ودمشق وعمان - من يقول لها : ان
ذلك يمكن تدبيره !.

ولكن ذلك ليس كل دور بريطانيا وفرنسا

بريطانيا من وراء براقع النفاق تستطيع أن تشارك في الحرب
النفسية ، عن طريق الصحف والاذاعات ضد مصر

وتستطيع اذا مكنتها الظروف أن تبشر أى ضغط اقتصادى خفى

وتستطيع - أولا وأخيرا - أن تدفع رجالها في الشرق الاوسط ،
أمثال رجلها في الكونجو ، موسى تشومبى ، وان تختفى وراءهم كما
حاولت الاختفاء وراءه .

لكنها هنا ، لن تنجح بأكثر مما نجحت هناك !

واذا كان ممثلو الامم المتحدة ذاتها ، كشفوا حقيقة بريطانيا من
وراء تشومبى ، فان أى طفل عربى قادر على أن يكشف حقيقة بريطانيا
من وراء طفلها الملك اللاعب في عمان بعيدان الكبريت يوشك أن
يحرق بها نفسه !.

وكذلك فرنسا من غير براقع تستطيع - مع نشاطها السرى - ان
تشارك في الحرب النفسية عن طريق الصحف والاذاعات ضد مصر ،
وتستطيع كذلك لو جاءت لها فرصة ، ان تضغط اقتصاديا ومن غير خفاء !.

ثانيا : دور الدول الشرقية - غير العربية - من أعضاء الحلف المركزى

تركيا ، وايران كلاهما ، لا يريد في الشرق الاوسط قوة عريضة
مؤثرة .

تركيا ، بالفرور التقليدى ، تعتقد أن الوحدة العربية اذا تحققت
سوف تجعلها دولة صغيرة في الشرق الاوسط ، بينما هى الآن في ظلها ،
أو في وهما دولته الكبرى !.

وايران ، حكايتها طويلة ، وبعيدة في التاريخ العربى على مدى قرون
سواء ماضية !.

ولقد حاولت تركيا طويلا أن تجذب مصر اليها لتشارك معها في حلف
بغداد

وكانت لعدنان مندريس - يرحمه الله - تجربة مشهورة مع جمال
عبد الناصر ، فقد بعث اليه سنة ١٩٥٤ يقترح عليه فكرة حلف دفاعى
في الشرق الاوسط

ولما رد عليه جمال عبد الناصر بأنه لا يقبل حلفا عسكريا في الشرق الاوسط غير ميثاق الضمان الجماعي العربى ، بعث مندريس رسولا الى القاهرة يقول :

« ان مصر ليست عربية ، بقدر ما ان تركيا ليست عربية .

ان العرب خانوا تركيا ، وطعنوها في ظهرها . . . وكذلك سيفعلون بمصر

ومهما يكن من امر فانى اريد عقد اجتماع بيننا للحديث في مستقبل الشرق الاوسط .

نحن نرحب بك ضيفا في انقرة اذا احببت .

واتنا على استعداد للقدوم الى القاهرة اذا لم تسمح لكم الظروف بالقدوم الى انقرة

واذا كنتم لا تريدون القدوم الى انقرة ، ولا تريدون استقبالي في القاهرة فانى اقترح اجتماعا في بلد قريب منكم يسهل عليكم المجيء اليه . . اقترح - في هذه الحالة - ان يتم اجتماعنا في ليبيا ، ولقد قمنا بجس نبض الحكومة الليبية في هذا الصدد فرحبت بأن يتم اجتماعنا على أرضها » .

وقال جمال عبد الناصر لرسول عدنان مندريس :

- اثنى ارحب بالاجتماع به في أى مكان ، لكننى اريده ان يعرف منذ البداية ان فكرة عقد حلف عسكرى مع اطراف غير عربية ، ليست موجودة على الاطلاق في برنامجى ، وليست موضع بحث في سياستنا « ولم تبق للاجتماع المقترح فائدة او جدوى .

وكان حلف بغداد بغير مصر

ويمصر سقط حلف بغداد

ثم قامت ثورة العراق سنة ١٩٥٨ فعاقبت المسؤولين عنه بحياتهم واولهم نورى السعيد .

ثم قام انقلاب جمال جورسيل في تركيا وتدلّى عدنان مندريس من جبل مشنقة !.

لكن تركيا لم تتغير ، أو بمعنى أصح ، ان حكام تركيا بعد الانقلاب ، لا يختلفون كثيرا عن حكامها قبل الانقلاب

ومن هنا لم تتغير تركيا

وايران موقفها مثل موقف تركيا فيما يتعلق بحلف بغداد

لكن الثورة التي قضت على نوري السعيد في بغداد ، والانقلاب
الذي قضى على عدنان مندريس في أنقرة ، لم يقعا بعد في طهران .

لقد كادت النهاية بالنسبة للشاه ان تجيء ، لكن المخابرات
الامريكية استطاعت أن ترتب انقلاب الجنرال زاهدي ضد حكومة
الدكتور مصدق

وبعد أن كان الشاه ، قد وصل بطائرته الهاربة الى روما
عاد الشاه مرة أخرى الى طهران .

ومضى بينابيع الدم الحار يحاول أن يغسل عرش الطاووس في قصر
«جولستان» من السوس الذي يأكل قوائمه .
وشيء ما في جمال عبد الناصر يذكر الشاه بمصدق لو أن ثورته
انتصرت

وشيء ما في جمال عبد الناصر يذكر الجماهير الايرانية بثورتها التي
سحقتها المخابرات الامريكية

وشيء ما في القليان الثوري العارم في الشرق الاوسط ، يجعل الشاه
يعيش في ضباب من القلق .

ولكن ما الذي يستطيعه جمال جورسيل ، ومحمد رضا بهلوي
في العمليات الجديدة في الشرق الاوسط ؟ .

والرد ، ليس عندهما الا نفس الدور الذي كانت حكومة كل منهما
تقوم به على أيام حلف بغداد

● الاشتراك في الحرب النفسية

● ارسال السلاح والمتسللين

● التدخل عسكريا اذا أمكن ضد أي ثورة وطنية بالقرب منها .

● الدخول في تعاون كامل مع الدول العربية المحكومة بمصالح
معادية لحركة التحرر السياسي والاقتصادي

● الاتصال - بغير تخرج - مع إسرائيل .

وفي الحوادث الاخيرة نماذج كثيرة لكل بند من هذه البنود لنشاط
تركيا وايران

● اذاعة ايران مثلاً ما زالت تذيع خرافات لمراسلها في دمشق
وبين هذه الخرافات ان القوات المصرية في سوريا قتلت ثمانين
الفا من ضباط الجيش السوري وجنوده ودفنتهم في مقبرة واحدة
ذهب اليها المراسل - على حد قول الاذاعة - ووصفها وصف
شاهد عيان ! .

● وتركيا كانت على اتصال بمركز المؤامرة على سوريا ، ويوم الانفصال ، ادخلت سلاحا ، ويوم الانفصال حركت أسطولها ليكون على استعداد اذا ما وصلت قوات عربية الى اللاذقية القريبة من شواطئها.

● وتركيا صديقة لاسرائيل ، وابن جوريون الذي مر بطهران منذ اسبوعين توقف في مطار شميران ، وركب سيارة الى بيت رئيس وزرائها « أميني » واجتمع طويلا به ، ومعهما الجنرال بختيار ، حاكم ايران العسكرى ، ورجل الشاه القوى فيها ، ورجل أمريكا أيضا .

● والعلاقات بين طهران وانقرة ، علاقات ود وصفاء ، مع ما تبقى من العروش العربية المتهاوية تحت مطارق التاريخ .

ثم أضيف الى موقف تركيا وايران سببا رئيسيا

كلاهما - بعد أن باع نفسه للغرب - يريد المنطقة العربية - بدورها - تحت نفوذ الغرب ، لان المنطقة العربية هي العمق الطبيعى وراءهما ، وهى منطقة الدفاع الحيوى عن أراضيها اذا تعرضت اراضيها يومًا لهجوم !.

ثالثا - دور الدول العربية ، صاحبة الارتباطات مع الغرب

خصوصا تلك التى تحكمها مصالح معادية لحركة التحرر السياسى والاجتماعى

ومن العجيب أن هناك تشابها واضحا فى دور صاحب الجلالة السعودية ، ودور بريطانيا

كلاهما الآن يريد أن يعمل من وراء برقع

لان كلاهما لم ينس حتى الآن تجربته الماضية القاسية التى احترقت فيها بالجمر أصابعه !

بريطانيا لم تنس تجربتها سنة ١٩٥٦ بعد فشل العدوان

وصاحب الجلالة السعودية لم ينس تجربته سنة ١٩٥٨ بعد اكتشاف محاولته لرشوة عبد الحميد السراج .

بريطانيا تحاول أن تخفى وجهها .

وصاحب الجلالة السعودية يسحب طرف عقاله على وجهه ليفعل نفس الشيء .

بريطانيا تحرك تشومبي وتظاهر بمناصرة مبادئ الامم المتحدة ،
وقرارات مجلس الامن .

وصاحب الجلالة السعودية يدفع الذهب ، ثم ينهمك بعده في عيد
حيات سبحته خشوعا لله وتبتلا !.

وكذلك من العجيب أن الشبه يتضح أيضا في دور صاحب الجلالة
الأردنية ودور فرنسا !.

كلاهما بلا برقع .

كلاهما لم يعد عنده ما يفقده

كلاهما يريد أن يحطم بسرعة ما تستطيع أصابعه أن تصل
إليه ... قبل أن تتغير الظروف ، وقبل أن تفلت الفرصة السانحة
المواتية .

وعلينا هنا ، إن تكون على استعداد لمواجهة هذا كله ..
وحدنا .. وحدنا ! .

قلتها فيما سبق .. وأقولها اليوم أيضا .

وأضيف إليها :

— لقد حاربنا كل معاركنا المنتصرة وحدنا .

كذلك كنا سنة ١٩٥٦ .

أقول كنا — وأنا أعني كل جماهير الشعوب في الأمة العربية — أما
الذين تتضارب مصالحهم مع حركة التحرر السياسي والاجتماعي ،
فهمهم ما كانوا معنا .

بعضهم كان معنا ، بالكلام وحده ، سنة ١٩٥٦

ولكن الكلام كان له مدى نعرفه ، ويعرفه العدو الذي كنا نتصدي
لقتاله أيضا .

ومن هنا كان الاعتماد عليه ارتكانا على هواء .

بل لعل موقفنا الآن — وحدنا

— خير مما كان سنة ١٩٥٦ .

كان كلام الدين تظاهروا بتأييدنا يومها ، يخدع بعضا منا ، ولكنه
لا يخدع أعداءنا .

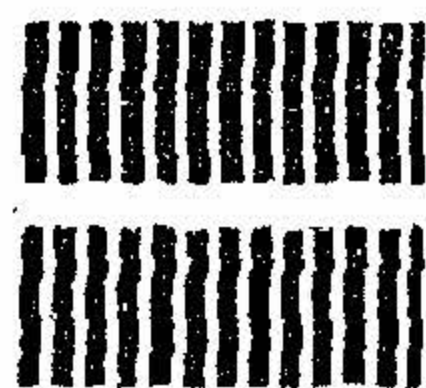
اما الآن فان انكشاف الحقيقة بلا براقع لا يدع مجالا بيننا لخدعة .
اننا وحدنا !
واكثر ما يقوينا هو ادراكنا بأننا وحدنا .
وحدنا في مواجهة الهجوم القادم ...
هجوم مؤامرات القتل ، والذهب ، والتسلل ، والكذب ،
هجوم المبرقعين يخفون ملامحهم الحقيقية .
وهجوم الذين خلعوا البراقع واقبلوا بلا حياء ... ولا شرف .



الليالي القادمة في الشرق الأوسط

على ضوء حوادث
الليلة الأخيرة من العام
الذي مضى في بيروت
من هم الذين حاولوا
الانقلاب في لبنان..؟
وما هدفهم؟

فؤاد شهاب



سوف تثبت الايام والتطورات ان محاولة الانقلاب ، التي بدأت في لبنان عند منتصف ليلة الاحد ٣٠ ديسمبر ١٩٦١ ، وانتهت بالفشل هي حدث كبير وخطير ، في سياق الحوادث المتوالية والمحتملة في الشرق الاوسط اليوم .

وليس يقلل من ضخامة ما حدث وخطورته أنه لم يعيش غير يوم واحد ، أو أنه فشل فيما قصد اليه ، أو أنه وقع في لبنان .

انما أكبر شيء فيما حدث .. هو دلالة ..

وأخطر ما فيه ، هو ما كشف عنه خارج حدود لبنان ذاته ، فان المطلقات النارية التي ومضت في بيروت ليلة اليوم الاخير من سنة ١٩٦١ كانت كمثل شعاع لمع من فناء دوار ، وسحب في دورانه بقعا من الضوء كشفت ولو للحظات خاطفة عما يجري في الظلام والغموض على امتداد المنطقة المحيطة به .

واذا كانت الحوادث قد عادت - ولو في الظاهر - الى طبيعتها في لبنان ، فان دلالتها ما زالت معنا .

واذا كان اطلاق النار قد توقف ، وتوقف شعاع الفناء الدوار ، فان الرؤية التي تكشفت تحت بقع الضوء المتحركة قد اظهرت الكثير مما كان الظلام يخفيه ، ومما كان الغموض يستتره ويداريه .

وهكذا فان ما حدث في الليلة الاخيرة من سنة ١٩٦١ في بيروت سوف تكون له آثاره البعيدة على ما سوف يحدث في الليالي القادمة من سنة ١٩٦٢ ، في المنطقة العربية كلها .

ونحاول الآن متابعة بقع الضوء الخاطفة ، كما بدت امام انظارنا المبهورة تلك الليلة .. حتى نكون على استعداد لبقية الليالي .

١ - من الذى قام ، أو حاول القيام ، بالانقلاب فى لبنان ؟

والرد :

- ان احدا لا يجادل الآن فى أن الحزب القومى السورى هو الذى قام به ، ضباطه فى الجيش اللبنانى هم الذين تحركوا بمصفحاتهم من صور زحفا على بيروت على طول سبعين كيلو مترا ، ثم جماعاته المسلحة من المدنيين هم الذين اعتقلوا فى العاصمة اللبنانية نفسها ، وقبل أن تصل اليها المصفحات ، معظم قادة الجيش فى بيوتهم ، وهم الذين احتلوا وزارة البرق والبريد وهاجموا وزارة الدفاع .

والحزب القومى السورى هو أداة من أدوات الاستعمار البريطانى فى الشرق الاوسط ، وكان هذا الحزب ، والاسرة الهاشمية فى بغداد - سابقا - وعمان بعدها ، هما دعامة الارتكاز فى تجربة حلف بغداد الشهير .

وكان هذا الحزب أيضا ، هو وسيلة العمل الاولى لحساب حلف بغداد ضد الحكم الوطنى فى سوريا قبل الوحدة ، فى سنة ١٩٥٧ .

ومع أن هذه الحقيقة أصبحت من البدهيات المعروفة فى الشرق العربى ، بحيث لم تعد تحتاج الى دليل ، الا اننى هنا - تدعيما لسياق الحديث كله وربطاً لوقائعه - أضيف الدليل من الوثائق السرية لحلف بغداد .

ومعى هذه اللحظة تقرير على ورق السفارة العراقية فى بيروت ، موجه الى مديرية الاستخبارات العسكرية فى بغداد ، تاريخه ١٨ مايو ١٩٥٧ ، بخط يد العقيد صالح مهدي السامرائى الملحق العسكرى العراقى فى بيروت وقتها - وهو يكشف أسلوب الحزب القومى السورى كما يكشف ارتباطاته - ونص هذا التقرير كما يلى بالحرف الواحد :

السفارة العراقية

بيروت

١٩٥٧/٥/١٨

١١ - ٣

مديرية الاستخبارات العسكرية

الموضوع : موقف الحزب القومى

١ - اجتمعت بعد عودتى من بغداد بالاستاذ اسعد الاشقر رئيس الحزب بتاريخ ١٩٥٧/٣/٢١ وعالجنا الامور التالية :

أ - ما ينبغي للحزب أن يعمل خلال أزمة دمشق ، بأن يكون مستعدا للقيام بحركة عند أول إشارة ، وفي أول فرصة تسنح ، وذلك على ضوء التعليمات التي زودتموني بها .

ب - دفعت له مبلغ ١١٢٢٠٠ ليرة من أصل ٢٠٠٠٠٠ وذلك من مخصصاته لشهر شباط .

ج - طلبت منه اعداد التخمينات المطلوبة لخطة طويلة الامد لمدة سنة وذلك اذا تقرر تسريح الحشود والابقاء على النخبة الممتازة منهم فقط .

د - مراقبة لتطورات الموقف بدمشق عن كثب والاتصال بي يوميا للمذاكرة .

هـ - عدم اطلاع أحد من الحزب على وجودي في بيروت وعدم اتصال أحد منهم بي والاكتفاء على اتصالنا ببعضنا فقط .

٢ - اتصل بي في اليوم الثاني ١٩٥٧/٣/٢٢ وأعلمني أن ممثل الرصافة - الاسم الرمزي للسفارة لأمريكية - اتصل بهم وكان مستاء من الحالة بدمشق لعدم تنفيذ التنقلات ، وأن ثقتهم بالمقدم أمين النفوري بدأت تتزعزع حيث لم يقفوا على اتجاهه الصحيح .

٣ - اتصل بي في يوم ١٩٥٧/٣/٢٤ وأعلمني أن ممثل الرصافة لا زال ممتعضا من الحالة بدمشق وهو يفتش عن الحلول ، وهنا عاتبه لابقائهم الحزب بعيدا مهما في مثل هذه الظروف التي كان من الممكن استغلالها استغلالا كليا ، كما عاتبه لعدم دفع مخصصات الحشود منذ شهرين . فسأله الرصافي . . ألم يتصل بكم العراق ، أو يدفع لكم شيئا ؟ وكم دفع ؟ - فأجاب الاستاذ أسد بالنفي وكان القصد من ذلك اقناعه بأن العراق لم يبد أي نشاط خلال هذه الفترة كما أعلمه بأنهم فقدوا الاتصال مع العراق منذ شهر تقريبا لسفر العقيد صالح الى بغداد - والغرض من ذلك لئلا يتوهم ممثل الرصافة بأن العراق انفرد واتصل بالحزب « وهذا ما كنا قد اتفقنا عليه » .

٤ - الحشود .

١ - بقي لدى الحزب اليوم «بعد التسريجات الجزئية» العدد التالي :

٥٨٣ تحت السلاح في المخيمات

٥٦ في بيروت كدوريات .

١٠٠ في سوريا ولبنان جاهزون

ب - في حالة القرار على التسريح اتفقنا على ابقاء ١٠٠ فدائي فقط يختارون من النخبة الممتازة ، ومخيم واحد ليقوم بتدريب الاشخاص الذين سيدعون بواجبات متعاقبة كل منها ٥٠٠ لمدة ١٥ يوما لفرض تجديد تدريبهم وبصورة مستمرة وعلى هذا الاساس تكون التخمينات الشهرية المقبلة كما يلي :

الاولا - النفقات الشهرية لـ ١٠٠ شخص ٢٥٠ ليرة لكل منهم .

أى ٢٥٠٠٠ ليرة لبنانية

ثانيا - نفقات عوائد المحكومين ١٥٠ عائلة لكل منها ٢٠٠ ليرة

أى ٣٠٠٠٠ ليرة لبنانية

ثالثا - نفقات المخيم الدائم للتدريب ٥٠٠ بمعدل ٥٠ ليرة .

أى ٢٥٠٠٠ ليرة لبنانية

رابعا - نفقات تسيير أعمال الحزب .

أى ٢٠٠٠٠ ليرة لبنانية

خامسا - نفقات مكتب الصحافة اللبنانية وشبكة استقاء المعلومات

أى ٢٠٠٠٠ ليرة لبنانية

سادسا - نفقات عائلة المرشد والعلويين والدروز .

أى ٣٠٠٠٠ ليرة لبنانية

المجموع ١٥٠.٠٠٠ ليرة لبنانية

سابعا - يضاف اليها نفقات الضباط الاحرار - «حركة بهذا الاسم كانت تعمل لحساب العراق وقتها برئاسة الضابط السوري محمد معروف» حيث لديهم حاليا ١٤٨ شخصا تحت التدريب سيرحون معهم تبقى منهم ٣٠ فقط ويكفى لهؤلاء شهريا ١٠.٠٠٠ فيكون المجموع الكلى لشهر هو ١٦٠.٠٠٠ ليرة .

ج - في حالة القرار على تسريحهم يرجى اخذ النقاط التالية بنظر الاعتبار

أولا - منحهم مخصصاتهم كاملة لشهر مارث وما تبقى لهم من شهر شباط مع العلم بأن ما عندي الآن يكفي لتسديد حصتنا نحن فلا

احتاج لمبلغ اضافى اذا دفع الرصفي حصته لشهرى شباط ومارث ودفع الكرخى - ممثل السفارة البريطانية - حصته لشهر مارث .

ثانيا - كيفية معالجة مخازن المهمات فى لبنان وسوريا تحوطا لما قد ينجم من ملابسات فى المستقبل .

ثالثا : كيفية تنسيق التعاون المستمر بين الحزب والضباط الاحرار وبيت المرشد والدروز - ذلك التعاون الذى لا يمكن ان يتم الا عن طريقنا .

يرجى التفضل بالاطلاع واناؤنا ما تنسبوناه .

امضاء

صالح مهدي السامرائي
الملحق العسكري

انتهت الوثيقة .

وما اظن انه قد بقى بعدها مجال لشك او تردد .

انها وثيقة قاطعة ترسم صورة كاملة لنشاط الحزب الارهابي ، ولمصادر تمويله ، ولحجم هذا التمويل الذى يصل شهريا الى ما قيمته خمسة وثلاثين الفا من الجنيهات .

واذن :

فان الحزب القومى السوري الذى قام بمحاولة الانقلاب هذا الاسبوع فى لبنان هو أداة من أدوات حلف بغداد ، أداة من أدوات الانجليز أولا - كما تنطق بذلك هذه الوثيقة التى عثر عليها فى خزانة مكتب نوري السعيد - ثم هو ثانيا - بمال حلف بغداد يعمل وفى تنفيذ خطط هذا الحلف نشاطه كله .

٢ - لماذا تجرى محاولة الانقلاب الان فى لبنان ؟

والرد :

ان لبنان فى حد ذاته لا يمكن ان يكون هدفا لانقلاب .

لبنان بلد صغير ، ليست فى قلبه ثروة ، وليست له قيمة استراتيجية الا ان يكون رأس جسر على حافة المنطقة .

ثم ان لبنان نفسه ليس قوة فى الصراع المخيف فى الشرق العربى الآن ، وانما لبنان اقرب الى ان يكون ميدانا لهذا الصراع ، ونقطة مواجهة بين المشتركين فيه ! .

واذن فالذى يريد السيطرة الكاملة على لبنان اليوم لا يستهدف
الجبل ، وانما يستهدف ما وراء الجبل ! .

يريد رأس الجسر فى الجبل ليواصل الزحف بعدها .

يريد الجبل معبرا وممرأ ومهبطا الى السهول والصحارى الممتدة
عند قدميه ! .

هذه قيمة لبنان .

ومنها يصبح واضحا أن محاولة الانقلاب فى لبنان انما هى جزء
من خطة أوسع من حدود لبنان .

نحن على هذا الاساس أمام خطة استعمارية . وهدف هذه الخطة
أكبر وأخطر من لبنان .

**٣ - ليس للطريقة التى جرت بها المحاولة فى لبنان ، وتوقيتها معنى
خاص ؟**

والرد :

لها من غير جدال ، فليس هناك شئ يجرى اعتباطا ، وليست
الصدف البريئة هى التى تنظم الانقلابات المسلحة ، وتفري بالعنف
والارهاب والقتل ! ..

واذن ما هو معناها .. ما هو معنى الطريقة ، وما هو معنى
التوقيت ؟

الطريقة جريئة بالغة الجرأة لسببين :

أولهما - لحدوثها فى لبنان برغم الاوضاع الخاصة للبنان ودقة
الميزان فيه .

ثانيهما - للاندفاع المكشوف الذى اتسمت به العملية ، سواء فى
تحريك قوات من الجيش ، أو فى إنزال جماعات من المسلحين المدنيين الى
قلب بيروت قبل وصول المصفحات المتمردة اليها .

ولا بد لنا هنا أن نسأل أيضا :

- لماذا يدبر انقلاب بهذا الشكل الجريء ضد حكومة لبنان ، مع
أن حكومة لبنان تحاول التمسك بحيادها فى الصراع الدائر فى الشرق
الاوسط - بل وتكاد تنحاز فيه أحيانا تحت ضغط الغرب اى اشارا
للسلامة ؟

والاجابة على هذا السؤال تجرنا الى معنى التوقيت في محاولة الانقلاب في لبنان ..

ذلك انه لا يمكن أن يكون الاقدام على محاولة قلب حكومة -تحاول التمسك بصداقة الغرب تحت كل الظروف - الا دليلا على أن الذين يريدون الانقلاب يريدون المضي في تنفيذ خطتهم بسرعة ، ولا يهمهم في هذه السرعة أن يدوسوا من لا يعادونهم .. لكي يصلوا بأسرع ما يمكن بعدهم الى الذين يناصبونهم العداة .

والذين يتصورون أن العملية كلها كانت اشبه ما تكون بمقامرة يائسة ، انما يقعون أسرى لنواياهم الطيبة التي ينفردون بها وحدهم .

ذلك أن محاولة الانقلاب في لبنان كادت أن تحقق كل خطتها كاملة .

● كان من خطتها أن تعتقل كل قادة الجيش اللبناني . واعتقلتهم .

● وكان من خطتها أن تسيطر على وسائل المواصلات واستطاعت أن تقتحم مبنى وزارة البرق والبريد وأن تتحكم فيها لبضع ساعات .

● وكان من خطتها أن تحتل وزارة الدفاع ، وتمكنت بالفعل من الدخول ووصلت الى الطابق الاول ، ثم اشتبكت في معركة بين الدور الاول والدور الثاني ، حتى تغير الموقف بوصول مصفحات الشرطة العسكرية الموالية للحكومة .

● وكان من خطتها أن تكون مستعدة في باقى أنحاء لبنان ، وكانت دورياتها المسلحة رابضة في كثير من قرى الجبل .

كادت الخطة أن تتحقق ، لولا معجزة .

لولا معجزة المقاومة في وزارة الدفاع ، ومعجزة وجود خط تليفونى نسى المتآمرون أن يقطعوه فتم الاتصال بواسطته مع الشرطة العسكرية .

وثمة من يقول اليوم ، أنه حتى لو كانت الخطة العسكرية نجحت في السيطرة على قلب بيروت ، فلقد كان الفشل ينتظرها من موقف العناصر الوطنية في الشعب اللبناني ، ولقد كانت جموع من هذا الشعب تتجمع فعلا في غرب بيروت عند ساعات الصباح الاولى من يوم الانقلاب .

والرد أن الخطة كانت مستعدة لمثل هذا الاحتمال ايضا ، وكان الاسطول البريطانى ، الذى بدأ قبلها بأيام وكأنه يتسكع في البحر الابيض في انتظار شيء غير معروف - على استعداد للتدخل في أى ثانية - تحت ستار الحيلولة دون احتدام حرب أهلية في لبنان - كما تدخل الاسطول الأمريكى في يوليو سنة ١٩٥٨ لنفس السبب ! .

ولقد كان من باب المعجزات - كما قلت - ان الخطة فشلت، وأن التدبير اختل ، وأن أمورا كثيرة - غير الخطة نفسها - تكشف .

● تكشف أولا أن الذين قضوا السنين يتهمون الجمهور - العربية المتحدة بالتآمر ، هم المتآمرون الذين ضبطوا وأيديهم مخضبة بالدماء !.

● تكشف ثانيا أن الذين شنوا الحملات علينا بعد الحملات يقولون أننا لا نؤمن بالديمقراطية هم الذين لا سلاح لهم غير الارهاب .

● تكشف ثالثا أن الذين طالما حاولوا تأليب شعب لبنان علينا ، وتصويرنا أمامه بصورة من يضيق ذرعا بحياده ، هم الذين فقدوا صبرهم تجاه حياد لبنان واستقلاله .

ومع ذلك فماذا كان موقفهم بعد أن فشلت الخطة ، وظهر من أمرها كل خبيء ومستور ؟

حاولت لندن رأس المؤامرة أن تسدل على كل ما حدث في لبنان ستارا من الصمت ، وكأن شيئا في لبنان لم يحدث !

ومنذ أسابيع قبض في القاهرة على بعض الافراد ، وإذا الخبر في الصحف الاولى وفي صدر الاذاعات في بريطانيا ، وكأن القيامة هنا قامت وكان يوم الحشر قد جاء .

وفي هذا الاسبوع ... محاولة انقلاب مسلح في لبنان ، وقتلى في المشوارع ، ومعارك في قرى الجبل .. واعتقالات وصل عددها حتى الآن الى أكثر من الفين .. ومع ذلك فجرائد بريطانيا لم يصل اليها الخبر الا بالكاد .. واذاعاتها تحاول تصوير الامر وكأنه مما يجري في لبنان كل يوم .. كل صباح !.

هذا موقف لندن رأس المؤامرة .

وذيلها ، ذيل المؤامرة وذيل بريطانيا في عمان ، صاحب الجلالة زوج السيدة انطوانيت جاردنر - لم يستح أن يمسك التليفون من قصره ويطلب اللواء شهاب رئيس جمهورية لبنان يطمئن منه بنفسه على الاحوال ، بينما السفارة الاردنية في بيروت كانت من قواعد المؤامرة في لبنان ، وبينما بعض المتسللين الاردنيين قد قبض عليهم بالملابس الرسمية لميليشيا الحزب القومي السوري .

هي خطة بريطانية استعمارية .

وهي تمتد وراء حدود لبنان وان كانت خطوتها الاخيرة قد وقعت في لبنان

وهى خطة جريئة لا يتردد القائمون بها أمام أى اعتبار .. خطة دموية تريد أن تصل الى أهدافها بغض النظر عن المظاهر ، وعن الاوضاع ، وعن القيم والاخلاق .

كل ما تريده هو أن تحقق غرضها .. وبأسرع ما تقدر عليه .

{ ما هو مبرر العجلة الى هذا الحد ؟

والرد :

انه من عجب أن الدين ضبطوا متلبسين في بيروت بمحاولة الانقلاب الدموي ، هم نفس العناصر التى أشارت اليها أصابع الاتهام قبلها بشهور في دمشق .

الحزب السورى القومى دوره في سوريا معروف ، بل ان الوثيقة التى أوردتها في مقدمة هذا الحديث كانت كلها منصبة على نشاط هذا الحزب في سوريا ذاتها قبل غيرها من البلدان العربية .

وصاحب الجلالة زوج السيدة انطوانيت جاردنر دوره في سوريا معروف لا يحتاج الى مزيد من كلام .

وكلاهما ، الحزب السورى القومى ، وصاحب الجلالة ، من أدوات حلف بغداد البريطانى .

واذن الفرسان الثلاثة في محاولة بيروت ، كانوا هم نفس الفرسان الثلاثة في محاولة دمشق قبلها ، ومعهم المرجعية .

ولو عدت لوثائق حلف بغداد السرية لوجدت الكثير مما يكشف دور هذه الاطراف معا في التآمر على سوريا ، وربطها بعجلة حلف بغداد عن طريق اتحادها مع العراق تحت التاج الهاشمى في ذلك الوقت .

ومع ذلك اكتفى بوثيقة واحدة ، هى خطاب كتبه الدكتور فاضل الجمالى صديق نورى السعيد ومعاونه .

ولقد كان هذا الخطاب في مكتب نورى السعيد ، وان كان فاضل الجمالى قد كتبه لارشيد العمرى الذى كان يومها رئيسا لوزراء العراق .

والخطاب الذى كتبه فاضل الجمالى من برمانا في لبنان ، الى رئيس وزراء العراق ، يكشف الكثير مما أريد أن أقول . وفيما يلى نصه الحرفى :

أوتيل الجبل الاخضر
برمانا

في ١٩٥٤/٦/٩

فخامة الاخ الاعز ابا عصام :

أشواق واحترامات وبعد فقد اجتمع عندي ليلة أمس الاثنين ١٩٥٤/٦/٨ السيد صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا ومعه السيد ميخائيل اليان بحضور أحمد مختار باشا ودام الاجتماع الى الواحدة ليلا وها أنا الخص لفخامتكم الوضع على الوجه التالى :

١ - الجيش السورى هو مصدر عدم الاستقرار وضعف الحكومة ازاءه يجعله سيد الموقف .

٢ - الجيش السورى فيه عناصر تخشى الاتحاد وتفهم منه أن العراق سيجرد المضباط من سلطاتهم .

٣ - الوزارة السورية الحالية ضعيفة وغير متجانسة ويؤمل تقويتها قبل الانتخابات اذا لم يحدث ما لم يكن بالحسبان .

٤ - السعوديون يدبرون خطة لاحداث انقلاب والمجيء بشكرى القوتلى الى سورية .

٥ - صبرى العسلى ينتقد سياسة الحكومة العراقية فى الماضى فى اعتمادها على حزب الشعب ثم أنه انتقد اعتماد العراق على الشيخ معروف الدواليبى وعلى غيره من الشخصيات ومن رايه أن العراق اذا كان جادا فيجب أن يعتمد هو ومعه ميخائيل اليان وأن فى ايمانه بالاتحاد واخلاصه له خير ضمان ومع ذلك فهو لا يضمن النجاح فورا ولكنه سيكرس حياته وجهوده لتحقيق اهدافه القومية . وانه وان كانت العلاقات بينه وبين القوتلى طيبة الا أنه لا يتفق معه على السياسة السعودية وموضوع الاتحاد . وسيبقى يناضل فى سبيل الاتحاد .

معالجة الموقف

١ - استعرضنا امكان ارسال جيش عراقى فلم نجد امكانا لذلك فلا توجد اتفاقية بين سورية والعراق لمجيء الجيش العراقى لحفظ النظام الداخلى ولا توجد اكثرية وزارية تجرؤ على القيام بهذه الاتفاقية حتى ولو كانت سرية كما أن الاتاسى رئيس الجمهورية بدوره يتخوف من توقيع طلب بذلك . ولا توجد امكانية فى الوقت الحاضر لتبادل الجيشين العراقى والسورى لغرض التدريب والمناورات لان الجيش السورى لا يطمئن لذلك ولا يمكن استغلال العدوان الاسرائيلى على سورية لان ذلك قد يؤدى الى صراع دولى يكون الغلب فيه لاسرائيل ولذلك فارسال جيش عراقى لحماية سورية من اسرائيل يجب ان ينتظر

اعتداء اسرائيليا خطيرا . ومع كل هذا فالجماعة يتركون الامر لنا ان وجدنا طريقة لارسال الجيش فذلك افضل الوسائط واسرعها لانجاز الاتحاد .

٢ - اذا لم يمكن ارسال جيش عراقي فيجب العمل على كسب الجيش السوري وتكثيله الى جانب الحكومة . وهنا يتوقع السيد صبرى مساعدات مالية . ثم لا بد من القيام بحملة انتخابية اتحادية لكسب الموقف بالاصول البرلمانية .

٣ - يرى السيد صبرى ضرورة الاعتماد عليه وحده وعدم القيام ببعضرة الدراهم والجهود هنا وهناك . . اننا نؤيد الاعتماد على صبرى في المستقبل وجعله مركز الثقل للحركة ولا يمنع هذا الاتصال بالآخرين على شرط أن يتم التناسق في العمل ويطلع صبرى على ما تقوم به من جهود .

٤ - قبل انهاء الجلسة قلت لصبرى أريد ان يكون واضحا ماذا نقصد بالاتحاد فقال اتحاد في الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية قلت ولكن المهم لدينا رئاسة الاتحاد فنحن لا يسعنا دخول اتحاد ليس ملك العراق رئيسه واذ ذاك يصبح القلق الذي يساور سورية بسبب نظامها الجمهورى يؤثر على مصير العراق أيضا وفي هذا ضرر بليغ ما فوقه ضرر على المصلحة العربية فوافق على أن يكون ملك العراق رئيسا للاتحاد .

٥ - أنهى معالى السيد بابان الجلسة بقوله نحن يهنا تقوية الحكومة القائمة في سورية ودعم العسلى بكل طريقة ممكنة ولذلك فعلى العسلى ان يتقدم بطلباته واقتراحاته ونحن دوما مستعدون لانجاز ما نستطيع انجازه . انتهت الجلسة .

زارنى قبل أمس الاول السيد عدنان الاتاسى وحذرني من اندفاعات حسنى البرازى وتصرفاته وقدم الى مسودة مشروعين للاتحاد الواحدة على أساس الفدراسيون أى تكوين دولة اتحادية واحدة والثانى على أساس الكونفدراسيون أى اتحاد مع بقاء كيان الدولتين . المسودتان معى وهما لم يعرضا على أحد من رجال سورية بعد .

أرجو أن ترفعوا احترامى واجلالى لسيدى صاحب الجلالة الملك وسمو ولى العهد المعظمين وتطلعوهما على محتويات الكتاب . أشواقى لكم وللأخوان .

والى الملتقى .

ومن الغريب أن هذه الوثيقة تبدو وكأنها قد كتبت اليوم .
العوامل نفس العوامل ، والمال نفس السلاح ، والرجال نفس الرجال ،
وان اختلف الإطار العام قليلا ، واختلفت معه بعض التفاصيل .
والمهم هنا هو :

- ان الذين قاموا بمحاولة الانقلاب في لبنان هذا الاسبوع
 - هم نفس الذين حركوا الانقلاب في دمشق منذ أسابيع
 - وهم نفس الاعوان الذين يستعملهم الاستعمار ، ولم يعثر في المنطقة على غيرهم رغم مضي السنين .
- ولكن ما الذى يفسر هنا ما أشرت اليه في السؤال الذى استطردت منه الى هذا كله ، وهو لماذا العجلة الى هذا الحد ؟
- وخريطة الشرق الاوسط تكفينى عن الجواب .
- ان الذى تحرك في لبنان يريد ان يثبت الاوضاع في سوريا بتأمين المؤخرة الطبيعية لها عند الجبل ، ويريد ان يكون الجبل نقطة ارتكاز للانقضاض اذا دعا الامر .
 - كذلك فان الذى تحرك في لبنان ، يريد اذا ما استطاع تثبيت الاوضاع الجديدة في سوريا - أن يواصل زحفه بعد سوريا آمنا الى خطواته المقبلة .

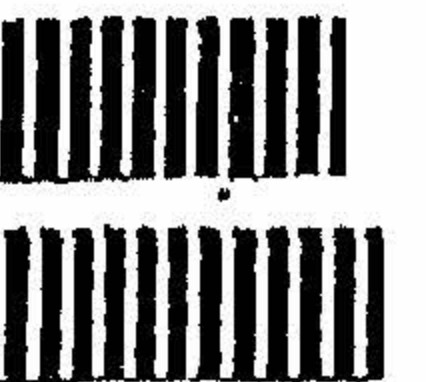
ولقد كنت اكتب السطور الاخيرة في هذا الحديث عندما تلقيت رسالة من داخل الاردن تسلمت الى عن طريق بيروت .
وفي الرسالة سطور تقول :

«جرت في الاسبوع الاخير حركة حشد عسكري واضحة عند محطة هـ ، وهى محطة أنابيب البترول الواقعة على حدود الاردن مع العراق ، والقوة الموجودة هناك الآن بينها مائة وثلاثون دبابة من طراز شيرمان حصل عليها الملك حسين أخيرا من بريطانيا » .

ونقلت الرسالة التى جاءتني الى هذا الموضع من هذه السطور واعتبرت اننى وصلت الى نهاية هذا الحديث .

مرحلة الصراخ والوضوح

ه نقط لا بد لنا أن
نضعها على الحروف
التردد الآن هرب..
وليس هناك مجال
للهرب
القصة العجيبة من
أول عراف النجوم..
إلى قصائد الشعر



ليس هناك شيء يحتاجه النضال العربى الان مثل الصراحة والوضوح ..

وليس هناك شيء تحتاجه الجمهورية العربية المتحدة ، قاعدة هذا النضال وقوته الدفعة ، مثل نفس الصراحة والوضوح .

فلقد وصل النضال العربى الان ، فى حركته الدائبة نحو الحرية والاشتراكية والوحدة ، الى مرحلة لا يمكن مواجهتها بالاسلوب الديبلوماسى ولا يمكن تفطية طبيعتها بالمدارة والسكوت وانتظار تطورات الاحداث ..

ان اللغة الدبلوماسية الان تمويج للمعركة .

والمدارة والسكوت معناهما ترك القضايا الاساسية فى نضالنا بين الغموض ووسط الضباب ..

والانتظار استسلام يضع زمام المبادرة فى يد غيرنا ، يعطيه قدرة الفعل بقدر ما يستطيع ، ولا يترك فى ايدينا غير رد الفعل وهو موقف سلبي مهما بلغت قدرتنا فيه واستطاعتنا .

وثمة حروف يجب أن نضع فوقها النقط على الفور ، وأن نضع تحتها الخطوط توكيدا لقيمتها ، وتعميقا لمعناها .

أولا - لابد لنا أن نفهم تماما ومن غير لبس أو شك ، أن عروبة مصر أزلية ، وأنها حقيقة تاريخ ، وحقيقة مصر ، ولسنا بذلك نتبرا من مصر الفرعونية ، ولا كنا كمن ينكر مراحل النمو والتطور .

ليس هناك تعارض ولا تصادم ، بين مصر الفرعونية وبين مصر العربية وانما مصر العربية هى امتداد لمصر الفرعونية ، تماما كما أن أى رجل منا الان ، هو امتداد طبيعى للطفل الذى كانه منذ سنوات .

والذين يتصورون أن الفرعونية تهمة يرمونها بها اليوم ، يقعون في خطأ فادح ، فليست الفرعونية تهمة ، وانما هي شرف ، ومصر الفرعونية هي صانعة الحضارة الانسانية الاولى ومنها انتقلت مشاعل النور الى اثينا والى روما .

وانا اعلم انه بيتنا هنا من تأخذهم العزة عندما يسمعون أن الفرعونية تهمة توجه لنا الان من بعض الذين لا تاريخ لهم منذ ان كانوا قرودا في الماضي السحيق للجنس البشرى ، حتى اصبحوا فجأة في عداد البشر - ولو بحكم مجرد الانتماء للنوع - في القرن العشرين .

بيننا هنا من تأخذهم العزة فيقولون : ليكن نحن فراعنة ، وسنبقى فراعنة ، واذهبوا انتم الى حيث تشاءون !

وبيننا هنا من تأخذهم العزة فيقولون : ما الذى تساوونه بدوننا نحن هنا سبعة وعشرون مليونا ، ودولة قوية وشعب يتحرك ، لم تكونوا قبل حركته شيئا الا مجموعة قبائل يحكمها وكلاء المستعمر من امثال كوكس ولورانس وفيلبي وجلوب ، او عملاء المستعمرين من امثال عبد الله ونورى السعيد وحسين بن طلال ! .. وكلا النظرتين خطأ ..

وليس بغضبة الكبرياء تحدد الشعوب دورها في صنع التاريخ ،

ان عروبة مصر لا ينبغي ان تكون موضع مناقشة ، ولا ينبغي ان تؤثر في حقيقتها الازلية غضبات الكبرياء ، وليست عروبة مصر ملك القروود والوكلاء والعملاء يمنحونها لنا بارادتهم .. اذا كانت لهم ارادة ..

والانفعال العاطفى في مواجهة مثل هذه الجملات علينا ، هو ضياع في الوهم ، ونسيان للاصول وللجذور . والاصول والجذور هي أن الشعوب العربية ، وشعب مصر بينها ، هي شعوب امة واحدة .

تاريخها الواحد اعطاها وحدة الضمير .. وحدة القلب .

ولفتها الواحد اعطتها وحدة الفكر .. وحدة العقل .

وامتدادها الجغرافى المتصل اعطاها وحدة المصير .. وحدة الامن .

ولا يملك احد أن يمزق لمصر قلبها وعقلها واملها ، بل ولا تملك مصر ذاتها ان تفعل ذلك بنفسها .

ولقد يحاول الاستعمار .. وانه ليحاول الان فعلا ..

ولقد يجد الاستعمار من يخدمون مقاصده . . . وأنهم لخدمونها
الان فعلا . .

ولكن ذلك شيء يجب أن نتصدى له بوعى ، وأن نهزمه بتصميم

ثانيا - لابد لنا في هذه المرحلة من نضالنا - مرحلة طلب العدل
للإنسان العربى - مرحلة الاشتراكية ، أن نفرق بين شيئين :

مصر الدولة .

ومصر الثورة

مصر الدولة ، تتعامل مع جميع الحكومات العربية ، مهما كانت
أشكالها وأوضاعها ، تجلس معها في الجامعة العربية ، وفي الأمم المتحدة ،
وتعقد معها اتفاقيات الدفاع والتجارة والثقافة وغيرها من ألوان النشاط
المختلفة ، بما في ذلك تنسيق ما يمكن تنسيقه من القضايا ذات الأهمية
المشتركة في السياسة الدولية والعربية .

ولكن مصر الثورة لا يجب أن يكون تعاملها مع غير الشعوب .

وليس في هذا تدخلا منا في شئون غيرنا ، والا كنا بذلك ننقض الدعوى
الأساسية في نضالنا وهى أن الشعوب العربية هى شعوب أمة
واحدة . .

وإذا كانت مصر الدولة تعترف بالحدود في تعاملها مع الحكومات

فإن مصر الثورة لا ينبغي لها أن تتردد أمام الحدود أو تتوقف
وانما عليها أن تحمل دعوتها عبر الحدود ، وأن تبأشر دفعها
السلمى - الثورى في نفس الوقت - من أجل تحريك المستقبل العربى
الواحد .

وإذا كنا نؤمن حقيقة بالوحدة ، وإذا كنا نؤمن بوجود أمة عربية واحدة
فليس من حقنا أن نعزل أنفسنا عن نضال غيرنا من أبناء أمتنا .

في هذه الحالة ، لاتصبح مصر الثورة هى حكومة القاهرة ، وانما مصر
الثورة تصبح بمثابة الحزب التقدمى ، داخل اطار الأمة العربية ، وعليها
أن تمد يدها الى جميع العناصر التقدمية في الأمة وأن تقف معها صراحة
وان تساندها ، وان تساعدتها .

ولقد يكون هناك من يسأل :

- ولكن هنا ، قد يقوم تعارض بين الدورين ، بين دور مصر الدولة
ودور مصر الثورة ؟ . .

وانا اقول وهذا راى لا اعرف من يوافقنى عليه ومن يختلف
معى فيه . . .

« ان الاولوية الآن يجب أن تكون لدور مصر الثورة

علينا أن نبذل كل جهدنا فى التعاون مع الحكومات ، ولكننا لا نملك
أن نمد هذا التعاون الى حد يؤثر على حركات الشعوب . . مهما
كانت النتائج ومهما كانت الصعوبات .

وعلىنا فى هذا المدى أن نكون على استعداد حتى لتجميد فعاليات
جامعة الدول العربية . . اذا اريد استخدامها كوسيلة لشل
حركاتنا . . .

بل علينا فى هذا المدى أن نكون على استعداد حتى لاحتمال قطع
العلاقات الرسمية بيننا وبين أى دولة عربية تحكمها الرجعية . . اذا اردت
هى ذلك أو جعلته شرطا تضغط به علينا لكى نوقف دعوتنا المشروعة
من أجل الحرية ولاشتراكية والوحدة لشعوب الامة العربية
جميعها .

ثالثا - لابد لنا أن نحدد بصفاء ذهن لا تشوشه عصبية اللحظة .
من هو العدو الذى نحاربه ؟ .

واذا تصور أحد على سبيل المثال أن عدونا الذى نحاربه هو
الملك حسين فى الاردن ، فانى اعتبر أن مثل هذا التصور أهانة للنضال
العربى لاتماثلها أهانة . .

واذا تصور أحد على سبيل المثال أن عدونا الذى نحاربه هو
ضباط الانقلاب فى سوريا ، فانى اعتبر هذا استهتارا بقيمة العدو الذى
نواجهه - لا يعدله استهتار . . !

أن الملك حسين ليس عدوا لنا ، فجلالته بالعرش والتاج ليس الا
موظفا بدرجة ملك فى خدمة الاستعمار البريطانى بالذات . !
عرش جلالته ، من صنع بريطانيا . .

وكل قرش فى يد جلالته ، من فضل بريطانيا .

وبالتالى فان جلالته فى فكره وفى عمله ليس الا صدى لفكر السيد
وانعكاسا لرغبته . !

هذه مسألة بديهية .

وبعدها لا يصبح الملك حسين فى ذاته عدونا .

ان عدونا هو الصوت وليس عدونا هو الصدى ، وعدونا هو الاصابع
التي تمسك الخيوط من وراء الستار في لندن وليس عدونا هو مسرح
العرائس المنصوب في عمان . !!

وكذلك ضباط الانقلاب السوري ..

ان بعضهم قبض المال ، وبعضهم قبض الضلال ..

ولكن القوة الحقيقية ، التي دفعت وراءهم - دفعت المال ودفعت
الضلال - هي قوة الرجعية .

وضباط الانقلاب السوري ، مهما بلغ من أمرهم ، هم ضحايا
للرجعية ، بالفواية او بالفباء .

وليست الضحية عدوا لنا ، وانما الجاني الاصيل هو العدو !

من هنا ، فان معركتنا بوضوح تتحدد على انها معركة ضد
الاستعمار ، وضد الرجعية .

لا هي ضد الملك حسين او عرشه وتاجه .

ولا هي ضد ضباط الانقلاب السوري او التسور والنجوم
التي تلمع سخرية منهم على اكتافهم ! ..

رابعا - لابد لنا ان نتبين بوضوح ، ان قصور الرجعية
الان هي ميدان المعركة ، ضد الاستعمار ، وضد الرجعية .

تلك طبيعة هذه المرحلة من النضال العربي .

ان شعوبنا تحركت للثورة ضد الوجود الظاهر للاستعمار ، ونجحت
في هزيمته ، وكانت معركة السويس هي الضربة القاضية التي أرغمت
الاستعمار على ان يتراجع وأن يتقهقر .

ولكن الرجعية ، احساسا منها ان الدور الاتي دورها ، فتحت له
قصورها لتحمية حتى يحميها ولتخفيه حتى يكون معها حين تدلهم
الخطوب .

وعلىنا ونحن نواجه الرجعية ، والاستعمار القابع في قصورها
ان ندرك عن اقتناع اننا منحناها كل فرصة لكي تصلح نفسها فابت .

حاولت في البداية ان توهن من عزمنا على مقاومة الاستعمار ،
فاستجمعنا عزمنا وضرينا الاستعمار في صميم مصالحه بتأميم قناة
السويس .

حاولت بعد ذلك ان تجمدنا حين سابت محاولات عزلنا الاولى
ايام مشروع ايزنهاور وفي أعقاب حرب السويس ، فلم نفعل الا ان
خلصنا ايدينا من ضغطها وتحركنا .

حاولت بعد ذلك ان تتآمر علينا بالقتل ودفعت ملايين الجنيهات
تحريرا عليه فلم نفعل الا ان كشفنا الامر امام الشعوب ، ثم غفرنا محاولة
القتل وتركناها بعيدا ومضينا ننسج خيوط الامل لنصنع منها
حياتنا الجديدة ..

ثم تجاوزت الرجعية بعد ذلك في محاولاتها ، من قتل الافراد الى
قتل الشعوب ، فدفعت الملايين سرا في سوريا ، وليس ما يجري
في سوريا الان الا عملية « شروع في قتل » .. شروع في قتل جماهير
الشعب السوري !

بعد هذا كله ، لم تعد في طاقتنا فرصة اخرى نمنحها للرجعية !
لم يعد مفر الان من ضرب الرجعية وتحطيمها ، وتنظيف بقايا الجيوب
الاستعمارية على ارضنا داخل قصورها !

لقد كنا في وقت من الاوقات نعلل النفس في امر الرجعية ، بتركها
للتطور ، وفاتنا ان ندرك ان الرجعية سوف تستमित الى اخر نفس في
صدرها لكي تقاوم التطور .

ولقد اثبتت الحوادث ان لا فائدة من محاولة تجنب الصدام الحتمي
واذا تصورت القوى التقدمية في الامة العربية انها تستطيع تفادي
الصدام الحتمي مباشرة ، وحاولت ان تتركه خلفها وتمضي ، فان عليها
ان تستعد لتتلقى في ظهرها الطعنة التي حاولت بصدرها ان تحيد
عنها ! ..

واذن فالتردد في ملاقات الصدام مواجهة .. عملية هرب .

ولقد فات الان اوان الهرب .

لم تعد المعركة تقبل الان غير المواجهة ، ولم تعد تتطلب نتيجة
غير اجراز النصر النهائي ، بتحطيم الرجعية والقضاء عليها وعلى
الاستعمار داخل قصورها !

ولا ينبغي في هذا المجال ان يخدعنا شيء ! ..

لا يجب ان يمثلا ان يخدعنا صمت القصور في الرياض ، فليس صمت
الرياض بسماعة الكريم .. وانما صمت الرياض ذلة المتآمر الخائف
وبنفس المقدار لا يجب ان يخدعنا صخب القصور في عمان ، فليس

المهم في صخب عمان هو صوت الاجراس التي تطلع من رعدان وبسمان
وانما اليد التي تحرك الاجراس في الخفاء هي الاهم !

خامساً لا بد لنا ان نحدد السلاح الذي نحارب به المعركة ،
وان يكون تحدينا له ظاهراً وخاسماً .

لا يمكن ان تكون الرشوة هي سلاحنا في المعركة لاننا نحتاج الى كل
قرش من مالتنا لنصرفه على مصانعنا وعلى حقولنا .

ولا يمكن ان تكون الرصاصة او القنبلة هي سلاحنا في المعركة ، لان
هدفنا فيها ليس سلبياً ، يسعى الى مجرد ازالة رواسب الماضي ، وانما
هو يسعى اساساً الى اطلاق آمال المستقبل .

ولا يمكن ان تكون المؤامرات باى شكل من الاشكال ، هي سلاحنا
في المعركة لان التآمر هو سبيل الذين يريدون وقف تقدم الزمن ، واما
الذين يؤمنون بانهم يسرون في صف واحد مع حتمية التاريخ فلا بد ان
يختلف اسلوبهم . .

كذلك ينبغي لنا ان ندرك باستقامة وشرف - ان وسائلنا الى غاياتنا
الكبرى هي جزء من هذه الغايات لا يفصل عنه او يتعد .

لا يجب ان يكون شعارنا هو : اى وسيلة الى اشرف غاية .

وانما يجب ان يكون : اشرف وسيلة الى اشرف غاية .

ان « اخلاقية » النضال ، اساسية في نجاحه ، مهما بدا من اغراء
وسائل الخفاء والظلام ، ومهما بدا من قدرتها على تحقيق نجاح
سريع . . .

واذن من هنا يتحدد سلاحنا في المعركة

الدعوة المستمرة من اجل كل ما نثور عليه ، وكل ما نثور طلباً له

التأييد الواضح لكل من يؤمن بمثل ما تؤمن به ويناضل وراء الحدود
المصطنعة من اجل الحرية والاشتراكية والوحدة .

التطبيق الامين ، داخل حدود وطننا ، القاعدة ، لكل من ننادى به من
المبادئ ، ليكون وطننا الصغير قطعة حية من احلام امتنا الكبيرة .

ولربما كان المفزى الوحيد لعملية انسحاب الجمهورية العربية المتحدة
من اتحادها مع اليمن ، هو انه استجابة صريحة واضحة لهذا المنطق الذي
استطردت اليه .

ويخطيء من يتصور أن الانسحاب من الاتحاد مع اليمن ، هو رد فعل
لقصيدة شعر نظمها الامام ضد الاشتراكية قال فيها :

هيا بنا لوحدة مبنية	على اصول بيننا مرضية
قانونها شريعة الاسلام	قدسية الاوصاف والاحكام
ليس بها شائبة من البدع	تجيز ما الاسلام عنه قد منع
من اخذ ما للناس من اموال	وما تكسبوا من الحلال
بحجة التأميم والمعادلة	بين ذوى المال ومن لا مال له
لان هذا ماله دليل	في الدين أو تجيزه العقول
فأخذ مال الناس بالارغام	جريمة في شرعة الاسلام
ولا يجوز اخذ مال الغير	الا بأن يرضى بدون ضرر

يخطيء من يظن أن هذا هو السبب ، فلا يمكن أن تزيد هذه الايات
من الشعر الركيك لامام اليمن عن كونها نكتة ، تثير من الضحك أكثر
ما تثير من الغضب !

لكن طبيعة ظروف النضال العربى ، والصراحة والوضوح ، اللذين
تقتضيهما المرحلة ، هى التى حتمت وهى التى أملت القرار وختمته .

لقد تم الاتحاد مع اليمن فى ظروف مرحلة سابقة من النضال ،
اقتضت ، أو تصورنا خطأ أنها اقتضت ، مداراة الرجعية والسكوت
عنها ، حتى تنفسح فرصة لتدعيم تجربة الوحدة الاولى بين مصر
وسوريا .

وليت ظروفنا تسنح ، وتسمح لنا وسط زحام الحوادث ان تروى
قصة الاتحاد مع اليمن ، كيف بدأت ، وكيف مضت .

لكن زحام الحوادث يسد الطريق ، كذلك فان الحوادث اليوم جادة ،
ممننة فى جدها ، بينما حكاية الوحدة مع اليمن أشبه ما تكون بفصل
من مسرحية الريحانى الممتعة ... حكم قراقوش !.

يكفى أن أروى ، كيف طلب أمير المؤمنين الامام أحمد حميد
الدين - ! - فى شهر فبراير سنة ١٩٥٨ أن يدخل فى اتحاد مع الجمهورية
العربية المتحدة .. الوليدة يومها !.

كان السيد شكري القوتلى قد جاء الى القاهرة ليوقع مع الرئيس
جمال عبد الناصر ميثاق الوحدة بين مصر وسوريا .

وفجأة ، بينما ميثاق الوحدة قد تم توقيعه ، وشكري القوتلى

يتأهب لمفادرة القاهرة عائدا الى دمشق ، تلقى الرئيس جمال عبد الناصر برقية من تعز ، مقر الامام ، يقول فيها :

«من امير المؤمنين الناصر لدين الله الامام يحيى بن حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية . . .

الى افخامة الاخ الرئيس جمال عبد الناصر .

بالله لا تنفضوا قبل أن تضمونا اليكم .

أحمد

وكان شكرى القوتلى جالسا بجوار الرئيس جمال عبد الناصر حين قدمت اليه رسالة الامام ، وقرا جمال عبد الناصر هذه الرسالة الغريبة ، ثم ناولها لشكرى القوتلى وهو فى دهشة من امرها .

وقال شكرى القوتلى بطريقته المشهورة :

— خير . . . خير . . . نضمه الينا ! .

وقال جمال عبد الناصر ضاحكا :

— نضم امام اليمن . . . الى الجمهورية العربية المتحدة . . . هل هذا معقول ؟

ثم استقر الرأى على ارسال برقية الى الامام تستوضح مقصده .

ورد الامام على جمال عبد الناصر بما يلى :

« لقد استخرت النجوم ، وبعد الحساب الطويل ، تبين لنا ان نجمكم يكشف نجم الآخرين ويفطى عليه ، ولهذا نريد أن ننضم اليكنم ، والولد البدر فى طريقه لعندكم لبحث الامور ونقل راينا » .

وتبين فعلا ان الامام أحمد ، قد كلف عراف القصر وحاسب النجوم فيه ان يستطلع له أمر المستقبل ، لكى يحدد موقفه فى الصراع العربى ايامها

فى ذلك الوقت كانت مصر وسوريا فى طريق

وكان العراق والاردن — تحت الاسرة الهاشمية — فى طريق آخر

وكانت مصر وسوريا على وشك اعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة .

وكان العراق والاردن على وشك اعلان قيام الاتحاد الهاشمى .

ويبدو أن امام اليمن اراد ان يعرف اى الكفتين ترجح وايهما تطير فى الهواء فلم يجد غير عراف القصر وحاسب النجوم .

وجاء العراف إلى الملك يقول له :

« ان نجم جمال عبد الناصر يغلو ، وأنه حين يقترب من نجسوم
الآخرين ، يزداد لعانا بينما تنساب باقي النجوم بالكسوف » .
وقال الملك للعراف :

« احسب مرة أخرى » .

وكانت النتيجة هي نفس النتيجة ، وعلى أساسها أرسل الامام
برقيته الاولى ، ثم الثانية ، ثم بعث بولي عهده ، أو « الولد » البدر
على جد تعبده إلى القاهرة ودمشق ، يحمل بقية التفاصيل ، ويحمل
تفويض الامام !

ولست أريد هنا أن أحمل السيد شكري القوتلى مسؤولية اتمام
الاتحاد مع اليمن ولكنى لا اظن ان شكري القوتلى سوف ينكر
اليوم ان صوته كان الصوت المرجح لقبول فكرة الاتحاد مع اليمن .

وعلى أى حال فلقد كانت لشكري القوتلى نفسه حجة مقنعة ،
خصوصا في ظروف القوران العاطفى الذى أحاط بوحدة مصر وسوريا
قال شكري القوتلى في ذلك الوقت ، انه بصرف النظر عن مسائل
النجوم وحسابها والعرافين ونبوءاتهم فإنه يرى قبول عرض الامام
للاسباب التالية :

أولا - انها خطوة وحدوية لا يجب التردد فيها .

ثانيا - انها قد تفتح طريقا للحضارة حتى تدخل اليمن .

ثالثا - انها قد تخفف من الضغط على العناصر الوطنية في اليمن .
رابعا - اذا لم تأخذه معنا ، فمعنى ذلك اننا نعطيه هدية لسعود
الذى يتآمر على الجمهورية منذ يومها الاول .

وليس ذنب شكري القوتلى بعد ذلك ، انها لم تكن خطوة وحدوية ،
وانها لم تفتح طريقا ولو لشعاع ينفذ بالحضارة داخل اليمن ، ولا انها
لم تخفف عن العناصر الوطنية شيئا من الرعب الذى يفرضه الامام ! .

لقد كانت مهادنة الرجعية ذاتها هي الخطأ تلك الأيام ، ولكن القوران
العاطفى غطى على الحقيقة ... حتى تولت التجربة ذاتها تمزيق الغطاء ،
والثبث ان لا مهادنة مع الرجعية ... بصراحة ووضوح ... وبشكل
النقط على كل الحروف ! .

هيئة قناة السويس

تعلن هيئة قناة السويس عن حاجتها الى موظفين حاصلين على بكالوريوس التجارة سنتى ١٩٥٩ و ١٩٦٠ ، ويشترط فيمن يتقدم لشغل هذه الوظيفة :

- ١ - ان يكون متمتعاً بجنسية الجمهورية العربية المتحدة .
- ٢ - ان يكون حاصلًا على بكالوريوس التجارة (شعبة المحاسبة)
- ٣ - ان يكون التقدير اهام الذى حصل عليه فى البكالوريوس بدرجة جيد على الاقل .
- ٤ - ألا يزيد سنه على ٢٨ سنة .
- ٥ - ان يكون حاصلًا على إحدى شهادات المعاملة المنصوص عليها فى المادة ٦٤ من القانون رقم ٥٠٥ لسنة ١٩٥٥ طبقا لما تقضى به المادة ٥٨ من القانون ٥٠٥ لسنة ١٩٥٥ والقوانين المعدلة له .

ويجب أن تقدم الطلبات فى ميعاد لايتجاوز ٢٠ فبراير سنة ١٩٦٢ باسم السيد رئيس هيئة قناة السويس بالاسماعيلية « قلم شئون الموظفين » على نموذج الهيئـة الذى يمكن الحصول عليه من احد مكاتب قسم العلاقات العامة بالقاهرة والاسماعيلية وبور سعيد وبور توفيق على أن يلصق بالطلب طوابع دمغة قيمتها مائة مليم ويرفق به ٤ صور فوتوغرافية مقاس ٥ فى ٨ سم .

هذا ولن يلتفت الى الطلبات السابقة على هذا الاعلان او التى تقدم الى الهيئـة بعد الميعاد .

دار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبید - روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

فرع الصحافة

١١ شارع الصحافة - القاهرة

تليفون ٨١٣٠٣٤ - ٨١٣١١٩ - ٨١٣٢١٤



كتاب فومية



التمن ١٥

صدر يوم الخميس ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٦٢

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

فرع الصحافة

١١ شارع الصحافة - القاهرة

تليفون ٨١٣.٣٤ - ٨١٣١١٩ - ٨١٣٢١٤